الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
بيروت
ص.ب. ٤١٢٣ — تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

رئيس التحرير والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

العدد ٩ ، ١٠
ايلول ، تشرين الاول ١٩٥٨
السنة السادسة
No. 9, 10
Sept., Oct. 1958
6ème année

هذا العدد

في التاسع من ايار الماضي ، نشبت في لبنان ثورة رائعة كان في طليعة اسبابها المباشرة انحراف الحكام اللبنانيين عن سياسة التحرر العربي،وانحيازهم الى سياسة غربية تناوىء اماني الشعب العربي في لبنان وغير لبنان . وقد انبرت العناصر الشعبية الواعية تدعم هذه الثورة دعما عميقا ، وتبذل لها من الوان التضحية والفداء والاخلاص ما يكشف الطاقات العظيمة البكر التي تنطوي عليها اجنحة هذا الشعب المرصود لاعظم الانتصارات .

وفي الرابع عشر من تموز الماضي ، حدث الانقلاب الرائع في العراق ، مطيحا بصنائع الاستعمار الذين ظلوا بضعة عقود من السنين يسومون الشعب العربي في العراق الظلم والضغط والاضطهاد ، ويوقفون عجلة التقدم والتطور التي كانت ايدي الشباب الواعي تحاول دفعها في الركب العربي الصاعد . وقد دلت التحقيقات والتصريحات والوقائع ان في طليعة اسباب ثورة الجيش العراقي الباسل رغبة الحكام العراقيين الخونة في اشراك جيش العراق بمحاولة قمع الثورة اللبنانية . وهكذا اسهمت الثورة العربية بلبنان في انتفاضة الجيش العربي بالعراق فالتقت الثورتان العظيمتان على هدف واحد عظيم : هو احباط مسعى الاستعمار وأذنابه لكبت الانبعاث العربي الجبار .

ولم يكن بد لمختلف عناصر الشعب من ان تشارك في هاتين الثورتين ، وان تحتشد اعنف الاحتشاد لانجاحهما ولم يكن بد لفئة الادباء والكتاب من ان تسهم بنصيبها في هذه المعركة ، بل ان تتابع كفاحها الذي بدأته منذ وقت طويل ، مؤدية الواجب المقدس الذي فرضه عليها التاريخ العربي بخلق الوعي الصحيح وفولذة النفوس العربية الفتية واعدادها للمعركة . وسوف يذكر المؤرخون لهذه الفترة من تاريخنا ما اداه القلم الحر من خدمات في اشاعة روح الثورة والتمرد في نفوس الشعب العربي .

ونحن مقتنعون بأن ارجاع الثورتين الشقيقتين في انتاج ادبائنا ما تزال قليلة ، وقد تكون موسومة كلها او بعضها بطابع الانفعال السريع ، ولكننا مقتنعون كذلك بضرورة رصد هذه الارجاع وتسجيلها لما تتميز به من روعة العفوية وتوهج الصدق ، ولانها على كل حال حلقة اولى من سلسلة النتاج الادبي الذي ستتمخض عنه نفوس الادباء المرهفة من اصداء هاتين الثورتين اللتين ستسجلان من غير شك ثورة ادبية جديدة في الخلق والابداع الحر ، ستكون لها مميزاتها وخصائصها .

من اجل هذا ، تحرص ((الآداب)) على تسجيل نتاج هذه الفترة ، متابعة رسالتها في رصد الحركة الفكرية رصدا يهتم بكل المعطيات الواقعية ، فتقدم للقراء العرب هذا العدد الخاص بالثورة العربية في لبنان والعراق . وسوف يجد القارىء بعض النتاج الذي قرأه في مجالات اخرى ، ولكنه سيدرك ان الحرص على امانة التسجيل هو الذي حدا بنا الى اعادة نشر بعض هذا النتاج الذي حال احتجاب ((الآداب)) دون نشره في حينه .

ونحن اذ نهنىء انفسنا بانتصار هذه الثورة العربية في كل من البلدين ، نبعث الى الادباء الذين شاركوا باقلامهم في المعركة بتحية الفخر والاعتزاز .

((الآداب))

يوميات الثورة في لبنان

بقلم الدكتور سهيل ادريس



لم يكن ممكنا لمجلة « الآداب » ان تصدر في اثناء الثورة اللبنانية لوقوع مكتبها في منطقة المقاومة الشعبية ، فاضطرت الى الاحتجاب طوال ثلاثة اشهر . ولكن رئيس تحريرها شارك بقلمه ، مع عدد من الادباء ، في تغذية الثورة والتعبير عن اهدافها ، وقد كتب في صحيفتين من صحف الثورة ، هما « السياسة » و « بيروت المساء » عددا من المقالات التي لم يتح للكثيرين ان يقرأوها ، بسبب منع الصحيفتين المذكورتين من الظهور خارج المنطقة الشعبية ومصادرة اعدادهما .

وقد رأت « الآداب » ان تنشر طائفة من هذه اليوميات التي حرص فيها الكاتب على ان تتوجه ، بصورة خاصة ، الى ابناء المقاومة الشعبية في بيروت ، وان تماشي الروح الثورية التي كانت تضطرم في صدور اولئك المناضلين البواسل .

شرف «الكلمة» ...

لا بد لمن يستمع الى بيانات شارل مالك وسامي الصلح وسواهما من المسؤولين ان يشعر بأن قيمة « الكلمة » عندهم قد هانت وذلت حتى فرغت من معناها . ذلك ان هذه البيانات تقوم على التضليل والتمويه والكذب بحيث فقدت الكلمة حس الشرف الذي لا قيمة بدونه للحرف.

وان احدنا ليتساءل : ماذا يبقى للبنان ، مصدر « الاشعاع » الفكري ، حين يتبنى المسؤولون فيه سياسة «العهر» الفكري ،فيقلبون الحقائق ويهدمون الوقائع ويشوهون معاني الحق والخير ؟

ان اللبنانيين ما يزالون يذكرون اسطورة « المحبة » التي طلع بها شارل مالك قبل سفره الى واشنطن . ولا شك في ان اوفرهم سذاجة سيعرف قيمة هذه الكلمة حين تخرج من شفتي رجل كان كل همه ان يشيع الحقد والبغضاء بين المواطنين باتباع سياسة الطائفية والاستعمار والتفرقة .

وما يزال اللبنانيون يذكرون بيان سامي الصلح الاخير الذي يشبه فيه نفسه بالقديسين والانبياء والاولياء ويشكو من ان الشعب المناضل لم يعامله معاملتهم . ولا حاجة للبناني ان يكون ذا علم واسع وثقافة عظيمة ليدرك قيمة هذا الكلام من رجل لايتورع عن ارتكاب احط الذنوب والآثام التي لم يرسل القديسون والانبياء الا من اجل محاربتها ..

وقد استمع اللبنانيون في الاسبوع الاخير الى بيانات ضافية للنائب ادوار حنين لم يكن من العسير ان يكتشفوا فيها الاضاليل والاوهام والاكاذيب فضلا عن الدس . ومن يذكر ان ادوار حنين كان الى اشهر خلت رئيسا لجمعية « اهل القلم » في لبنان يصعق من ان يرى الدركة التي انحط اليها « القلم » كاتب الكلمة ومسطر الحرف ...

اجل ، لقد افسدوا حتى هذا الذي يمثل اروع ما يملكه لبنان : الكلمة الشريفة الحرة .

وهذه الثورة الشريفة الحرة التي يخوضها الشعب اللبناني اليوم لا بد ان يكون من اعظم اهدافها ان ترد للكلمة اعتبارها ، بمحاربة جميع الذين شاركوا في تشويه هذه الكلمة وهذا الحرف واقاموا عهدا « للعهر » الفكري لم يعرفه لبنان من قبل .

لا بد من اعادة روح الاشعاع اللبناني الصحيح بالاطاحة بجميع اولئك الذين لطخوا الكلمة بوحل الكذب والتزييف ، وعلى رأسهم ذاك الذي رفع الكذب الى مرتبة الفضائل !..

٢١ حزيران ١٩٥٨

الكافرون بالشعب ...

ما فتيء الحاكمون في لبنان يتبجحون بانهم في هذه المعركة التي يخوضونها انما يدافعون عن القيم الديمقراطية لا من اجل لبنان وحده ، بل من اجل العالم الحر كله .

وليس اسهل من ان يرى هذا العالم الحر ان الحاكمين عندنا هم ابعد الناس عن الايمان بالقيم الديمقراطية ! ذلك انهم لا يؤمنون بالشعب الذي منه تنبثق كل القيم الديمقراطية . فهم يتهمونه بان هذه الثورة التي يخوضها لا تصدر عنه ، بل هي نتيجة تحريض خارجي . وهم بذلك يكفرون بالشعب في لبنان ، ويعتبرونه قطيعا يساق بامر خارجي فيستجيبه استجابة عمياء ولا يملك من امره شيئا .

فهل هناك احتقار للشعب اعمق من هذا الاحتقار ؟ وهل هناك كفر بالديمقراطية اعنف من هذا الكفر ؟

لقد اظهر العالم دهشته لهذه الثورة التي تجتاح لبنان من اقصاه الى اقصاه ، ولم يكن الناس يتوقعون ان يعرف لبنان الهاديء المسالم ثورة كانوا يتوقعونها في بلاد اخرى يضطهد فيها السكان ويزج احرارهم في السجون .. ولكن نسي هؤلاء الناس ان الشعب العربي في لبنان قد اصاب من الوعي والثقافة ما لم يصبه الشعب العربي في بلاد اخرى، ولهذا كانت ثورته اسرع واعنف واعمق مما كانوا يتوقعون .. لان الحركات القومية رهن بمقدار الوعي الذي يملكه الشعب ، فاذا اتت في حينها فهذا دليل على ان الوعي الشعبي قد اكتمل فكان رد فعله سريعا .

ان الحاكمين في لبنان لا يشكون لحظة في قوة ثقافة الشعب العربي في لبنان ، وهم يؤمنون بانه يملك الوعي الصحيح .. ولكنهم مع ذلك ينكرون عليه الان ان يحقق ما يتطلبه الوعي منه : ثورة على الطغيان والانانية والتفرقة والانصياع لامر المستعمر . ولقد فاتهم ان الوعي هو امضى سلاح يملكه شعب من الشعوب ، وبه يستطيع ان يرد الامور الى نصابها .

ولقد اعطى الشعب في لبنان خير مثال على اهمية الوعي وقيمته ، فكان ذاك الشعب المسالم الهاديء حين كانت سياسة حاكميه تجري في طريق الحياد والحب والاعتدال . حتى اذا اتى الى الحكم رجال لا يدركون معنى ان يكون المرء حرا حقا ، اصبح الشعب المسالم الهاديء ثائرا ناقما مقاتلا منكرا للانحراف والعبودية والضلال .

لقد كفروا بهذا الشعب حين اختطوا السياسة التي املتها عليهم ضمائرهم المدخولة ، فكان اول واجب للشعب ان يثور عليهم لانهم ازدروه

واحتقروه . وهم مع ذلك يتبجحون بانهم يدافعون عن القيم الديموقراطية !

لو كان كميل شمعون يفهم معنى الديموقراطية الحقة لادرك قيمة الوعي الشعبي .. ولكن ما يفعله يدل على انه لا يؤمن الا بالديكتاتورية .

وذلك هو الفرق بين الزعيم والديكتاتور !!

٢٢ حزيران ١٩٥٨

★

الحرية والعبودية

سمعنا في هذه الايام عددا من التصريحات للمسؤولين عن الحكم حول « الازمة اللبنانية » ، وفيها كلها اشارة الى اعتزامهم طلب التدخل الانكلو اميركي « لحماية » استقلال لبنان من تدخل الجمهورية العربية المتحدة.

وهذا الموقف يدل على ثلاثة امور :

اولا – ان الحاكمين كانوا غير جادين حتى في عرض شكواهم على مجلس الامن ،بدليل انهم بما يصرحون به اليوم يعبرون عن عدم استعدادهم للرضوخ الى قرار مجلس الامن ، فهم مصممون – منذ البدء – على طلب المساعدة العسكرية من اميركا وبريطانيا ...

ثانيا – ان الحاكمين لا يرون اي ضرر من تدخل دولتين كبيرتين بجيوشهما العسكرية تدخلا مكشوفا ضد ما يزعمونه من تدخل دولة صغيرة بارسال المتسللين والسلاح .. وعلى هذا فهم يقرون التدخل ويرفضونه في وقت واحد .

ثالثا – ان الحاكمين يؤمنون باسطورة « الحماية الاجنبية » لاستقلال لبنان .

وهذه الامور الثلاثة تدل في جوهرها على ان الحاكمين الحاليين لم يكونوا فكرة صحيحة عن معنى الاستقلال والحرية .

فالذي يطلب الاستقلال يطلبه بالنسبة للجميع ، اي يكون مستقلا عن جميع الفرقاء من غير تمييز ، ويرفض ان يتدخل اي فريق في شؤونه ، حتى ولو كان بحجة الاحتماء من تدخل احد الفرقاء .. هذا اذا كان صادقا ، فما بالك اذا ثبت ان تدخل الجمهورية العربية المتحدة دعوى باطلة ، كما يبدو انه قد ثبت للمستر همرشولد ؟ الا يكون طلب تدخل الانكلو اميركيين طعنة لهذا الاستقلال ؟

الحقيقة ان ذلك كله مردود الى ان حس الحرية في نفوسهم مفقود .. انهم لا يفهمون معنى ان يكون المرء حرا ..

ولا يتذوقون نعمة ان يكون المرء حرا ...

لانهم لو كانوا احرارا لما ارتضوا ان يربطوا « استقلال » بلادهم بعجلة السياسة الاميركية عن طريق مشروع ايزنهاور !

ولو كانوا احرارا لما ايدوا سياسة الاحلاف الاستعمارية !

ولو كانوا احرارا لما ناهضوا سياسة الجمهورية العربية المتحررة !

ولو كانوا احرارا لما آمنوا بان استقلال بلادهم يحتاج ابدا الى حماية من الخارج .

ان الانسان الحر هو الذي يسلك في حياته المسلك الحر الذي لا يقيده بقيد من تبعية او عبودية !

فأي استقلال وحرية هذان اللذان يدافع عنهما اتباع عبيد ؟

٢٥ حزيران ١٩٥٨

العيد والثورة ...

لا ، لسنا على حزن واسى في هذا اليوم من العيد . بل نحن فرحون سعداء لان العيد الحقيقي الذي ينبغي ان نحتفل به هو الذي يتاح لنا فيه ان نعبر عن اشواقنا للحرية وان نعمل لتحقيق امانينا في الاستقلال الحق والسيادة الحق !

لقد كنا ، نحن القوميين العرب في لبنان ، نشكو منذ اعوام انحراف السياسة العامة في لبنان ، داخليا وخارجيا . ولم يكن احتجاجنا على ذلك ليتعدى التظلم والشكوى والاستنكار . اما وقد قامت هذه الثورة بدافع من هذا الانحراف بالذات ، فقد افسحت لنا الفرصة بان نعبر باعنف الوان التعبير عن شجبنا لتلك السياسة التي كانت تطعن امانينا في الصميم . ومن اجل هذا ، اصبحت ثورتنا اللبنانية النبيلة رمزا للتحرر والخلاص وعنوانا لتحقق الاهداف التي نسعى اليها . وفي هذا اليوم من العيد ، تدخل الثورة اسبوعها السابع ، فيحق لنا ان نعتبر هذا العيد احتفالا بها وابتهاجا بشرف الهدف الذي تصبو اليه .

وان الثائر العربي في لبنان لتشتد سعادته وتعمق ان تقع هذه الثورة في ايام « عيد الاضحى » بالذات فان « التضحية » التي هي رمز هذا العيد لتتخذ في هذه الثورة اعمق معانيها واشرفها .

ان الثائر يضحي بنفسه ودمه من اجل استقلال هذا الوطن ، ومن اجل ابعاد اليد الاجنبية عنه ، ومن اجل الحيلولة دون ربطه بمشاريع الاستعمار وهو يضحي بروحه ودمه من اجل اسقاط اولئك الذين اتخذهم الاستعمار صنيعة له ، فراحوا يعبثون بقيمه وميثاقه ، ويعرضون استقلاله لاشد انواع البلايا ويرتدون بنهضته عقودا من السنين الى الخلف .

ان الثائر العربي الذي يشهر الان سلاحه ، ويقف وراء المتراس او يتربص في الخندق ، في كل مكان من لبنان العزيز ، سواء كان مسيحيا او مسلما ليجد اليوم في هذا العيد عيدا حقيقيا له ، لانه يحقق له معنى التضحية والفداء ، فيزداد شعوره عمقا بشرف ثورته ونبل غايته .

ايها الثائرون !

جلت تضحيتكم وطاب عيدكم !

٢٧ حزيران ١٩٥٨

★

حاكمون ... وتجارة !

درجت الاذاعة اللبنانية ، منذ قيام الثورة ، على تقديم تعليق سياسي عقب الاخبار ، تخصصه غالبا لامتداح اللبنانيين في الوطن والمهجر ، كأن هناك من يشك بمواهب اللبنانيين وما يتمتعون به من مزايا !

ولكن الاذاعة تلح في احاديثها الاخيرة على ناحية معينة ، هي ناحية الرخاء وارتفاع مستوى المعيشة والغنى والبحبوحة والرغد ، وبكلمة واحدة الناحية المادية من حياة المواطن اللبناني

والحق ان الاذاعة اللبنانية حين تلح على هذا المظهر من حياة اللبنانيين انما تعبر عن الهم الاكبر الذي يوليه الحكام في لبنان جل اهتمامهم وقصارى عنايتهم. ان «التجارة» في رأي الحاكمين الان هي اهم ما في حياة اللبنانيين ويجب ان يعمل كل شيء للمحافظة عليها ،وعلى ان تظل في ازدهار مستمر ، مهما كانت الظروف ومهما برز من عقبات .

واذا كان صحيحا ان التجارة اللبنانية ازدهرت في السنوات الاخيرة ، فمن الصحيح كذلك ان ازدهارها كان على حساب الكرامة الوطنية والعزة القومية .

ففي سبيل الرخاء والبحبوحة رحب الحكام بالمساعدات الاميركية ، ولكن مقابل ارتباطهم بمشروع ايزنهاور وغيره من المشاريع التي تجعل للاميركيين نفوذا كبيرا وتوجه السياسة اللبنانية ، الوجهة التي تريدها الولايات المتحدة ، وتقيد استقلال هذا الوطن بقيود لا تختلف عن قيود الاستعمار والانتداب من قبل .

أجل ! ان « روح التجارة » هي التي تهم حكام لبنان ، وهم يعملون كل شيء من أجل ان تطغى هذه الروح على حياة اللبنانيين ، ولو كان ذلك على حساب استقلالهم وحريتهم وسلامتهم .

وكلنا يعلم ان « المتاجرة » ، و « السمسرة » و « المساومة » هي الروح التي تفشت في السنوات الأخيرة في صفوف الحاكمين واتباعهم فانتشر في لبنان فساد وانحلال وميوعة لم تعرفها العهود السابقة ، وولدت من جراء ذلك طبقة من « الاثرياء السماسرة » الذين استهتروا بكل القيم واشاعوا في البلاد جوا ملوثا استشعر له بالخجل والعار كل لبناني حر !

لقد اراد الحاكمون ان يجعلوا من لبنان « متجرا » كبيرا لا يهمهم الا ان تكون سوقه رائجة ، فتضعضعت المثل وتزعزعت القيم وانتشرت « التجارة السياسية » ترعى التجارة الاقتصادية وتكشف القائمون على الحكم عن تجار كبار في سوق السياسة العالمية !..

فلا عجب بعد ذلك ان تتحدث الاذاعة اللبنانية وتلح في الحديث عن التجارة والمال والغنى ، بل لا عجب ان يقول المعلق امس الاول بالحرف الواحد : « ان الناس في لبنان اصبحوا يشكون الغنى .. لا الفقر .. »

وان الاذاعة في ذلك صادقة ، بل لعل هذه من المرات النادرة التي تصدق فيها : ان الناس اصبحوا يشكون الغنى المادي لانه بدأ يخلق عندهم الفقر الروحي !..

ولا شك ان من اهداف ثورتنا النبيلة ان تطهر البلاد من هذا الفساد وان تخلق منها « وطنا » لا « متجرا » وان ترد للمواطنين روح العزة الوطنية والكرامة القومية ، فتوفر لهم الغنى الروحي ، حتى ولو ادى ذلك لفترة من الزمن الى الفقر المادي ..

٣ تموز ١٩٥٨

ثائران ... ودبابة !

نشرت « السياسة » المناضلة منذ ايام صورة لاحد الرسامين تمثل فردين من افراد الشعب يصدان دبابة ضخمة يرفرف فوق برجها العلمان الاميركي والبريطاني .

وقد علق على هذه الصورة احد المؤمنين بالحكام الحاليين فقال هازئا :

ـ ما اسخفهم ! فردان اعزلان يصدان دبابة !

ولم نكن في حاجة الى ان نرد على هذا الكافر بقوة الشعب ، المنكر للطاقة الهائلة التي تنطوي عليها اجنحة الشعب المكافح الصامد . لقد كان هذا الرجل ضعيف الخيال ، قصير النظر ، فلم يدرك الرمز ، ولم يفهم المثال .

ان النصر في نظره لا يتحقق الا بقوة السلاح ، ولاسيما اذا كان هذا السلاح أجنبيا بصورة عامة ، واميركيا بريطانيا بصورة خاصة . اما الايمان الذي يكمن في الصدور ، ويهز السواعد ، فليست لديه عنده قيمة. أو لم نقل قبل الآن ان الحاكمين قد افسدوا حتى الان القيم والمثل ،واحالوا كثيرين من اللبنانيين الى الات لا تؤمن الا بالمادة ؟

ان طاقة النضال والكفاح والصمود تكمن في صدر الشعب العربي ، في جميع انحاء الوطن العربي ، منذ ابتلى العرب بالاستعمار . وقد قاسى هذا الشعب العربي طويلا ليفجر هذه الطاقة العجيبة ، ولكنه ابتلى كذلك منذ اكثر من ربع قرن بطغمة من الحكام اشتراهم الاجنبي ، سواء أكان عثمانيا ام فرنسيا ام بريطانيا ام اميركيا ، فكان قصارى همهم ان يخنقوا تلك القوة ، ويكبتوا هذه الطاقة في صدر الشعب العربي ، فاذا به يظل ضعيفا ، عاجزا ، يوهم الناظرين اليه انه قد تلاشى ولا رجاء في نهوضه.

وقل ظل هذا الشعب يراكم طاقته ويجمع قواه حتى قيض له القدر رجلا انبعث من اعماق الشعب ، وكان يعرف قوة الشعب ، فاذا به ينتفض ماردا جبارا ، فيفك السحر ويطلق الطلسم ويحرر الطاقة المكبوتة ، فينبعث الشعب العربي من قمقمه ، ويخرج الى الدنيا من جديد ليثبت انه اجدر الشعوب بالحياة والحرية والسيادة .

لقد رفع جمال عبد الناصر اثقال الكبت والذل والعبودية عن صدر الشعب العربي الرازح ، فانطلقت البطولات تتحدى وتبعث التاريخ العربي المجيد . ولم تعتمد هذه الانتفاضة على قوة السلاح وحدها ، بل اعتمدت قبل كل شيء على قوة الايمان بان للشعب العربي حقا في ان يعيش وان يسهم في خلق الحضارة العالمية الجديدة .

وان الشعب العربي في لبنان اذ يثور اليوم على حكامه ، فهو مؤمن بانه يثور على الاستعمار الذي يمثل هؤلاء الحكام مصالحه ويدافعون عن حياته.

وان هذا الفرد العربي الذي يحاول ان يصد بيديه دبابة ، وذلك الذي يحاول ان يصمد بصدره لنيران المدافع ، وذاك الذي يحاول ان يحطم مصفحة كبيرة بقنبلة صغيرة ، وذاك الذي يحاول ان يدافع عن نفسه من قذائف الطائرات ببندقية قديمة .. ان هؤلاء جميعا يدركون انهم قد لا يبلغون غايتهم وقد يلاقون حتفهم ، ولكنهم لا يستطيعون الا ان يصدوا القوة لان في صدورهم طاقة من الايمان بحقهم وبعروبتهم وبمصيرهم لا يمكن الا ان تنتصر اخر الامر .

ان هذين الثائرين اللذين يحاولان ان يصدا دبابة كبيرة بذراعيهما ، دبابة بريطانية اميركية ، لا يستطيعان ان ينسيا ان مئات من مثل هذه الدبابة ، ومئات من الطائرات والمصفحات والمدافع قد توقفت او تعطلت او خرست امام صمود مدينة صغيرة اسمها : بور سعيد !..

٦ تموز ١٩٥٨

جيل المستقبل ...

الناس جميعا في لبنان يتمنون ان تضع الثورة اوزارها وان تنتهي « الازمة »...

ولكن الناس ينقسمون في تصور هذه النهاية .

ففريق منهم يود ان تجيء النهاية على اية صورة ، المهم ان تجيء . وهذا الفريق يقف على هامش المعركة ، ولا يتحسس الدوافع التي ادت اليها ولا يعي العواقب التي ستخلفها ، وهو فريق كبير مع الاسف ، وليس له اي تأثير في توجيه المعركة وفي سيرها ، وينبغي الا يكون له شأن في المستقبل القريب او البعيد : يجب ان يبقى ابدا على الهامش ، وان يبعد عن تولي المقدرات ، فأن هذه المعركة لا تحتمل الحياد ، لان الحياد فيها لا يعني الا الجبن ، ولا مكان للجبناء في تقرير مصير البلاد .

وفريق اخر يساند الحكم القائم ويؤيد العهد الحاضر ويدافع دونه بجميع الوسائل . وفي هذا الفريق اصحاب العقيدة الانعزالية الضيقة التي لا تفهم الاستقلال الا استقلالا عن الدول العربية المتحررة ، واصحاب العقيدة التي تهدم الكيان اللبناني (وهم مع ذلك يحظون بحماية الحاكمين

الذين يدعون الحفاظ على الكيان اللبناني !) والمتاجرون بالطائفية والدس والتفرقة ، والطامعون بالمراكز والكراسي ، من غير ان يقدموا للوطن ما يؤهلهم لاحتلال هذه المراكز واقتعاد تلك الكراسي ... وجميع فئات هذا الفريق لا يؤمنون بمصير لبنان ، اذ هم يرسمون له مستقبلا مزيفا فاسدا لا يختلف عن حاضره المزيف الفاسد ، المستمد العون من الاجنبي على البقاء ، الكافر بحقيقة الاستقلال والحرية .. وهذا الفريق ايضا يجب ان يبعد عن تسلم المقدرات وتولى الاحكام .

ويبقى الفريق الثالث الذي يقوم بهذه الثورة الشريفة المباركة التي تهدف الى تحرير لبنان من الفساد الخارجي والفساد الداخلي . انه فريق الشعب الواعي الذي يرى من واجبه ان يشارك في المعركة اذا اراد للبنان مصيرا سليما مشرقا . هذا الفريق هو الذي يريد ان يظل لبنان بمعزل عن تطاحن الدول الكبرى ، بالتعاون مع هذه الدول على قدم المساواة وان ينسجم في سياسته الخارجية مع سياسة الدول العربية المتحررة التي تستجيب لايمان الشعب العربي بالقومية العربية كمبدأ وعقيدة وعمل وان يعمل على ازالة الفساد من مرافق البلاد لخلق دولة علمية حديثة تشق طريقها بعزم وثبات وبصيرة .

هذا الفريق الواعي هو المدعو لتسلم المقدرات ، وهو معقد الامل في انتشال البلاد من الهوة التي تردت فيها ، ولا يمكن ان ينبثق هؤلاء الافراد من الفريق الاول ، الفريق اللامبالي المنتظر ، الواقف على هامش المعركة ، كما لا يمكن ان ينبثقوا من الفريق الثاني الذي يساند الحكم القائم فيساند الانحراف والتبعية والفساد والتعصب والرجعية والاستعمار ..

ان المدعوين لتسلم مقدرات هذا الوطن ورسم مصيره ومستقبله الثابت لا يمكن ان ينبثقوا الا من الذين يخوضون المعركة لتحرير لبنان من اوضاعه الفاسدة جميعا ، فهم يضحون اعظم التضحيات ويلتزمون المبادىء الحرة التي حدت بهم الى الانتفاض .

فمن هذه الثورة النبيلة التي تطهر لبنان من ادران العهد القائم يجب ان ينبثق الجيل الجديد من الحكام ، جيل العقيدة المتحررة الراسخة ، المؤمنة باستقلال لبنان وحريته وعروبته ..

هؤلاء وحدهم جديرون بالحكم والقيادة ، وليس سواهم ! ولا مجال بعد ، في لبنان ، للتسوية والمساومة ! ٧ تموز

✶

الطغمة المجرمة ...

تواترت الانباء عن توقع انضمام لبنان الى دولة الاتحاد العربي الزائف ، او الى حلف بغداد ، او عزمه على عقد معاهدة دفاعية مع دولة الاتحاد ..

وهذه الانباء تأتي في اعقاب الفشل الذريع الذي « احرزته » الحكومة اللبنانية في المحافل الدولية بعد نشر تقرير المراقبين الدوليين ، واستبعاد اي تدخل دولي او ارسال بوليس دولي الى الحدود اللبنانية .

ولا شك في ان التفكير بضم لبنان الى دولة الاتحاد العربي او الى حلف بغداد او اليهما معا ،هو آخر ما يصل اليه الاجرام في رؤوس الحاكمين في لبنان ، وكذلك في رؤوس الحاكمين في بغداد وعمان ...

ان كميل شمعون وشارل مالك وسامي الصلح وسائر اتباعهم واذيالهم يريدون محاربة الشعب العربي في لبنان ، بعد ان فشلوا في استقدام الجيوش الاجنبية ، وهذا هو اخر سهم لديهم في جعبة الاجرام الذي بدأوه منذ شهرين للبقاء في كراسي الحكم واطاعة اوامر اسيادهم في لندن ووشنطن .

ولكن هل تظن هذه الطغمة ان تكبيل لبنان بقيد جديد ، سيفت في عضد الشعب العربي في لبنان ؟ هل يظنون ان الثورة ستنطفىء ، وان النضال سينتهي ، وان لبنان سيخلص لهم كما يشتهون ؟

ما اسخفهم اذن وما اتفههم !

ان هذا القيد الجديد سيزيد في عزم الشعب على مواصلة النضال والثورة لانهسيزيده اقتناعا بنبل هذه الثورة وبعد غايتها . ان الشعب العربي في لبنان سيضيف الى اهدافه من الثورة هدفا عظيما اخر : هو تحرير العراق والاردن من عبيد الاستعمار ، من حكامه المجرمين الذين يهمهم ان يحافظوا على حكام لبنان الاشرار ليحافظوا على انفسهم ومركزهم وحياتهم .

اجل ! ان الثورة في لبنان ستكون من اجل تحرير العراق والاردن ايضا، اذا انضم لبنان الى دولتهما الزائفة ستكون ثورة عربية كبيرة لا تقتصر على استخلاص عروبة لبنان وحده من براثن ذئاب الاستعمار واذنابه ، بل ستهدف الى تطهير عروبة العراق والاردن من الزيف الذي يلصقه به سياسيون يحترفون التجارة بالعروبة !

ان هؤلاء السياسيين يجمعون اليوم جموعهم ليوحدوا مصيرهم امام وعي الشعب العربي في كل مكان . فمن الطبيعي اذن ان يمد كميل شمعون يده الملطخة بالدم الى يد نوري السعيد الملطخة بالدم والى يد سمير الرفاعيالملطخة بالدم ! فحين ينهار احد افراد العصابة يحدق الخطر بالافراد الباقين ويحدث الانهيار الشامل ، ومن اجل هذا ترحب دولة الاتحاد العربي الزائف بانضمام حكومة لبنان اليها ، فهي اذ تدعم هذه الحكومة ، انما تؤخر انهيارها هي بالذات ردحا من الزمن .

فلتنضم حكومة لبنان المجرمة الى دولة الاتحاد الزائفة.. ان ثورة الشعب العربي هنا ستكون هي الثورة العربية الحقيقية الى جانب شقيقتها ثورة الجمهورية العربية المتحدة ! ٨ تموز

✶

آلة الكذب الجهنمية ...

يتهم كميل شمعون المراقبين بانهم « لم يباشروا عملهم بالروح الصالحة » ولسنا نفهم ما الذي يقصده رئيس الجمهورية الحالي « بالصلاح » ! بل اننا نضحك اذ نسمع حديثا عن « الروح الصالحة » من شخص كل ما قام به من اعمال ينم عن اسوأ روح يمكن ان يحويها صدر انسان !.. فهل كان كميل شمعون ينتظر من المراقبين ان يصدقوا كل ما تقوله لهم حكومته وما تقدمه من تقارير وبيانات ؟ ما ذنبهم اذا كان ما سمعوه قبل مجيئهم عن ادعاءات هذه الحكومة قد بث في نفوسهم روح الحذر ، بل روح الشك والارتياب ؟

ان كميل شمعون يعتقد انه « لا المستر همرشولد ولا المراقبون استعملوا عيونهم او ادمغتهم ! » وهو بذلك يتهم مائة وستة وعشرين رجلا اختارتهم الامم المتحدة ، وفيها بريطانيا والولايات المتحدة ، يتهمهم بانهم عميان لا يبصرون اغبياء لا يدركون ! فهل هناك قلة ذوق وصفاقة ابعد من هاتين؟ بل هل هناك غرور وعزم على دفع الحماقة الى اقصى حدود التطرف يفوق هذا الغرور وذلك العزم .؟

وفيهذا التصريح الذي ادلى به كميل شمعون الى مراسل « الدايلي مايل » اللندنية عودة الى حديث « التفاؤل » وتعبير عن دهشته ان ينكر المستر همرشولد انه قد صرح له بانه متفائل . ويقول شمعون ان الامين العام قد عبر له عن تفاؤله هذا « بحضور الرئيس الصلح » .. فمن الذي نصدقه : شمعون ام همرشولد .؟

ان من اليسير على كل منا ان يراجع « سوابق » كل من هذين الرجلين .. وهو سيدرك بسهولة من منهما الكذاب ، لاسيما اذا عرف من هو الشخص الذي يستشهد به احدهما على انه كان حاضرا ... كأن سامي الصلح انسان لا يرقى الشك الى صدقه ، او كانه رجل يملك ان يكذب سيده وولي نعمته !

ونرى بعد ذلك رئيس الجمهورية يقول للمراسل « انك تسألني اذا كنت ساخرج المراقبين ؟ كلا .. ليبقوا ، فنحن في هذه الايام بحاجة الى السواح ! »

فلينظر القاريء الى هذا الرجل الصفيق الذي يعمد الى « التنكيت » والهزل، بينما البلاد في ثورة والضحايا تتساقط والدماء تسيل في كل مكان ! ثم اننا اذا تجاوزنا عن روح التنكيت ، تبرز لنا روح « التجارة » التي تحدثنا عنها من قبل .. ان لسان حال كميل شمعون هو دائما : ارسلوا لنا السواح .. اعطونا المال !

وبعد ، فما زالت « آلة الكذب » الجهنمية تعمل عملها منذ شهرين تماما في اوساط الحكومة اللبنانية ، وما زال الحاكمون يقدمون الادلة لنا وللعالم اجمع على التدجيل والنفاق ..

ويا لخجل اللبنانيين حين يسجل التاريخ في صفحاته غدا ان الذين كانوا يحكمون لبنان ، في عهد انبل ثورة عرفها ، هم كذابون اشرون !

١٠ تموز ١٩٥٨

*

الدول « الاسلامية » الاربع !

روت الانباء ان الدول الاربع الاسلامية في حلف بغداد ، اي تركيا والعراق وايران والباكستان ، ستجتمع بعد ايام لدرس الحالة في لبنان، وانها عبرت عن استعدادها لمد يد المعونة العسكرية الى الحكومة اللبنانية لاخماد الثورة .

والمفهوم ان بريطانيا والولايات المتحدة اللتين ترعيان حلف بغداد هما اللتان اوعزتا الى هذه الدول الاربع الداخلة في الحلف بان « تعبر » عن هذا الاستعداد . فواضح اذن ان هذه محاولة اخرى ـ وقد لا تكون الاخيرة لدعم الحكم القائم في لبنان بعد ان تخلت بريطانيا واميركا ـ على ما يبدو ـ عن فكرة التدخل العسكري المباشر..

وهذا يعني ان هذه الدول الاربع تنقاد للسياسة الاستعمارية الكبرى انقياد الاعمى الذي لا يرى طريقا ولا يعرف مصلحته .

على ان هناك سؤالين : الاول يمت الى علاقة هذه الدول بلبنان .. ايكون لبنان قد عقد العزم على دخول حلف بغداد حتى تستبق دول هذا الحلف تأييده والاخذ بناصره وحمايته ، امْ ان هذه الدول تظهر هذا الكرم اكراما لعيني شمعون الزرقاوين ؟

مهما يكن الامر ، فان هذا يدل دلالة واضحة على ان حكومة شمعون سائرة منذ حين في مدار السياسة الاستعمارية، وانها تنوي المضي الى ابعد الحدود في هذا السير ، والا فاية علاقة لهذه الدول حتى تتدخل في شؤون لبنان ، الا علاقة مصير الحكام الصنائع الاذناب الذين يتحسسون رؤوسهم لدى كل انتفاضة شعبية في هذا الشرق المتيقظ على قدره؟

ولكن السؤال الثاني هو الاهم والاجل : ما الغاية من الالحاح على الصفة « الاسلامية » لهذه الدول ؟ ان في هذا ، دون ريب ، رغبة في اثارة النعرة الدينية لدى جمهور الشعب اللبناني ولاسيما الجمهور المسلم .. فكانه يطرح السؤال على الشكل التالي : ارايتم ان الثورة التي تقومون بها ثورة طائفية ، والا لما شجبتها اربع دول اسلامية ؟

وفي هذا طبعا استمرار لسياسة الاستعمار الاميركي البريطاني في استغلال الدين ، هذه السياسة التي تعمد اليها هاتان الدولتان منذ وقت طويل للتشكيك في اهمية الدين من جهة ، وفي اهمية الانتفاضات الشعبية من جهة اخرى .

ولكن القائمين بالثورة في لبنان لا يشكون لحظة بان بواعثها هي ابعد ما تكون عن النعرات الدينية والطائفية . انهم يثورون من اجل غايات كثيرة لعل اهمها رغبة المحافظة على عروبة لبنان ، وليس هناك من يقول : المحافظة على اسلاميته . وقد اصبح الفرق بين المبدئين من الوضوح والبداهة بحيث يصبح الحديث عنه مكرورا مملولا .

ولن يغير من حقيقة اهداف هذه الثورة العربية الخالصة ان تشجبها دول اسلامية اربع او عشر او مئة.. فان الجواب على ذلك ان هذه الدول جميعا، ولو كانت اسلامية ، هي على خطأ ، وان الثورة العربية في لبنان على صواب .

ونحن نؤمن ، على اي حال ، بان هذه الدول الاربع تشوه الاسلام وتزيف اهدافه الحقيقية وتعطى عنه اسوأ فكرة حين ترتضي ان تكون ذيلا وتبعا للاستعمار لان الاسلام يدعو الى عزة السيادة ويشجب ذل التبعية .

اننا ، نحن القوميين العرب ، نستنكر سياسة تركيا والعراق وايران والباكستان بالرغم من انها دول اسلامية .. ولوّ كنا نعتقد حقا بان الاسلام يقر الاستعمار لحاربناه !

١١ تموز ١٩٥٨

*

« ثورية » الثورة ...

الثورة في لبنان منتصرة ، لا ريب في ذلك .

وقد بدأت بوادر الانتصار النهائي تلوح في الافق ، وقد كان عجيبا ان لا تنتصر مثل هذه الثورة التي تدعمها القوة الشعبية الواعية ويقوم على توجيهها نخبة من القادة المخلصين .

وقد لمس الشعب اللبناني امس روح هذا الاخلاص في تصريح الزعيم كمال جنبلاط الذي رسم خطوطا واضحة للبنان ما بعد الثورة ، وكان اهم ما في تصريحه ان الثورة لا تؤمن بانصاف الحلول لان ذلك يعني « القضاء على اهدافها بعد انْ اينعت ، وتقويض امال الشعب بعد ان نمت وتبلورت وتمكين الاجنبي بان يأتي بفوج جديد من عملائه لكي يتسلم الحكم . »

ولا شك في ان القائد الذي يؤمن بمثل هذه الحقائق هو الذي يفكر حقا في تشييد وطن وبناء دولة لان انصاف الحلول قد تبني برج بابل، وقد تنشيء مزرعة ، وقد تخلق متجرا . ولكنها لا تؤسس وطنا حقيقيا ...

ومن اجل هذا سيكون من اهم اعمال الثورة بعد ان تنتصر ان تقوم بالتطهيرات التي اشار اليها الزعيم جنبلاط : « في صلب الادارة والدرك والشرطة والجيش والسياسة العامة .. ويجب ان تتناول هذه التطهيرات جميع الموظفين والضباط والقادة والانفار الذين يشكلون هذا الطابور الخامس الاجنبي في صلب الدولة ... ويجب ان يشمل هذا التطهير دعاة الفتنة في البلاد والمنظمات والهيئات والشخصيات التي كان لها موقف عداء وخيانة بالنسبة لشعب لبنان وقضيته وكيانه واستقلاله ...»

سهيل ادريس

ـ التتمة على الصفحة ٨١ ـ



تحيّة للجمهوريّة العراقية

فَرَح الأيتام بضمّة حبّ أبويّه
فرحةُ عطشانٍ ذاق الماءْ
فرحةُ تموزَ بلمس نسائمَ ثلجيّه
فرحُ الظلمات بنبع ضياءْ
فرحتُنا بالجمهوريّه

جمهوريتُنا ، نلفظها بهوىً وخشوعْ
نهمسها ، نغمرها قُبلًا ولهى حرّى
نلمس أحرفها بشفاهٍ بقيتْ دهرا
تعطشُ ، تأرقُ ، تَعْرَى وتجوعْ
جمهوريتَنا فرحتَنا ، يا حرقةَ أشواقٍ وحنينْ
نحن عطشنا لكِ أعواما
جعنا وسهرنا غذّيناها أحلاما
والآن ملكناها دفقةَ ضوءٍ ويقينْ

جمهوريتُنا طفلتُنا الجذلى العينينْ
مولودتُنا السمراءُ الباسمة الشفتينْ
سنوسّدها في أذرعنا ومآقينا
سنغذّيها بأغانينا
نحن ترقبناها زمناً من دون كلالْ
ورصدنا الأفْقَ بحثْنا ملءَ روابينا
وحصدنا الشوكَ ، حصدنا حقد أعادينا
وأقمنا مهْداً من حبٍّ وشذىً وظلالْ
كم حفّ به كيد الأعداءْ
وسقطنا حول قوائمه الولهى شهداءْ

جمهوريتُنا دفقةُ خيرٍ مسكوبه
تقطر إيماناً وعروبه
جمهوريتُنا ضوءٌ ، عطرٌ ، وعذوبه
تقطرُ من أحرفها الطيّبه
كانت حلُماً ضاع الى زُرْقته البابُ
كانت اشواقاً مشبوبه
يحجبها غيمٌ وضبابُ
وأخيراً نحن لمسناها
باكفٍّ راعشةٍ فرحاً وملكناها

جمهوريتُنا وردتُنا النشوى العطِره
أهداها تموزُ الطيّبْ
أعطاها لرؤانا ، لربانا المنتظِره
للوادي العطشان المُجْدبْ
وردتُنا البيضاءُ الغضّه
تغمرنا ثلجاً في تموزَ وحريّه
تعطينا عطراً وسلاماً ورؤىً بضّه
تبعثنا أغنيةً حيّه
تحيى ، تحيى الجمهوريّه

جمهوريتُنا وردتُنا الروجيّةُ يحميها اللهُ
كانت حلْماً ، كانت رؤيا
والآن غدَتْ أغلى ما نملك في الدنيا
وأحبّ ، أعزّ ، أرقّ الوردِ ، وأحلاهُ

في أضلعنا يا وردتَنا الجمهوريّه
في أعيننا نامي فلصوص الورد كثارْ
أعداءُ العطر العابق ، تجّار الأزهار
أيقظ عطرُكِ فيهم أشواقاً ذئبيّه
السوقُ صحا يا وردُ حذارْ
من نقمته الصهيونيّه
ومخالبه الامريكيّه

جمهوريتُنا وردتُنا ، لن نعطيها
إنّا قد ذقْنا سُكّرَها بعد الحرمانْ
هل نُسلمها للصّ الآن ؟
جمهوريتنا من دمنا سنغذّيها
نحنُ لها إيمانٌ يُعطي ، ويدٌ تنجدْ
جمهوريتَنا ، عشتِ ، سلمتِ من الطغيانْ
إنّا والبعثَ على موعدْ

بغداد — نازك الملائكة



تحية الى بغداد

بقلم : فؤاد الشايب

بغداد !

طال انتظارك يا بغداد ، حتى حسبنا ان الغائب لن يعود، والشهيد لن يستيقظ، والدم الذي سقيت به ورود الحرية، ذهب هدرا في التراب الجاحد ...

طال ارتقابك ، وترقب فجرك يا بغداد .. حتى قيل انطفأ الفجر ، وانكفأ النور ، واستقر النصل في الصدأ الجامد حتى غدا الفولاذ صدأ كله ، والحديد ترابا كله، فأين بغداد الف وتسعمائة وعشرين في الثورة الاولى على الاحتلال البريطاني ؟ واين بغداد الف وتسعمائة وواحد واربعين في الثورة الثانية على الظالم البريطاني؟

أين الموجات الشعبية الجبارة التي ملأت بغداد ، يوم رشيد عالي ، أين تلك العواصف المزمجرة التي تمردت على الحرب العالمية الثانية ابان احتدامها ، فكادت تحطم موازين الحروب ؟! أين ذاك الطموح الثوري ، الموجه الى الاحتلال والاستعمار في صاروخ من الحقد والانتقام، تهلع لدويه قلوب الرؤوس والاذناب ، ويوصف بالجنون ، تمجيداً له لا تحقيرا وتعظيما لقوته ، لا تصغيرا لشأنه . اين باتت ريح ذلك الجنون العراقي ، الذي يطيح بهامات العقلاء ، والحكماء ، والمخدرين ، والمخدرين ، والضعيفة قلوبهم ، والهزيلة عقولهم ، والمشلولة اذرعهم ، وكل من ولي الامر ، وقبض الاجر ، واستكان للبلهاء والاجراء ، والامراء ، وخبراء الفساد ، ووسطاء الخير ، وانصار التعقل والرزانة والخيانة!

كنا نتساءل : أين المقاومة واين النضال ؟! اين التظاهرات المحمومة التي تسمونها يا اهل بغداد ، (هوسة ..) واين الاهازيج الصارخة بالكلمات المهيجة التي تسمونها ردة ؟!

ماذا جرى لتلاميذي الشباب ، شباب الفتوة في بغداد ، يدفعونني امامهم في هوسة الثورة ، ثورة رشيد عالي وهم يهزجون ويرددون :

واجد نتذلل يا زينا   وعالموت ودوك اعرض بينا

كفانا تذللا ... وادفعوا بنا للموت !!

أين تلك الاصوات المجموعة في كورس من شباب الفتوة المسلحين يبلغون بحماستهم مدارج الافلاك وهم يهزجون :

عفت الروح فلا تحكيني   عيناك وعلى الطوب ركيتي
فالموت اولنا وتالينا   قول لامي لا تبكيني

وينتفضون مهددين بقبضاتهم مرددين :

يا موت انقذني من الذلة   والموت ما نبكي مأجله
ويا قايدنا لسيفك سله   وعالموت ودوك اعرض بينا

لقد طال انتظارك وانتظارنا يا بغداد ، حتى حسبنا ان الغائب لن يعود ، والشهيد لن يستيقظ ، والدم الذي ذرفته ارواح المجاهدين ، قد ذهب في الارض الجاحدة ، كدماء الحيوانات في سلخانة المدينة ، هدرا في البلاليع !.

وكنا نتصفح تلك الوجوه السمراء عندما تصبح بيننا في دمشق متسائلين :

وماذا جرى لبغداد ..!! ويكاد يكون الجواب الحزين دائما: نوري السعيد وعبدالاله ..!!

ونتعلق بصديق شنشل ، عندما يهبط دمشق بين الشهور والشهور هاربا من السجن الكبير ، ومفتشا في هذه الربوع عن رجاء يشد به عزيمته ، ويهدهد به لنوازع ثورته ، ونسأله يا مدير الدعاية والاذاعة في ثورة رشيد عالي ...! أين العراق .. واين عرب العراق .. هل ترحلوا عن الديار ، فلم يبق فيها سوى الضفادع والغربان ، وطيور النحس ؟! ويتحدث شنشل المناضل المؤمن ، ووراءه سبعة عشر عاما من فترة سوداء ، ازجاها في مقاومة الفجار الطغاة ، هادرا شبابه في معركة اليأس سجينا ، طريدا ، شريداً ، ونفهم من حديثه العنيف ، ومن الشيب في رأسه ، والاسى في قسمات وجهه ، أن جوابه هو جواب الملايين في العراق .. العرش ... عبدالاله ... نوري السعيد ؟!

وكانت هذه الاسماء الحادة ، تحز في حلوق الناس وهي تهبط اليها من مسامعهم ، كشيء من شفرات الحلاقة وقطع الزجاج ، فكأنهم لا يعيشون الا ليزدردوا الشوك ، ويغمضوا على القذى، ويناموا على العذاب والذل والهوان؟! فالى اي مدى تستطيع الروح العربية المعذبة في العراق ، ان تمضغ المر ، وتصبر على الضيم ، صبرا طويلا ثقيلا طوله في مدى الزمان سبعة عشر عاما . وهل نفدت في هذه الروح عناصر الطينة العربية ، بل اين في هذه الروح، كرامة الانسان العربي

الذي براه الله ، منذ وزعه تحت الشمس في صحراوات الشرق ، رائدا حرا ، ابيا ، طموحا مقداما ، وعندما اذن الله فانزل في ارضه ولغته ، قرآنا عربيا مبينا ، رسخت في اعماقه الى الابد ، اعرق صفات الانسان الحر المؤمن ، يحمل الرسالة ويؤدي الامانة ، ويكرم المباديء ، ويعمل اذ يعمل ابتغاء وجه الله والحق ، لا يلوي ولا ينكص ولا يداخله ريب ، ولا يخشى في سبيل الله والحق اثم آثم ، ولا لوم لائم !

... وبغتة يا بغداد ، دوى الرعد ، فانشق حجاب الظلام ، وطاردت الرياح دجنة الغيوم ، فاذ بالدنيا صحو ونور ، واذ بالسماء سماء بغداد ، واذ بالارض ارضها ، والاهل اهلها ، والكل خلق عربي قويم ، لقد حدث ذلك بسهولة من يمسح بكفه لوحا اسود كتبت عليه حروف من تراب وهباء ! وكان الصبر الكبير جديرا بأن يحياه الانسان ليشاهد انفجاره الاكبر .

وفجأة ، يا بغداد ، طرق المخاض بطن الجبل فاهتزت جذوره ونواصيه وخرج البركان من اعماق الارض جبارا رهيبا ، وكان الذين يبنون اعشاشهم واحابيل عناكبهم في فوهة الجبل البركاني اول ضحايا التفجر الساحق ، لان المستهترين الذين يحاولون ان يستروا بمؤخراتهم الغليظة مكامن النار ، هلاكا بها يهلكون . وما اردنا ان نصدق قبل اليوم ، ولن نصدق ابدا بأن الرافعين العرش على قمة البركان يمكن أن يستقر لهم عرش ، والباسطين الحكم بين فكي الاسد ، يمكن ان تنبسط لهم رقعة حكم .

وعندما طالبت الجماهير بجثة الوصي الرجيم ، لتجررها في شوارع العاصمة الظافرة ، لم يكن الوصي ميتا منذ ساعات .. بل هو ميت في حياة الشعب منذ اعوام واعوام . ولم تكن منيته هي التي تأخرت ، بل ان الذي قد تأخر ، هو ظهور الموجة الجارفة التي تستطيع ان تقذف جثث الهالكين من قاع الخضم المحشور الى شاطيء الواقع المنبسط وما الشيء الساقط الذي تداولته نعال الشعب ، في شوارع العاصمة المتمردة ، سوى حثالة روح ، وصورة نفس هالكة قديما . بل الشيء الذي صنعته كف الثورة ، انها اخرجت الجثة البالية من القصر الملكي ، وفتحت نوافذه للشمس !!

ولا اذكرك يا فيصل ... لان الثورة لم تذكرك في وقائع الرابع عشر من تموز ، سوى انك شبح ملك ، اراده الشعب ذات يوم ملكا عربيا ، فلم يكن سوى هامة للتاج الانكليزي في ارض العرب . واما الذي صنعته الثورة فهو انها اطلقت سراحك حرا ... حرا من قبضة الخيانة ، وتجار الرقيق ... الذين ارادوا ن يعدوا من شيئك الهزيل رأس رمح يمزقون به وحدة العرب ، وحرية العرب . وكفى الثورة بتحريرك من حياة العبيد احسانا لنفسك ... ولشعبك !

وفي جارف العاصفة المقدسة يا بغداد ، طفر نوري السعيد من وكر الثعالب هاربا الى النجاة وليس في جراب عمره المهتريء سوى بضعة اعوام عجفاء ، يقرع بعضها بعضا كقشور جوزات فارغة !! ماذا عساه ان يفعل العجوز المرذول ، بهذه القشور التافهة في جراب البقية من حياته ؟! واين يهرب بها .. ولماذا يحاول الهرب ؟! يقيننا ان الذي دفع به الى النجاة ليس حب الحياة لزاما .. انه اشد من عرفته الحياة عدوا لها وعدوا لنفسه . بل انه قد هرب بدافع حب الحكم وشهوة الانتقام من شعب العراق وشهوة التسلط على العرب بحراب الانكليز فغدت شهواته مع الادمان الحقير عقيدة ومبدأ وديانة . ولو انه ترك العراق وراءه حجرا على حجر .. وخرابا على خراب ، ونجا بنفسه الحقيرة لصاح من أي مزبلة في جوار العاصمة البريطانية : انا حاكم العراق الشرعي .. !! انا رئيس الوزراء الدستوري!

في سبيل تلك الشهوة الاثيمة ، كان غداة الثورة المطهرة ، يزحف على بطنه الى النجاة ، بثياب امرأة ، وعيون الشعب ترقب منافذ الوحش الذي رصدت الثورة عشرة الاف دينار ثمنا لرأسه .. وليس رأسه يساوي فلسا واحدا من دينار واحد . ولو طلب تسليم رأسه بفلس .. لكان المتزاحمون عليه كثيرين ... لالان الفلس المقبوض لقاء رأس الخائن ... هو اثمن من عشرة الاف ومئة الف !! ولان العراق ربح بسقوط رأس الخيانة ، كنوزا من الذهب لا تحصى بالاعداد والارقام .

هب العجوز الموهون ، وعصى الشعب وراءه ، كما تقرع العصا وراء الكلاب الشاردة وكان متنكرا بزي امرأة ... فقيل جبان ..!! وحاشا المرأة العربية في العراق ان يقال لمن لبس زيها انه كالمرأة جبان .. فالمرأة في العراق ، بنت رجال واخت رجال ، ولم تكن يوم تموز العظيم في زي المخدرات ، بل كان ارجوان الثورة على كتفيها وشاحا ... وكانت اجمل ما تكون النساء عندما خلعت القيد ، لتجعل منه خلخالا تطرب لرناته الارض الحرة كلما خطت فوقها خطوات زهو وخيلاء !

هذه هي المرأة العربية في ارض العراق . أما المرأة الغجرية نوري السعيد ، فلم تكن من النساء سوى من جواري الزمان ، شوهدت في سوق دولية من اسواق النخاسة ، فابتاعها القراصنة في نزولهم من مراكب الغزو ، وراحوا يتداولونها حاكما عن حاكم ، ومندوبا عن مندوب وفاسقا اثر فاسق ، حتى ارتفعت بمعاقرة الفحشاء الى اسمى مراتب القداسة الاستعمارية .

هلك نوري السعيد ، وانبقر بطن التنين تحت نعال الشعب ، ولو قدر له ان يعيش كما عاش بعض تلامذته الذين هربوا من نقمة الشعب ، ولجأوا الى الجيش طالبين الحماية لكان اعدل حكم يحلى به ان يزج في قفص، كما يزج القرويون بعض الضباع الكاسرة التي يأسرونها ويهبطون بها الى المدينة،

ليعرضوها للفرجة : هذا هو الضبع الزعيم ، الجنرال ، السير نوري باشا السعيد ، الموسوم في جبينه بلعنة الخيانة ، والحامل بلا شرف وسام ربطة الساق !!

٭

واخيرا ها هي الثورة .. وهذا هو وجه العراق الصحيح من خلال الثورة . واخيرا هذا هو الجلاء ، وهذه هي الحرية الناصعة من خلال الجلاء ، واخيرا هذا هو الاستقلال . واخيرا هذا هو العراق الذي حجبه عنا الغاصبون والمستعمرون ، صنوا طبيعيا للجمهورية العربية المتحدة ، وجزءا متمما من اهم اجزاء الوطن العربي الاكبر .

هذا هو العراق القوي بالثورة المظفرة ، تهتز لمولده الجديد اعطاف الارض ، وتضطرب ارجاء الامبراطوريات وتنتهك للعيان استار الخدعة الغربية في بلاد الشرق ، فاذ ببريطانيا ليست وحدها وراء حلف بغداد ، بل كانت امريكا ابدا وراء قناع الحلف الرجيم . واذ بالمذعورين المصعوقين يفتشون عن اسم جديد لحلف بغداد ، فلا يجدون سوى الحرب السافرة والعداء الحاقد ، بديلا ، ولن يجدوا سوى الشيطان حليفا ، ولن تقترن بعد اليوم اجمل الاسماء ، باقبح المسميات .

بغداد ، اسم لعاصمة الرشيد ، **بغداد** اسم لعهد العرب الزاهر ، **بغداد** اسم لمجد العرب التليد ، **بغداد** اسم لاخلد عصور العرب في العلم والعرفان ، والنور والتسامح والمدنية الوارفة الظلال . **بغداد** اسم لثورات العرب الحديثة في العراق ضد احتلال المستعمر وغطرسة الفاتح . ولن تستطيع الاصابع الملوثة بعد اليوم ان تكتب فوق **بغداد** اسما مضافا تضاف اليه ، لان الاسم الكبير الذي يتحدر منه ينبوع تاريخ جديد للقومية العربية المنتصرة هو ثورة **بغداد** ... واما (حلف بغداد) فقد مضى الى جهنم وبئس المصير فليبحث المزورون عن اسم غير اسم **بغداد** ، يلصقون عليه رقعة اعلانية عن خططهم الاستعمارية .

هذا هو العراق الجديد ، وهذه هي احدى معجزات العرب فيما اطلق عليه الرئيس جمال عبد الناصر اطلاقا معبرا : (بالزحف المقدس) .

ففي عام ١٩٤٦ كان الجلاء عن دمشق معجزة الزمان ، لانه جلاء جذري ، رفع الاحتلال ونفوذ الاجنبي عن كاهل الجزء السوري رفعا كاملا ناجزا هو الاول من نوعه في تاريخ كفاح العرب .. وتمت ثورة القاهرة عام ١٩٥٢ فكانت معجزة قومية رائعة اذهلت عيون الزمان وقلبت مفاهيم الحكم في ارجاء الشرق الكبير . وتمت بثورة القاهرة معجزة بور سعيد ، فسكر الاستعمار من هول اللطمة تسددها كف صغيرة ... وكان لا يزال مأخوذا على نفسه في دوار الهزيمة النكراء ، عندما انطلقت ثورة بغداد ، فترنح لها الكون ، ومادت اركان الاستعمار وهي تهوي الى القاع السحيق .. !! فلا تعجبني يا بغداد ان تنادت اليك اصوات البرية من ابعد الاقطار ، واقصى المحيطات مهولة مدوية مباركة ولاعنة ، فأن ثورتك المظفرة المصبوبة كالتماثيل الرائعة في قالب النجاح .. هكذا .. بضربة واحدة ، من ازميل المهندس البناء ، هي بالواقع معجزة معجزات العرب في تاريخهم العظيم ! وسيستمر الزحف المقدس بمواكبه الساحقة .. محملا باضخم المعجزات .. وسترى تلك الجماجم الصغيرة المدوخة في خضم الاندفاق ان الموجة العربية الصاعدة ، ستجرف عما قريب كل شيء تافه وحقير وزنيم . وانه لباستطاعة الاسطول الامريكي والجيش البريطاني ، ان يحتلا بيروت وعمان ، وان يثيرا حربا تدمر الكون ، وتقلب احشاء الارض .. ولكن ليس باستطاعة العلم والقوة ، والاختراع ، والجحافل المدججة ، وكل ما في خزائن الذكاء السياسي من كيمياء وسحر ، ان تعطي شيئا من قيمة الحياة ، للجماجم الصغيرة النخرة ، التي تجرفها الموجة العربية الصاعدة ، جماجم الخونة والاجراء . ان الممالك الممالك العربية لن يستقيم امرها للممالك ، والرئاسات العربية لن تدوم للذين رؤوسهم بين اقدامهم ، وتحت اقدام فرق الاطفاء في المعركة اللاهبة ! وعجبا لامريكا تلبس مسوح القداسة والولاية ، وتزعم لنفسها القدرة على انقاذ ارواح الهالكين ... بل لا عجب .. فهذا هو عصر المسيح الكذاب ... وعصر المسيح الكذاب ، كما تقول قصص الشعب هو عصر القيامة ، عصر النهاية ، نهاية عهد الظلم والفسق والفجور في العالم .

الا بوركت يمينك يا **بغداد** !!

لقد كانت ثورتك المظفرة ، تفجيرا للطاقة العربية في ارض العراق ، وتحقيقا لامل العرب في اهل العراق ، وكانت قبل ذلك وفوق كل شيء ، ضربة انتقام لثورة العرب عام ١٩١٧ التي اراد مزورو التاريخ ان يكتبوا لنا بأنها الثورة العربية الاولى والاخيرة .

لقد كانت ثورة ارادها الشعب حقا .. ولكن الثائرين في تلك الايام ، اكلوا الثورة كما تأكل القطط الجائعة صغارها في دور الرضاع . لقد كانت ثورة حق ثورة ١٩١٧ ولكن الثوار ما لبثوا ان انطرحوا تحت مائدة الظافرين ، ليلتقطوا الفتائت الهزيلة من المائدة العامرة . لقد كانت ثورة ... تلك الثورة ... ولكن الثوار رفعوا على نارها قدر مصالحهم واطماعهم ، ليأكلوا من جسد الامة العربية الممزق ، وليشربوا من دماء الثوار الاحرار . في تلك الثورة المهدورة انقلب الملوك الى مماليك . والامراء الى مأمورين ، والسياسيون الى عبيد مأجورين .. وظلوا يتيهون علينا بالثورة الكبرى ... ويحدثوننا عن الرصاصة الاولى ، ويخدعوننا بالتاريخ القبيح المزور الذي نشأ في مجموعة اختلاطاته المتفسخة .. نوري السعيد وامثاله من الوالغين بدم الثورة !! فصحح وقائع التاريخ يا جابر العمر !!

ولقد كان من حق التاريخ على بغداد ، ان تكون يمينها المباركة تلك اليمين التي تنتقم للعرب من ثورة اكلها ثوارها ، ورصاصة صوبوها الى صدر امة العرب .

فهذه هي الثورة الحقة .. ثورة الرابع عشر من تموز .. الا بوركت يمينك يا بغداد !! بوركت يمينك يا بغداد !

دمشق **فؤاد الشايب**



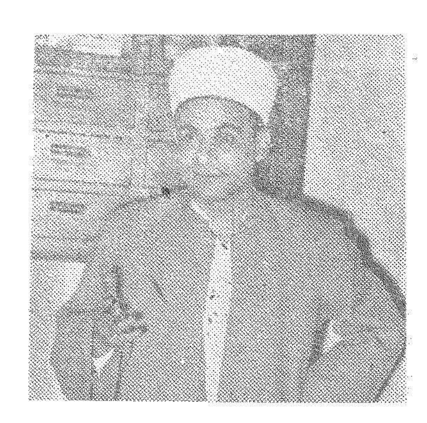
تحية حب .. لبغداد

باسم مليون عراقي قتلته
بيديك
باسم حلف بدم الشعب كتبته
وانتهى ..
لا رحمة الله عليه
او عليك .
باسم رب انكليزي عبدته
وضمير ما عرفته
ورغيف من فم الشعب سرقته
باسم شعب
عربي الوجه ، للاحلاف بعته
يا حذاء الغرب ..
للشيطان بعته ..
باسم الاف المقاصل
وضراعات الثكالى
والحوامل
باسم شعب
طيب كالطفل ، بالنار حكمته
باسم من شردته
من اصدقائي
او صلبته
في سبيل الكلمه
ابدا ، ليس تموت الكلمه
هي خبز الطيبين
وصليب المؤمنين
وضريح الظالمين
باسم بغداد الحبيبه

مرفأ الانجم ... والفيروز
شلال العذوبه
باسمها .. من كتبت
اول حرف في العروبه
باسم آلاف العباءات ..
مظلات الرطوبه ..
باسم أمي ..
باسم أختي
باسم احزان السنين الماضيه
باسم احداق الصغار الصافيه
باسمهم يا طاغيه
ايها الجاعل من بغداد روما ثانيه
باسم من ماتوا على ارض العراق
من رفاقي ..
في سبيل القافيه
أتكلم
صار في امكاننا ان نتكلم
يا عميل الليل ، والارهاب ،
والدم
صار في قدرتنا ان نتبسم
نحن في قصرك ..
في ساحاته
لهب غنى .. وبركان تضرم
يا حذاء الغرب ..
يا دميته ..
بيننا الف حساب .. سوف
يحسم

هذه بغداد .. يا بائعها
رجعت
اشهى من الحلم واكرم
كل جرح .. وله ميعاده
يعطش الجرح .. ولكن ليس يفطم
ما كرهنا الظلم ...
ما ضقنا به .
يصبح الشعب الها
حين يظلم ...
ربنا مات
قتلنا ربنا ..
ورميناه الى قعر جهنم
كان ربا تافها
من ورق ...
كان مسخا ..
كان اعمى ..
كان ابكم ..
كان ربا اجنبيا
ربنا ..
كان في انكلترا ...
يسقى
ويطعم ..
كل رب . اجنبي صنعه
سوف يلقى حتفه
سوف يحطم ..

نزار قباني



ميلاد لبنان

بقلم عبدالله العلايلي

هذا الصراع الاقدس ، الذي اطلق الشعب اللبناني من وعيه الحر اعصاره ، مضى هادرا يزرع السفوح والروابي بالبطولات ويحمل الى الدنيا ـ ما اتسعت الدنيا ـ عبير الشهداء ، وتهاويل الكبرياء ، والتلاوين العبقرية للارادة المتحدية المنتصرة . ثم ينعطف انعطاف قوس على الدهر ، قاعدة له على الآفاق ، وقاعدة له على الخلد .

وكان أغر ، انبلج فجره في ليلنا الدامس يدفق بالاضواء فانكفأت هنالك شمطاء العهد بومة شوهاء ، ترهب النور ويعشي مقلتيها الضياء .

وفخر هذا اليوم البطولي ، انه جاء تصحيحا ليوم بطولي قبله ، فذاك اشار الى ان لبنان ذو وجه عربي ، وهذا اعلن في سمع الدنيا : ان لبنان ذو حقيقة عربية . على ان ذاك حرر لبنان من مستعمر على نحو ولون ، وهذا حرره من الاستعمار على كل نحو وكل لون .

وهو ـ وان اقترن هونا ما بتنازع الفرقاء ـ كان لخيرهم جميعا ، وكسبا لهم جميعا . فاميركا استقلت من مستعمر بعد تضحيات حمراء مثلما استقللنا ، ولكنها لم تولد حقا الا بعد موران عاصف اتصل هبوبه بين شمال وجنوب ، واعني بعد مخاض لعله كان شاقا عسيرا ، ولعله كان داميا رهيبا ، ومع ذلك جاء معقد الخير كله ، لان في ساحته ولدت الوحدة الاميركية مولد السبيكة من البوتقة .

ولبنان ، وقد استبد به مثل هذا المخاض ، كان بشيرا بميلاده الحق ، ميلاد وحدته الوطنية دون نزوات شمال وجنوب ، واعني دون نزوات طائفية القته في التيه عن حقيقته وطبيعة وجوده ، زمنا طويلا .

ولقد سجل هذا اليوم فخرا اخر : وهو انه على صعيد لبنان جرت المعركة الحاسمة الفاصلة ، للقومية العربية المنطلقة جميعا الى حيث تتبوأ مقعدها لتملي التاريخ من جديد، واعني الى غدها الافضل الذي ترى فيه وجه امسها الافضل ، كلاهما كسب حضاري ، واثراء انساني ، وتنضير يمسح وجه الارض بالجمالات .

وفوق ذلك كله كان ليوم لبنان ، فضل هذا الظفر الجديد الذي جسد القومية العربية تجسيدا دوليا ، وكرسها تكريس الواقع التاريخي ، في اكبر أندية الحق الدولي ، كما هتك الاقنعة والحجب عن بادرة العدوان الاميركي ، وانها لم تصب المثل الديمقراطية الرفيعة في الصميم فحسب ، بل اصابت اول ما اصابت المثل الاميركية التي تبجح بها في الدنيا .

حقا ، لقد انتحرت اميركا هنا على عتبة عدوانها .. اجل لقد انتحرت بصغار فاجع ، وداست باستخفاف البطولات التي شاءت ان تدفعها يوما الى قافلة الاحرار ، وركب الساعين الى الانعتاق والانتصار ، ومشت على رفاة اقداسها في الحرية مشية الاستهتار وسعت بالحديد والنار ، لتوطيد دعائم الاستعمار ، وهكذا مسخت معنى الحرية في تمثال حريتها ، واستبدلت له باكليل الغار ، اكليل العار ..

فيا رجل المتاريس : الذي لوحتك الشمس ، انما هي لثماتها على جبينك،ليظل جبينك مثل جبينها ينابيع اضواء.

ولسوف يذكر لبنان ، لبنان كله ، ان من بين اناملك العشر تفجر خصب قلبه .

ولسوف يذكر ايضا : انك انت الذي صمدت في الدروب امام المخاوف لم تكن المروع ، وانما شققت بمنكبيك الدروب بينْ يديه الى مجده .. وكان عطاؤك سمحا وكان بذلك كريما « والجود بالنفس يعني غاية الجود » .

وقسما بتراب متاريسك ، هذه الشائكة ، ان لبنان في غده القريب سينحني في تذكاراته الكبرى امامها رمزا من رموز المحبة ، لانها كانت رمزا من رموز الخلاص .

عبدالله العلايلي



لبنان والتغيير الجذري

بقلم رئيف خوري

قلناها ونقولها ولن نتعب من ترديدها : ان لبنان اليوم اصبح يواجه مشاكل صميمية لا تعالج الا بتغيير جذري يعم الاسس التي يقوم عليها وجوده الحديث.

وبدون هذا التغيير الجذري ستبقى قائمة تلك المشاكل التي يواجهها لبنان اليوم . وسيبقى لبنان عرضة لازمات تشتد عنفا مرة بعد مرة ، وتجر عليه من المحن والارزاء ، ما يرزح رزوحا تحت وقره الثقيل .

اذا كان اللبنانيون قد اجمعوا حقا على ان تكون لهم صفة الامة ، وعلى ان يكون لهم وطن يصح عليه الاسم ، واستقلال لا شبح استقلال ، ودولة لا خيال دولة ، فانه يحزننا ان نقول انهم حتى الان لم ينظروا في متطلبات ذلك كله ، او في شروطه ، نظرا جديا معمقا ، ولا صارحوا انفسهم بالحقائق التي تصرخ في وجوههم ، ومن هنا كانوا في احسن احوالهم لا يفعلون اكثر من ان يدوروا في شبه حلقة مفرغة .

ان من ارادوا ان يكونوا امة لا يتوزعون في حياتهم السياسية طوائف دينية ، ولا يقدمون الشعور الطائفي ، والتفكير الطائفي على كل شعور وتفكير ، ولا يصرون على ان يكون تركيب دولتهم تركيبا طائفيا .

ان من ارادوا أن يكونوا امة يعون اول شيء قوميتهم ، ولا يزالون يعمقون هذا الوعي ويركزونه حتى ينحل فيه شعورهم الطائفي وتفكيرهم الطائفي أتم انحلال ، وحتى تستقيم لهم حياة سياسية تقوم على المبادىء السياسية لا على النزعات الطائفية .

وان من ارادوا ان يكونوا وطنا لا يكتفون بحيز جغرافي، ترسم لهم حدوده ، يقولون : هذا وطننا ، ويتغنون تغنيا أوشك ان ينقلب مملا بجباله وشطآنه (على روعة هذه الجبال والشطآن)، وانما يعلمون ان الوطن بلا مواطن محض لا يكون ، وان هذا المواطن المحض المطلق ، لا يوجد بلا حقوق وواجبات يتساوى فيها وباقي المواطنين على اعتبار الكفاءة الشخصية دون كل اعتبار آخر.

وان من ارادوا أن تكون لهم دولة لا يفوتهم ان الدولة السليمة توزع فيها السلطات وتحدد بحيث لا يطغى بعضها على بعض ، ويدعي فيها المواطنون جميعا لخدمة العلم ، وينفى منها الفساد والرشوة والمحسوبية ، وتنتهج فيها سياسة داخلية وخارجية مركزة على العلم مشتقة من روح العدالة الاجتماعية .

وهذا كله يردنا الى التغيير الجذري الذي اصبح لبنان يفتقر اليه افتقارا مدققا ليستقيم له وجوده الحديث على اسس جديدة ، تفتح له سبيل التطور ، وتمكنه من معالجة مشاكله الصميمية .

ان في لبنان ، مثلا ، دستورا يعلم الجميع انه قديم ، وانه وضع ليلائم عهد الانتداب ويسخر لغايات الانتداب . ويوم حصل الاستقلال لم يمس هذا الدستور حذف ، او تعديل، الا في مواد كان حذفها او تعديلها واجبا ، غير انها مواد قليلة جدا ، ثم اكتفى رجال الاستقلال يومئذ بميثاق وطني انطوى على حسن نية وتمنيات طيبة الا انه ترك في الدستور اوسع باب لان يكون رئيس الجمهورية دكتاتورا فعليا ، في دولة مزعومة ديموقراطية . فالذي يتولى منصب رئاسة الجمهورية يستطيع ان يحل مجلس النواب ساعة يشاء (المادة ٥٥) ، ويستطيع بعد اربعين يوما تمضي على قانون يعتبره ضروريا أن يقر ذلك المشروع ولو لم يوافقه عليه مجلس النواب ، بلى ، أنه يحتاج في ذلك الى موافقة مجلس الوزراء ، ولكنه هو الذي يعين مجلس الوزراء بنفسه ، وفي وسعه ان يصرفه بنفسه !

كذلك يستطيع بنفسه أن يفاوض في المعاهدات الاجنبية، وان يقرها وحده (المادة ٥٢) ، كما يستطيع ان يبطل كل مشروع ، مع ما في ذلك البيان الوزاري كله ، ولو اقره مجلس النواب (المادة ٥٣) . وبرغم ان المادة ٤٩ تحرمه حق الاستمرار في ولايتين متعاقبتين (التجديد) فان المادة ٥٧ تخوله حق طلب تعديل الدستور او بالتالي تعديل المادة ٤٩ طلبا لا سبيل الى رده بصورة شرعية . والرئيس هو الذي

اربع سنوات ، فاتاح لمنصب الرئاسة ان يشرف على انتخابات يصطنع فيها المجلس المطواع لارادته .

ومن هنا يبدو بوضوح ، لا وضوح بعده انا نحن اللبنانيين مكلفون بموجب هذا الدستور ان نوفق الى رئيس للجمهورية يتمتع بصفات الانبياء والرسل والصالحين (١) ، او نحن مقضي علينا بان نبتلي برئيس للجمهورية تمكنه صلاحياته الدستورية ، بل الدكتاتورية ، ان يفسد ، ما شاء في الداخل والخارج ويحتفظ مع ذلك بمظهر الشرعية .

يبقى ان هذا الافساد قد يكون قليلا ، او يكون كثيرا ، بحسب نزعة رئيس الجمهورية ، ومدى ارتباطه بالنفوذ الاجنبي ، ومدى استعداده للانسياق في تيار هذا الاغراء الذي يسمى اغراء السلطة المطلقة غير المحدودة .

لكن هل يجوز لبلاد ان يتوقف صلاح امرها على مجرد شخص ، أيا كان ذلك الشخص ؟ لا لعمري (٢)

وهكذا يوجب التغيير الجذري الذي ننشده ان يبدأ باستبدال هذا الدستور الذي لا يقيد رئيس الجمهورية ، والذي يترك المواطنين اللبنانيين خاضعين لاهواء رئيس الجمهورية .

ولن ندخل هنا في تفاصيل هذا الدستور الجديد . لكننا نؤكد ان لا بد للبنان من دستور ديموقراطي حقا ، يشعر معه الشعب اللبناني ، انه يستطيع انفاذ ارادته ضمن نطاق الشرعية ، ذلك لان الثورات والانقلابات تصبح محتومة حين يشعر الشعب ان الشرعية القائمة ليست سوى ذريعة للعبث بارادته . فاذا نص هذا الدستور مثلا على ان رئيس الجمهورية لا حق له في تجديد ولايته ، فينبغي ان تكون هذه المادة حاسمة جازمة ، لا يتلوها نص اخر يفتح لرئيس الجمهورية منفذا لتعديلها وتعطيلها، فاذا رؤي من المستحسن ان يترك باب لتجديد ولاية الرئيس في ظروف مخصصة فيجب ان يناط ذلك باستفتاء شعبي عام ، لا بمجلس نيابي يكون صنيعة الرئيس .

ثم ينبغي في هذا الدستور ان يسري اثره الى قوانين الدولة ويكيفها باحكامه ، فلا يقع التناقض بين منطوق الدستور ومنطوق القوانين ، او حتى منطوق ما يسمى عرفا او اصطلاحا . فاذا نص الدستور على ان كل لبناني له الحق في تولي المناصب والوظائف العامة ، عندما تتوافر فيه الشروط ، فما يجوز ان يحرم لبناني حقه في هذا المنصب او تلك الوظيفة لمجرد انه ينتمي الى هذه الطائفة الدينية ، دون الاخرى (٣) . اذ كيف يطلق للمواطن حق من جهة ، ثم يحرم ذلك الحق من جهة اخرى ؟ والدولة الحديثة لا يصح ، في نظرنا ان تعترف بمسلم او مسيحي او درزي الا من حيث انها تكفل للجميع حرية العبادة . فاما فيما خرج عن ذلك ، فالجميع مواطنون لبنانيون يصلحون على السواء للوظائف كلها عندما تتوافر فيهم شروط معينة لا صلة لها بمذهبهم الديني .

قلنا اننا لن ندخل هنا في تفاصيل هذا الدستور الجديد، غير انه اصبح مطلبا وطنيا حيويا لا يقدَّم عليه اليوم مطلب الا جلاء الجيوش الاجنبية .

وستجلو هذه الجيوش مهما حاولت ان تصطنع لنفسها معاذير البقاء،ومهما حاول العملاء ان يصطنعوا لها «مبررات» التسويف في الرحيل . أجل ستجلو هذه الجيوش بارادة دولية ، وبارادة اللبنانيين انفسهم . فان ابرز شيء استطاع ان يحققه وجود هذه الجيوش على ارضنا هو ان اللبنانيين آخذون في جمع الصفوف لجبهة وطنية كبرى تلح على الدخلاء بالجلاء ، ليعود الى لبنان استقلاله وسيادته،ولينحو من خطر تسخير ارضه للعدوان والحرب .

وعندما تجلو الجيوش الاجنبية ، وستضطر الى الجلاء باسرع مما يشيع المبطلون ! — يبقى على لبنان ان يصبح بلدا دستوريا حقا ، ديموقراطي النظام فعلا ، بلدا للمواطنين لا للطوائف .

وفي هذا السبيل لن يكون بد من انتخاب جمعية تأسيسية تضع للبنان دستوره الجديد المنشود ، وتقره ، بعد ان تعلن نصه على اللبنانيين ويناقشوه في جو من السيادة الكاملة والحرية التامة .

اننا كثيرا ما نسمع ان لبنان ينبغي له ان يكون « سويسرا الشرق »وان الدول ينبغي لها ان تتفق جميعا على تركه محايدا.

ولكن لبنان لا يصبح سويسرا الشرق لمجرد ان طبيعته تشبه سويسرا الغرب : هنا وهناك جبال تكسوها الثلوج ، وهنا وهناك شمس وصفاء في الاديم !

ان في سويسرا — على علات نظمها وعلات حيادها ، ديموقراطية ليست في لبنان . ففي سويسرا يلجأ الى

(١) ما ينبغي ان يفهم من هذا الكلام انه تبرير لرئيس جمهورية اساء كل الاساءة في المجال الذي كان يمكنه فيه ان يحسن .

(٢) وهذا الكلام ما ينبغي ان يفهم منه انه تعريض بالرجل المقبل على تولي رئاسة الجمهورية . فنحن انما نتكلم من الناحية المبدئية المطلقة . فاما الرئيس الجديد فان البنود التي اشتمل عليها بيانه تلزم كل لبناني شريف ان يؤيده في المهمة الضخمة التي نعتقده بها جديرا .

(٣) هذا يختلف كل الاختلاف عما ينادي به فريق من وجوب تقسيم الوظائف بحسب نسبة طائفية تختلف عن النسبة المتبعة حتى الان . فالذين يطالبون للمواطنين المسلمين ،مثلا ، بخمسين في المائة من وظائف الدولة لا يفعلون اكثر من انهم يكرسون الاساس الطائفي لبناء الدولة بينما نحن نطالب بالغائه .

الاستفتاء الشعبي في مسائل اقل خطرا من تلك التي يستطيع ان يبت فيها رئيس الجمهورية اللبنانية وهذا المجلس الذي يستطيع رئيس الجمهورية ان يسيطر على انتخابه وتوجيهه .

فكيف يكون لبنان « سويسرا الشرق » وهذه هي حاله ؟ المجرد ان هنا وهناك جبالا وثلوجا وشمسا واشتاء واصطيافا ؟

وسويسرا لا يغلب عليها طابع قومي واحد ، وانما هي دولة فيدرالية اصطلح عليها مواطنون مختلفو القوميات ، بينما لبنان في نظامه الراهن مصطلح بين الطوائف قد قدم الاعتبار الطائفي في تركيب دولته على اعتبار المواطنية وعلى اعتبار القومية .

فكيف يكون لبنان سويسرا الشرق وهذه هي حاله ؟

ولبنان يغلب عليه الطابع القومي العربي . وما من قوة تستطيع ان تمحو عنه هذا الطابع الاصيل العميق . والقومية العربية اليوم في نهضة وتوثب . وهي تنشد وحدة الكفاح للتحرر من الاستعمار وعملائه ، ولاستكمال مقومات السيادة القومية .

ولبنان لا يمكنه ان يكون محايدا للقومية العربية . ولم يكن في يوم محايدا لها . ابتهج شعب لبنان حين حقق جمال عبد الناصر انتصاراته ، وابتهج شعب لبنان حين قامت الجمهورية العربية المتحدة ، ووضع حكام لبنان املهم في الحكم العربي الرجعي في العراق ، وفي ان يكون عبد الناصر مجرد ظاهرة عابرة. ولكن سقط الحكم العربي الرجعي في العراق ، اطاح به الشعب كما تطيح العاصفة بواجهة من كرتون . وثبت عبد الناصر . وشعر حكام لبنان باليتم . وعجل انبثاق الجمهورية العربية العراقية في دفع الاسطول الاميركي ، الى احتلال لبنان .

فكيف بعد هذا يتحدث عاقل ، وغير منافق ، عن امكان حياد لبنان ازاء القومية العربية .

كل ما في الامر ان الشعب اللبناني يريد لبنانه في صف القومية العربية المتحررة . والرجعية اللبنانية تريد لبنانها في صف القومية العربية الرجعية المنسحبة وراء الاستعمار وقطته المدللة اسرائيل . وليس في شيء من هذا كله حياد لبناني ازاء القومية العربية !

على ان الاواصر الحياتية المتينة التي تشد لبنان الى القومية العربية لا تعني أن على لبنان بالضرورة ان يذوب في دولة موحدة تقيمها القومية العربية .

وهنا يخيل لنا ان في اذهان بعض القوميين العرب غموضا وخطأ مبدئيا وعلميا يجب تبديده . وهو لا يقل عن الخطأ والغموض في اذهان الانكماشيين اللبنانيين .

ليس حتما لكل شعب من قومية واحدة ان يؤلف دوله واحدة .

وليس انشاء الدولة الواحدة هو الصورة التي لا صورة الاها للتعبير عن الوحدة. بل قد لا تكون الدولة الواحدة هي الصورة المفضلة للوحدة في جميع الظروف .

فاذا ادركنا هاتين الحقيقتين كان لنا ان نقول صراحة لبعض القوميين العرب الذين يلحون على توحيد العرب كلهم في دولة واحدة ، وبالتالي لا يعترفون بكيان خاص للبنان او غير لبنان : انكم منحرفون عن جادة الصواب . بل انكم تسيئون الى القضية العربية نفسها ، اذ يغيب عنكم ان المعنى الاول للوحدة في هذه المرحلة التاريخية ليس هو وحدة الدولة ، وانما هو وحدة الكفاح للتحرر من الاستعمار ومن انظمة الحكم الرجعية الخادمة للاستعمار ، واسرائيل. قد يوجد بلدان عربيان تجتمع لهما من الظروف المعينة والاسباب الخاصة ما يدعو الى دمجهما في دولة واحدة ، وما يجعل هذا الدمج ايجابيا يكتسب ايجابيته من تمتع البلدين بسيادتهما التامة ، ومن رضى البلدين بالدمج طواعية واختيارا ، ومن تقوية الجبهة العربية المكافحة للاستعمار ومشاريعه . لكن هذا لا يعني ان الدمج في دولة واحدة يصبح بالتالي امرا ايجابيا بالقياس الى كل بلد عربي ، او الى القضية العربية عامة . فقد يطرح شعار الدمج بين بلدين عربيين ويكون ذلك لظروف معينة واسباب خاصة ، مضعفا للجبهة العربية المناضلة للاستعمار ومشاريعه . وعند ذلك يصبح شعار الدمج بعيدا عن ان يكون ايجابيا ومرغوبا فيه.

هذا ما نقوله صراحة لبعض اصدقاء من القوميين العرب لا يفهمون للقومية العربية معنى الا ان تكون تصفية للدول العربية القائمة وادغامها في دولة واحدة .

فاما الانكماشيون من اللبنانيين فنقول لهم بالصراحة نفسها: اننا نريدكم ان تكونوا اكثر دقة حين تستعملون كلمة الكيان اللبناني . فان كنتم تقصدون بها حرصكم المبدئي على حق لبنان في ان يشكل لنفسه دولة خاصة فنحن معكم . لكننا لا نكتمكم اننا لسنا معكم حين تقصدون بكلمة الكيان اللبناني هذه الاوضاع الراهنة التي تقوم عليها الدولة اللبنانية ولسنا معكم حين تريدون تجميد هذه الاوضاع على ما هي عليه ، وحين تنعتون كل محاولة يقوم بها الشعب اللبناني ، لتغيير هذه الاوضاع بانها تدخل من عبد الناصر . ان هذه الاوضاع التي تريدون تجميدها على ما هي عليه لا تنسجم وبناء دولة حديثة قابلة للتطور والتقدم ، لانها اوضاع لا تعترف في الحقيقة بشعب لبناني ومواطنين لبنانيين متساوين في الحقوق والواجبات ، وانما تعترف بطوائف دينية متمايزة يقوم في ذهن طائفة منها انها هي لبنان !

ثم اننا معكم حين تريدون للدولة اللبنانية ان تكون سيدة مستقلة . لكننا نخالفكم في معنى هذه السيادة وهذا الاستقلال . فانتم لا تكادون تذكرون سيادة لبنان واستقلاله الا بصدد القومية العربية . فاما الاستعمار وربيبته اسرائيل فلا يكاد يكون في نظركم خطرا على السيادة اللبنانية والاستقلال اللبناني . بل يوشك في نظر بعضكم ان يكون الاستعمار (الاحتلال الاجنبي) والتعاون مع اسرائيل هو الضمانة لهذه السيادة وذلك الاستقلال . وقد يغلو بعضكم فيتمنون لو يحتل الاستعمار البلاد العربية المتحررة ، ويعتبرون ذلك في قرارة نفوسهم مزيدا من ضمانة السيادة اللبنانية والاستقلال اللبناني .

واقل ما يقال في هذا كله انه خبط شنيع في معنى السيادة والاستقلال والحرية . وهو يشبه قول القائل : انني سيد مستقل حر في ان اكون عبدا ، وفي ان امهد لمن يستعبدني ان يستعبد اخي معي ! انه لمنطق ، ان صح ان يدعي منطقا ، يقضي بتحويل لبنان الى قاعدة استعمارية ضد نفسه وضد القومية العربية . وهذا ما لا يمكن ان يرضاه الشعب اللبناني او القومية العربية ، او الشعوب التي تنشد السلم وتكافح وجود القواعد الاستعمارية ، اي القواعد العدوانية المرعرعة لبذور الحرب .

وهكذا يؤدي هذا المنطق الى تمزيق وحدة اللبنانيين في الداخل ، والى اباحة الارض اللبنانية ساحة للحرب اذا نشبت الحرب ... ويؤدي الى عزل لبنان عن القومية العربية المتحررة ، وعن القوى التقدمية التي لا تقهر في العالم ، واخيرا يعرض لبنان لمشاركة الاستعمار في الضربات التي ستنزل بالاستعمار حتى ينهار هو وقواعده واذنابه .

لقد رأينا ان لبنان في حيث وضعه الله من الجغرافيا والتاريخ ، بلد عربي . ورأينا ان هذا لا يحرمه حقه في دولة مستقلة لنفسه وفي شخصية خاصة به . بل ان هذا ليزيد في قدرة لبنان على أن يبني لنفسه دولة مستقلة سليمة ، وعلى ان يؤكد شخصيته الخاصة في المجموعة العربية وفي العالم .

لقد قسم للبنان ان يرتبط بالقومية العربية وركبها الصاعد . وقسم له في هذا الركب دور عظيم ، وهو ان يكون طليعة من طلائعه بما يحققه لنفسه من نظام ديموقراطي يحتذى ويكون مثالا للعرب جميعا .

وبعبارة اخرى ، ان النظام الديموقراطي المتطور وسياسة السلم والتحرر ، هما مبرر وجود لبنان عربيا وعالميا ولبنانيا ايضا .

ولن يجد لبنان مبررا لوجوده لا في نظر نفسه ، ولا في نظر العرب والعالم ، بان يصبح قاعدة استعمارية عدوانية وبؤرة رجعية .

ان النظام الديموقراطي المتطور وسياسة السلم والتحرر هما حافظ لبنان ، لا الحياد السويسري ولا الالتزاق باسرائيل ولا الاحتلال الاميركي ، او غير الاميركي .

النظام الديموقراطي المتطور وسياسة السلم والتحرر هما اللذان يجمعان اللبنانيين قاطبة حول لبنان ، ويعطيان الضمانة الاساسية الراسخة لاستقلال لبنان ، وهما اللذان يحشدان العرب قاطبة للدفاع عن لبنان ، بل يحشدان الدنيا باسرها لصيانة لبنان ، ويقنعان الجميع بان لبنان بلد تتوافر فيه الحرية نفسها والعدالة الاجتماعية نفسها ، لا بلد يكثر فيه الكلام عن الحرية والعدالة الاجتماعية والاشعاع ولا شيء وراء الكلام الا الغرور والتعصب الطائفي والتقهقر .

ونحن على يقين ان الخطة الاخيرة التي اتفقت عليها كلمة العرب ، وهي تعزيز الجامعة العربية ، وسعي العرب الى تسوية ما ينشأ بينهم من مشاكل في نطاق هذه الجامعة ، ووقوف العرب صفا واحدا في دفع الاستعمار عنهم واجلاء جيوشه عن كل شبر من ارضهم ، وفي تمسك العرب بسياسة السلم وعدم الانحياز بين الدول الكبرى ، اجل ، نحن على يقين انها هي الخطة الفضلى لتسوية قضية لبنان عربيا ودوليا .

تبقى تسوية القضية اللبنانية لبنانيا . وهذا يعود بنا الى ما اكدناه مرة بعد مرة من افتقار لبنان الى نظام ديموقراطي متطور .

وان هذا كله ان تم — ولا معدى عن اتمامه — فلن تكون ضائعة هذه الدماء اللبنانية التي اريقت في غمرة هذه الاحداث الجسام . ولن تكون ضائعة هذه الجهود البطولية التي بذلها الشباب اللبناني العقائدي الحر ، حين حمل السلاح واشهر القلم في وجه الفساد والاستثمار والطغيان ، ليستقيم وجود لبنان بلدا سيدا مستقلا ودولة عربية ديموقراطية نموذجية في هذا الشرق .

رئيف خوري

بغداد

✶

بغداد يا قلعة الاسود   يا كعبة المجد والخلود
يا جبهة الشمس للوجود

✶

سمعت في فجرك الوليد   توهج النار في القيود
وبيرق النصر من جديد   يعود في ساحة الرشيد

✶

ثارت في حالك الظلام   وقمت مشدودة الزمام
للنور ، للبعث ، للامام   لبأسك الظافر العنيد
ومجدك الخالد التليد   عصفت بالنار والحديد
وعدت للنور من جديد

✶

يا عربا دوخوا الليالي   وحطموا صخرة المحال
صونوا على شعلة النضال   مواكب البعث والصعود
لقمّة النصر في الوجود   عودوا لايامكم وعودي
كالفجر في زحفك المجيد

✶

قد آذن الله في علاه   ان يصحو الشرق من كراه
ويرحل الليل عن سماه   وتسطع الشمس من جديد
من أمسنا الساحر البعيد

✶

بغداد يا قلعة الاسود   يا كعبة المجد والخلود
يا جبهة الشمس للوجود

القاهرة   **محمود حسن اسماعيل**

قصيدة من انشاد ام كلثوم وتلحين رياض السنباطي



انطباعات وافكار من ثورتنا

بقلم الدكتور علي سعد

كانت السيارات التي تقل المجاهدين العائدين من المعركة تمر الواحدة تلو الاخرى في الشارع العريض الذي يمتد امام بيتنا . وكانت تأتي من الطرف القبلي لشارعنا حيث يبدأ الحي الذي لم يحظ بعد بلفتة البلدية وعطفها . فلا مسحات الزفت تحجب عن وجه طرقاته غبار الصيف او اوحال الشتاء ، ولا الاقنية تمتص المياه الفائضة على ازقته من البيوت المبعثرة على جوانبها كما اتفق كأوجار الجنادب .

وكنا نحس بقدوم كل سيارة قبل ان تطل على شارعنا من هديرها الذي يرتفع فجأة عند المنعطف المرمل الذي يبدأ فيه هذا الشارع . واحيانا كانت تسبق السيارات نغمات الاناشيد الحماسية التي ترتفع بها حناجر الرجال المكدسين في جوفها .

وكان مجرد انطلاق هذه الاناشيد بشيرا بان المعركة كانت في صالح رجالنا . وكان في هذا الدليل ما يكفي لان تنشرح الاسارير وينفرج التقبض الذي أخذ يعصر الافئدة عندما بدأت السيارات تتجه قبل ذلك بثلاث ساعات في الاتجاه المعاكس ، اي نحو ميدان المعركة ، وعندما شرعت طلقات البنادق والرشاشات واصوات الانفجارات القوية العميقة تنطلق متقطعة في البدء ثم متلاحقة ، متواصلة ، وعندما بدأت سيارات الاسعاف ترد من الجبهة بسرعتها الجنونية وبصفاراتها الحادة التي كانت تزيد في توتر النفوس وتشيع الجليد في عروق الناس المتربصين بوجوم على شرفات بيوتهم او في حوانيتهم بانتظار نتائج المعركة .

ولم تكن تلك المعركة كسابقاتها من المعارك التي خاضتها قوات المقاومة الشعبية . فالعدو الذي كانت تواجهه لم يكن افراد الامن اللبناني ولا عصابات شمعون التي كان يدخل في الحسبان مدى قوتها المحدودة ، وعطف قسم كبير من جنودها على قضية الثورة .

ان القوات الشعبية كانت تغامر لاول مرة في معركة منظمة مع الاميركيين المعتدين الذين تقدموا في الليلة الماضية بخطوطهم ورابطوا بدباباتهم حول مفرق طريق هام لا يبعد عن المراكز الشعبية الا بضع مئات من الامتار ، في منطقة الحرج .

ولاول مرة تتواجه القوات الشعبية والقوات الاميركية رغم مضي ما يقارب الشهر على نزول المعتدين على الاراضي اللبنانية . وقد وجدت قوات الشعب في اقتراب الاميركيين من مراكزها الفرصة الثمينة للثأر لكرامة لبنان وانقاذ شرفه من عار الاحتلال الاجنبي ، وبدأت السيارات تحمل فصائل من كل مراكز المقاومة الشعبية في بيروت ، التي اقبلت لنجدة بضعة افراد من مركز الرواس في الطريق الجديدة قيل انهم بدأوا الاشتباك مع دورية اميركية على اول طريق المطار الدولي .

وقد اقبلت النجدات من محلات ابي شاكر والحرج ودار الايتام ومن النويري ومن برج ابي حيدر ومن المصيطبة والبسطه ومن زقاق البلاط ومن الزيدانية وتلة الخياط ومن الخندق الغميق .

وكانت ملامح الاهتمام تبدو على وجوه الابطال المتجهين نحو ميدان المعركة ، وكان في نظراتهم ثبات وعدم التفات للحياة التي توقف نبضها على جانبي الطريق . وكان يبدو ان نظراتهم مقلوبة الى داخل نفوسهم ، مشدودة الى المجهول الذي ينتظرهم بعد لحظات .

وقد اقبل بعض المجاهدين بالاغنيات ، كأنهم قادمون على عرس ، ولكن تلك الاغنيات لم تكن لتزيد نفوس الناس الذين بقوا في بيوتهم او حوانيتهم نصف المفتوحة الا احساسا بعنف العاصفة التي لن تلبث ان تهب وربما تطيح بأولئك الفتيان الشجعان او تتسع وتمتد حتى تدق ابوابهم هم الذين بقوا بعيداً عن المعركة لعدم توفر الاسلحة ...

فالمعركة هذه المرة ، تدور ضد عدو غادر قاهر مزود باسلحة لا حد لقواتها المدمرة وتستطيع ان تطال اية بقعة من بيروت وان تحيلها الى خرائب ...

وقد قبل المسلحون من الشعب خوض هذه المعركة غير المتكافئة . وايدهم الشعب في هذه البادرة التي كانت تهدد بان تمد لهيب الحرب الى كل ركن وكل شارع وكل بيت في بيروت . ولئن بدا الوجوم على بعض الوجوه والترقب واللهفة على الوجوه الاخرى، فان الخوف لم يعرف طريقا الى نفس احد من الاهلين أو المسلحين .

ولا ادل على ذلك من بقاء الناس على شرفات منازلهم وفي حوانيتهم وفي الطرقات يتابعون بافئدتهم وباسماعهم وبكل حواسهم اصداء المعركة المحتدمة على بعد اقل من كيلومتر . وظلت الخطى في الشوارع على انتظامها . ولم تعد ترى الناس يلتصقون بالجدران أو يحنون ظهورهم عند قطع الشارع او يعجلون في سيرهم في طريق عودتهم

كما كانوا يفعلون في المعارك الاولى ، ولم تعد تسمع اصوات اغلاق الحوانيت تتسارع في كل مكان ، دلالة على عجلة الناس في البحث عن مأمن لهم من الشظايا الشاردة، كما كان يحدث من قبل . لقد استكمل الشعب ثقته بنفسه وبمصائره . فالثورة فولذت اعصابه ، ومجاورة الموت والخراب التي الفها في الاسابيع العديدة التي انقضت على الثورة رفعت الكلفة بينه وبينهما ونزعت من نفسه الرهبة امام الفواجع .

وبدأ الظلام يهبط وشرعت اصوات الطلقات ودوي الانفجارات تخف شيئا فشيئا . وفي نحو الساعة السابعة بدأت السيارات واللوريات المحملة بالمجاهدين تعود الى مراكز انطلاقها .

ولم يحاول احد ان يوقفها ليسمع تفاصيل المعركة او نتائجها . فالمهم انهم عادوا ، واصداء الاغنيات التي كانت تتصاعد قوية من بعض السيارات العائدة ، كانت تشيع الطمأنينة في النفس وتحمل على الاعتقاد بان النصر كان في جانب قواتنا . ولم تكن تخلو تلك الطمأنينة من بعض الكبرياء فقد غسلنا اخيرا العار الذي لحق بلبنان من الاعتداء الاجنبي لقد تحوى رجالنا الجبروت الاميركي الجاثم على سواحلنا وفي مطارنا وعلى دروبنا . واظهروا له إنهم لا يخافون حديده وناره ، وان وطأه ارضنا وتقدمه من خطوط المدينة الثائرة لا يتم دون عقاب ، وجاء العقاب تلك الليلة قاسيا لا رحمة فيه على ايدي فتياننا .

ولكن حلاوة الظفر حملت في قرارتها بذور القلق . فقد حسب الناس الحساب لردة الفعل من الجانب الاميركي وقد اخذوا ينتظرون أن ترد طائرات الاميركيين ودباباتهم ومدافع سفنهم البعيدة المدى على التحدي الجريء الذي وجه لهيبتهم ضربات ساحقة قد تزرع الدمار والموت في كل شارع وكل بيت في العاصمة .

ولكن احدا لم يشعر بالندم على ما حدث في تلك الامسية ، ولم يعد باللوم على المجاهدين لتهورهم في تحدي التنين الاميركي . ان احدا لم يتمن ان يكون بعيداً عن حي الطريق الجديدة في تلك الساعات المشحونة باشد الاخطار. بل على العكس كان الزهو يملأ كل انسان يعيش في الحي الذي كان له شرف المبادرة ببدء المعركة مع العدو . وكان يتردد في النفوس احساس غريب بان اية قوة في العالم لن تستطيع ان تقهر المدينة الثائرة ولا ان تحطم كبرياءها

ومضت الساعات مثقلة بالانتظار . وظلت البيوت على غير عادتها تنبض بالحياة والحركة دليل امعان الناس في السهر ، كأنهم يخشون ان يضيعوا في الرقاد تلك اللحظات الحاسمة من حياتهم ، والتي اكسبها الشعور بالخطر قيمة الساعات الاخيرة من حياة المحكوم بالاعدام .

وبقيت ساهرا كغيري . وجلست في الظلام على الشرفة الشرقية لبيتي ، المحاذية للجبال البعيدة .

وكان القمر يملأ السماء بقرصه الذهبي الذي بدا اوسع واشد توهجا وبهاء من ذي قبل . وكانت قمتا جبل الكنيسة وضهر البيدر الملتان تسدان الافق في البعيد ، وجبال عاليه والمتن المتدرجة حتى مشارف العاصمة ، وكل السطوح الظاهرة من المدينة غارقة في شلالات خضراء باهتة من ضوء القمر تحيل كل المرئيات الى ما يشبه ذكريات باقية من حلم ليلة ماضية ، لكثرة ما يضيع من معالمها وحدودها والوانها .

وامام هذا الطوفان من الضوء والسكون والبهاء ، شعرت بكل شرايين نفسي تتفتح وبقلبي يتمدد ، حتى لكأن قفصه لا يتسع له. لقد احسست بتدفق نهم غريب يدفعني الى التهام اقصى ما يمكن من هذه الوليمة الشهية التي كانت الدنيا تعرضها امام الحواس المتفتحة .

لقد ايقظ الجمال الكوني حب الحياة في كل فلذة من فلذات جسدي . واخذت اتطلع الى السماء والارض المتعانقتين في قبلة عميقة من اضواء القمر والنجوم وكأنني اراهما لاول مرة في عمري .

واخذت الاسئلة تطفو الى زوايا ذهني التي لم يخدرها سحر الليلة القمراء . واخذ حوار داخلي متشابك يدور في جوانب نفسي :

كيف يجوز لك ان تستمتع بجمال الدنيا وان تستطيب الحياة ، واشباح الموت ترود حولك وتدخل بيوت الضحايا الذين سقطوا لساعات خلت والذين قد يسقطون بعد ساعات ؟

ولكن ما ذنبي اذا سقطت الضحايا وان اصاب منجل الموت من اصاب ؟ افليس محتملا ان يصيبني غدا او بعد غد؟

ترى هل يدرك الذين يموتون قيمة الحياة مثلما يدرك الراسخون في العلم ؟

وما علاقة العلم بحب الحياة ؟ وهل تعتقد ان التعلق بالحياة وقف على اصحاب الحواس المرهفة ؟

وهل تجهل أن بين من يحمل السلاح في صفوف الثوار الكثيرين من المثقفين من ادباء ومحامين وغيرهم ؟

قل لي : هل لو تأمل المجاهدون الليلة المقمرة بمثل هذه الكلية وهذا العمق وهذه الكثافة الحسية التي تتأملها بها ، هل كانوا يقبلون على المعركة التي ينتظرهم فيها احتمال الموت بمثل الزهو واللامبالاة التي اقبلوا بها منذ ساعات ؟ وهل كانوا يخوضون المعركة اصلا ؟

بالطبع نعم . فهم قد اختاروا السلوك الذي لا يرفض احتمال الموت منذ ان اختاروا حمل السلاح .

اذن هم لا يدركون قيمة الحياة ، بل لا يفقهون معنى الحياة ولا يقدرون جمالاتها ومباهجها . وما جرأتهم على مواجهة الموت الا ضرب من العمى عن نداءات الحياة ونوع من الجهل بكل الوعود التي تقدمها .

لا يا صاح . فالبطولة ليست كذلك الا بقدر ما يتضمنه العمل البطولي من وعي كامل للاخطار الشديدة التي يتعرض لها المحارب وبقدر ما يدفعه من ثمن باهظ للوصول الى الظفر . والاستعداد الدائم للمجازفة بالحياة قد يكون اكمل تعبير عن شدة التعلق بالحياة .

وكيف ذلك ؟ انك على ما يبدو اصبحت ميالا الى اللعب بالالفاظ . .

لا ، ان كلمتي ليست لعبا ولا لهوا . وانما تقرير لواقع فالانسان الذي يعيش في مجتمع انساني لا يقنع بأي شكل من اشكال الحياة ولا يرضى بان يدفع اي ثمن للحصول عليها . بل هو يصر على ان تتوفر له الحياة على حد ادنى من الشروط والصفات التي لا قيمة ولا معنى للحياة بدون توفرها . ان نعمة الحياة التي يطلبها الانسان الاجتماعي ليست مطلقة وانما مشروطة بنوعيتها وبمدى ما تحققه له من تلبية لحاجاته ورغباته . وقد تتسع هذه الرغبات والحاجات او تضيق وفقا لتطور المجتمع وتعقيد تركيبه ولكن هناك حدا ادنى من الحاجات والرغبات التي لا يستطيع مجتمع انساني ان يتنازل عن ضرورة تحقيقها .

واولى هذه الحاجات حفظ كرامة الانسان وممارسة الحريات العامة والاطمئنان الى عدالة الجهاز الحاكم والى نزاهته واخلاصه في خدمة المجتمع وفي حمايته من اخطار الاعتداء الخارجي .

وعندما تنعدم هذه الضمانات في مجتمع ما ، ينعدم الاطمئنان الى جدوى الحياة وقيمتها ، بل وينعدم الاطمئنان الى امكانية حماية الحياة نفسها .

ومن هنا تنشأ الحاجة الى الثورة ، كل ثورة ، وتولد الانتفاضات ضد كل نظام لا يعرف كيف يحمي الحريات ويصون القانون ويؤمن حفظ كرامة الافراد ، لان كل هذه المفاهيم والمعاني الاجتماعية هي الضمانات التي تصون الحياة نفسها وكل ما يزين الحياة ويكملها ويعطيها طعمها وقيمتها ورونقها .

وهذ الامر يصح على الثورة اللبنانية مثلما يصح على كل ثورة سياسية .

فان السياسة المنحرفة التي اتبعها كميل شمعون وسامي الصلح وشارل مالك والتي ادت الى سلب الشعب اللبناني حرياته وحرمة قوانينه ودستوره وهدمت اسس الوحدة الوطنية بين طوائفه الدينية وفئاته الاجتماعية قد جعلت كل فرد من افراد المجتمع اللبناني مهددا بالسجن والاعتقال والتعذيب او الاغتيال على ايدي العصابات التي سلحها شمعون او على ايدي قوات الامن التي حولها الى ما يشبه العصابات .

وان سياسة الارتباط غير المشروط بالغرب وبالتالي ، باسرائيل ، ومحاولة عزل لبنان عن جاراته وشقيقاته العربيات وحرمانه من حماية القوى العربية قد اقنعت كل لبناني بان حياته ووجوده ورخاءه ومعيشته اصبحت تحت رحمة الغرب واسرائيل ، وبالتالي ان كل ضمانة لارواح اللبنانيين وممتلكاتهم اصبحت مهددة بالانهيار وبوقوع لبنان لقمة سائغة لاسرائيل عندما يشاء الغرب وتشاء اسرائيل .

لذلك حمل اللبنانيون السلاح وفضلوا ان يخوضوا في هذه السنة معركة حرياتهم ووجودهم التي قد يكتب عليهم ان يخوضوها في المستقبل ، في ظروف اسوأ .

لقد غامروا بكل ما يملكون ، بحرياتهم واموالهم ورفاهيتهم وحتى بارواحهم في هذه الاشهر الماضية ، حتى لا يضطروا الى فقدها ولكن على نطاق اوسع عندما تنفذ مؤامرات الخونة والعملاء من حكام العرب بالتواطؤ مع الاستعمار الذي كان يبغي تمزيق الاردن وسوريا ولبنان لحساب ومصلحة اسرائيل وتركيا ودول حلف بغداد .

لقد كانت الثورة مغامرة ، تحتمل الهزيمة او الانكسار ولكن الشعب اللبناني قد قبل الاقدام على هذه المغامرة في وقت اصبحت فيه البوادر على نوايا الاستعمار لتنفيذ خططه على اكثر ما يكون من الوضوح . وقد اظهرت الحوادث أن توقيت الثورة اللبنانية كان موفقا اذ كبح من حدة المؤامرات الاستعمارية التي بلغت ذروة ضراوتها في الاونة الاخيرة ، وعجل في تطوير الاحداث التي ادت الى انتصارات القومية العربية المتتالية بنجاح الثورة العراقية وبظفر الاقتراح العربي في الجمعية العامة وبانضمام المغرب وتونس الى الجامعة العربية ، وبزوال حكم شمعون وبزعزعة حكم الحسين والرفاعي زعزعة لن يفيق منها .

لقد كانت الثورة اللبنانية نصرا للعرب وللبنان لانها فضلت الذهاب الى مهب الخطر بدلا من القعود في انتظاره .

وكل معركة ، مهما كان ضيق ميدانها ، تحتمل هذا الحظ من تلافي خسائر اكبر عندما يهب المحاربون الى مواجهة الخطر في اللحظة المناسبة .

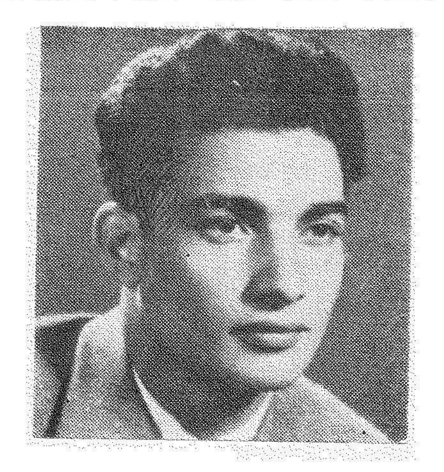
وقد يكون في هذه الحقيقة بعض الجواب على السؤال: كيف يمكن ان يجتمع التعلق بالحياة مع ضرورة المجازفة بالحياة ؟

فالحقيقة اليومية تثبت ان الموت يهرب ممن يطلبه وان لعبة المخاطرة بالحياة اضمن وسيلة لحفظ حياة الفرد وحياة المجتمع ، وتعطي كل لحظة من عمر المخاطر من الكثافة والعمق والغنى ما يعادل عمرا بأكمله .

وكما ان التاريخ الحديث يثبت الترابط الكامل بين حياة الشعوب وتكافلها وتضامنها في المصير بحيث ان انتصار شعب يؤدي الى دعم جبهة الشعوب بكاملها ، وكما ان تطور القومية العربية اثبت ارتباط لبنان بمصائر الدول العربية ، كذلك اظهرت الثورة اللبنانية بمسبقاتها ان كل اعتداء على اي لبناني وعلى حياته يشكل تهديد لحياة كل اللبنانيين وكل حرياتهم . فلازاحة هذا الكابوس الذي يهددهم في كل لحظة ثار اللبنانيون .

لقد غامروا بالحياة ليوهبوا الطمأنينة الدائمة على حياتهم وحياة مواطنيهم وحياة العرب ، ولينقذوا ما هو اسمى واثمن من الحياة : الحرية والكرامة والامن من كل خوف .

علي سعد



شهيد الكلمة !

« الى روح نسيب المتني رمز الثورة العربية في لبنان »

لم يكن شيئا غريبا ...
لا ، ولم يولد رسولا في يديه المعجزه ..
لا .. ولا باركت الشمس جبينه ..
كان انسانا ...
ودودا كالنسيم ...
دافئا كاللمحة المتقده ...
عاريا كالارز ، معروقا كلبنان المدمَّى ..
حاملا في قلبه الغائر دنيا موصده ..
وذراعا مجهده ..
وكما تولد في قلب العراء الامنية
ثم تنمو ..
فاذا الحب جناح
واذا الاصرار قلب ..
والبطولات ذراع ...
وكما يولد بعض الناس ميلادا جديدا ..
ولدت قصة ثائر ..
حاملا في شفتيه الكلمه ..!

***

يا شهيد الكلمه ..
اصبحت بعدك ثأرا ولهيبا ..
اصبحت تسحق « نيرون » وتبنى كل « روما »
اصبحت تغسل بالنور الدروب المظلمه
والقلوب المعتمه ...
اصبحت سحرا .. وكانت
باطلا .. شكا مريبا ...
ولكي تصمد في الريح الحروف العاريه ..
ولكي تبقى جسورا في فراغ الهاويه ..
ولكي تحفر في الدرب خطوطا بانيه ..
ولكي تمتد من خلف الدجى كف مضيئه ..
تلد الاشواق والافراح والرؤيا العجيبه ..
... تصبح الانفس والآجال ادنى تضحيه !
ولكي تبصر في الضوء العيون الوانيه ..
ولكي تورق في الارض العروق الذاوية ..
اومضت طلقة غادر ...
طلقة توقف قلبا ..
طلقة توقظ شعبا ...
فاذا لبنان ثائر
واذا الارض بشائر
واذا الاحرار ملتفون حول الكلمه !

***

عندما يصبح كل النور ان توقد شمعه ..
فوق احزان بلادي
وترى الكون عناقا ووادادا ومحبة ..
رغم أثواب الحداد ..
وتعيش الغد مبهورا ... كأن العمر رغبه ..
عندما يصبح كل النور ان توقد شمعه
في ليالينا الطويله ..
عندها ...
يصبح الهمس بطوله !!

فاروق شوشة
القاهرة



بغداد .. والموت !

من قبل ان يذبح ، كان ميتا
يبكي ببغداد ، زمانا ميتا

يبحث عن حجابه ، عن شاعر
ببابه ، يسمعه : أنت الفتى !

فلا يرى الا عيونا ، من لظى
تملأ جوف القصر رعبا صامتا
الا قتيلا ، لم يمت ، ولم يزل
يسأل بغداد .. متى الثأر ، متى ؟!

★

بغداد درب صامت ، وقبة على ضريح
ذبابة في الصيف ، لا يهزها تيار ريح
نهر ، مضت عليه اعوام طوال ، لم يفض
واغنيات محزنه
الحزن فيها راكد ، لا ينتفض
وميّت .. هيكل انسان قديم
سيف على صدر الجدار ، خنجر من النضار
أردية ملونه
غطت ضلوعا ، من هشيم
وامرأة ، تغلق في وجه المساء بابها
تبكي على اخشابه .. أحبابها .
واوجه ، منقبات ، لا تبوح !
بغداد سور ما له باب
بغداد تحت السطح سرداب
الفجر فيه ، في سواد احرف ، على الورق
والشمس فيه ، واستدارة الافق

وشمعة تراقصت من حولها سود الظلال
وسبعة من الرجال
جباههم مجرى عرق
وجوههم معتّمات ، لا تبوح
عيونهم لا تستريح
تنفذ في السرداب ، تعلو .. حيث بغداد تنوح !
تمشي على نقش قديم في الخشب :
« عاش العرب » !

. . . .

وأزّ في نهاية السرداب باب
وشدت العيون نحوه ، كأنها حراب
صدى خطى .. افسد وقعها الكلال
القلب دق !
النسر حط في دمشق !
عدنان طير لا ينال !!

★

من قاع حفرتي ، أغنى ، يا أوائل النهار
أحلم ، كالبذور في الثرى ، بعيد الاخضرار
وكلما يئست من بعثى ، ومن صدق المدار
ندّى ثراي دمع بغداد ، فعاد الانتظار

★

من قاع حفرتي ، رأيت الشمس تأتي ، كل يوم
تأتي ، ولا ترحم نائما سعيدا ، طيّ حلم
تأتي ، ولو لم يدعها كف ، ولم يصلّ فم
تأتي ، فكم طفل مشى ، وكم طوى الثرى هرم!

من قاع حفرتي ، سمعت قصتي ، تطوى البلاد
كالطائر الليلي ، تبكيني ، وتبذر السهاد
بغداد !!
طفلك القتيل ساهر ، تحت الرماد ..
منتظر ان تكتبي بالفأس .. تاريخ المعاد !

*

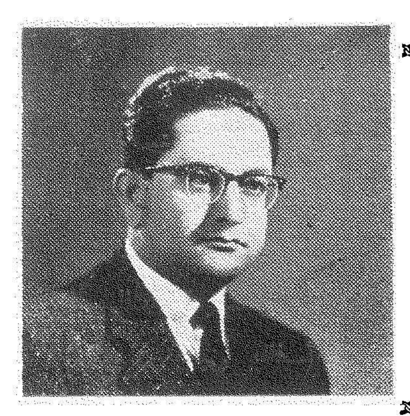
الموت .. ليس أن توارى في الثرى
ولا الحياة ... ان تسير فوقه
الزرع ... يبدأ الحياة في الثرى
ويبدأ الموت ، اذا ما شقه
فامنح هواك للذي يحيا ، واعط
للتراب ما استباحوا خنقه
فلن تموت يا مسيح ! انما
على الصليب ، ينتهى من دقه !

*

بغداد ، طفلها على باب الدفاع
لم يغتمض جفناه ، لم يسكن بجنبه ذراع
مرتفع ، وثائر الشعر ، ومطلول الجراح
كأنه ... يخطب في جنوده ، يوم الصراع
كأنه ... ما زال هاربا ، يعاكس الرياح
يا ... يا صلاح !
يا .. يا صلاح !
أطفال بغداد ، بجانب الجدار ، يهمسون
رد علينا ، ان صمتك الطويل ، يقطع الصبر الجميل
رد علينا ، ما الذي عرفت في عام الرحيل
يا قائد الثوار ! يا حيران بالحلم النبيل !
هل يجمع العرب الشتات ؟
هل يدفنون قاتلا، من قبل ان يموت .. مات ؟!
يا ... يا صلاح !

يا ... يا صلاح !
الى اللقاء !.. لن نقول : الوداع !!
بغداد ليل ما به نجم
بغداد فجر لاهب ، جهم
يا اهل بغداد اخرجوا .. لا تتركوه
بغداد ارض ، قلب المحراث في دروبها ،
فأنبتت مليون ساق
تزاحمت ، والنوم في عيونها ،
وفي ثيابها روائح الزقاق ،
تزاحمت ، يا ويله عبد الاله
من ثورة القتلى ، ومن ثأر الحياه
الميت المسكين ، يرمى الموت في وجه الجنود
يبحث عن باب النجاه !
لا تتركوه !
لا تتركوه !
لا ترجعوا من قصره سود الوجوه
يا اهل بغداد اخرجوا ...
سدوا عيونه التي اغلقها دون الصباح
شلوا يمينه التي كم حفرت حمر الجراح
يا .. يا صلاح !
باسم جديد عدت يا عبد الكريم
يا .. يا صلاح !
باسم جديد عدت يا عبد السلام
باسم جديد عدت يا شعب العراق
يا ايها الطفل القتيل ، قد بعثت من جديد
يا اهل بغداد اخرجوا .. اليوم عيد
عدوكم ظل على .. باب الدفاع
ظل بلا ملامح ، بلا ذراع
ظل ، تعافه الطيور .. فادفنوه !

احمد عبد المعطى حجازي
القاهرة



الواقع العميق

بقلم جوزف مغيزل

تمر الامم في محن كثيرة عبر تاريخها ، وغالبا ما تكون تلك المحن ابواب خلاص لها ومدارج تقدم ، ان هي لم تستسلم للظرف العصيب ، بل عرفت كيف تحد من اضراره وتفيد من عبره .

ونحن اليوم في لبنان نعيش واحدة من الشدائد القاسية تختبرنا كشعب وكافراد ، فيعرف ما اذا كنا اهلا بالحياة الحرة ، قديرين على تخطي العقبات الكأداء ، جديرين بتسلم قيادة شعبنا وبناء مستقبله الافضل .

وان لمحة على تاريخنا تدلنا دلالة كافية على اننا لا زلنا مجتمعا في طور النشوء والتكوين ، لما يبلغ بعد شكله ومستواه الثابتين النهائيين ، سواء من الناحيةالقومية كأمة او من الناحية المجتمعية كديمقراطيةحقيقية.

وفي عرفنا ان المحنة التي تهز كياننا اذ تدعونا بقساوة وعنف الى مجابهة معاضلنا وتبصر قضيتنا بجرأة وتفهم وعمق ، سوف تكون ــ اذا شئنا ــ حلقةفي تطورنا نحو التقدم وحركة في تمخضنا عن صيرورتنا النبيلة.

وقد يبدو من الصعب ان نكشف عن كل المكامن السياسية التي سببت مباشرة او مداورة الازمة الوطنية الراهنة ، وقد يختلف الرأي العام في تحديد تلك الاسباب فتنبذ فئة ما تتمسك به فئة اخرى .

غير انه في نظرنا ـ وان وجب من الناحية العلمية الواقعية ان نستشف الدوافع القريبة للمحنة ـ يبقى من الاهم ان نرقى الى ما هو ابعد من تعديل الدستور في سبيل تجديد ولاية رئيس جمهورية وابعد من خصومات رجال السياسة ، الى ما هو ابعد من بعض الاحداث ، علينا ان نسبر غور تلك الظاهرات السياسية فندرك جذورها والمعضلات التي تكمن وراءها وتفجرها ، ونسعى على ضوء ذلك الى الخروج من الشدة بخطوات حاسمة جادة نحو بناء الغد الذي نريد .

ان الكثيرين يعلنون ان المعركة القائمة ليست معركة الجيل الطالع ، انما هي معركة الجيل الحاكم المولي ، ومن ثم فانه لا يترتب علينا تحمل اية تبعة في هذه المرحلة بالذات ، وان همنا محصور في الخروج من البلية باسرع وقت واقل ضرر لاستعادة الراحة والطمانينة .

وقد كنا نوافق هؤلاء المواطنين على رأيهم لو ان النزاع انحصر بين رجال السياسة فحسب ولم يتجاوزهم الى صفوف الشعب .

اما وقد اشترك في الصراع معظم الشعب ، فلا بد من الاقبال على معالجة الاوضاع ان لم يكن من الناحية السياسية في معناها الضيق فمن الناحية العامة الشعبية والوطنية ، لان الازمة الحالية مزدوجة التركيب.

ان لها دوافع سياسية تتجلى في منازعات رجال السياسة من معارضين وموالين حول نقاط معينة معلنة او مستورة ، ولها مضمون مجتمعي يتجلى في تألب الجماهير الوطنية حول اتجاهات معاكسة . وهذا الباطن المجتمعي للنزاع هو الذي يفرض علينا مواجهة المعضلة القائمة مواجهة المسؤولين الواعين .

وفي عرفنا انه لا يمكن فهم ازمتنا الا بادراك الامور القصية وفي مقدمتها:

١ ــ التيار الثوري العربي الجديد . ــ ٢ ــ الصراع العالمي ــ ٣ القضية القومية ــ ٤ ــ نظامنا الديمقراطي والاجتماعي ــ ٥ ــ القيادات الشعبية.

التيار الثوري العربي الجديد

منذ مئات السنين والشعوب العربية في مركز الضعف والكبو ، تسيطر عليها الدول الاستعمارية وتقرر مصائرها دونما اعتبار او تقدير . وقد اتت قضية فلسطين تكريسا دوليا صارخا لسياسة العالم الاجنبي تجاه العرب وتعبيرا مدويا لنظرياتهم الاحتقارية لهم . ولعل العرب كانوا بحاجة الى امتهان وهزة كهذين لتستيقظ كراماتهم وتنتفض هممهم .

وبالفعل كانت الاستقلالات المحصلة ومعركة فلسطين مهماز الاجيال الطالعة العربية وخميرة الوعي والتحرك ، فحصلت الانقلابات في سوريا منذ ١٩٤٩ وتبعتها الثورة في مصر سنة ١٩٥٢ فقلبت طبقة بكاملها ــ طبقة الاثرياء والباشوات ــ لتحل محلها العسكريين والطبقة المتوسطة واطاحت بالنظام الملكي لتحل محله النظام الجمهوري ــ وكان من شأن كل ذلك ان يحدث الامور التالية :

١ ــ ان يبعث عند العرب الوجدان القومي .

٢ ــ أن تهتز مشاعر الصفوف الشعبية العربية فتخلق في نفوسها الروح الثورية او الانقلابية على الاقل وتوقظ في خواطرها وعيا متزايدا لامكانيات قواها .

٣ ــ أن تحدث موجة معادية لكل الانظمة القائمة التقليدية في باقي البلدان العربية تلقي الريبة على سياسات هذه الانظمة واوليائها ، لاسيما بالنسبة للعلاقات الخارجية مع الدول الاجنبية الكبرى التي ساهمت في خلق اسرائيل.

وقد انجبت هذه الامور تيارين جديدين :

١ ــ القومية العربية الثورية التي تأبى الانتساب الى كل حركة عربية سابقة ايا كانت ، وتعتبر تاريخ العرب السابق لها تاريخ عبودية وتاريخ العرب المبتديء بها تاريخ تحرر .

وهذا المفهوم الجديد للعروبة يستتبع القضاء على كل ما لا يساير حركتها مسايرة كلية مما يفسر لنا الحرب التي تشنها بلا هوادة مصر الثورة على حكومات الدول العربية المحافظة الاخرى وسياساتها .

٢ ــ الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، اي التخلص من سيطرة الغرب وتقرير المصير بحرية واستقلال غير مقيدين باي قيد حتى ولا باعتبارات الدبلوماسية التقليدية والمجاملات المألوفة في العرف الدولي .

ولبنان ، شأن كل بلد عربي ان لم يكن اكثر من اي بلد عربي اخر – لم يكن بوسعه الا ان يتأثر بالتيار القومي الثوري الجديد ، هذا التيار الذي لعب دوره في تحضير الازمة الحالية التي كانت ازمة نفسية وعاطفية قبل ان تظهر الى حيز الوجود المادي العنيف .

الصراع العالمي

لم يشهد العالم في تاريخه انقساما كالذي نشهده اليوم – جباران عملاقان يتجاذبان الكرة الارضية .

دولة الاتحاد السوفياتي ومعها الشيوعية الدولية ودولة الولايات المتحدة ومعها الرأسمالية الدولية .

شعارهما اما معنا واما ضدنا. وان لم تكن معنا فانت ضدنا فلا مجال اذن لمعسكر ثالث . الحياد في نظرهما تحيز مستور . فمن يخرج من كتلة الغرب الى موقف الحياد يعتبره هذا الغرب على انه انحاز في الواقع الى الشرق ووقع في شراكه (كمصر مثلا) ومن يخرج من كتلة الشرق الى موقف الحياد يعتبره هذا الشرق على انه انحاز في الواقع الى الغرب ووقع في شراكه (كيوغسلافيا مثلا) .

ولما كانت مناقبية الدهر قد اعلنت ان الحق بجانب القوة فمن يخالف الاقوياء ومن ثم نظرياتهم فانه على ضلال . وقد ساد الاعتقاد بان الاخذ بمبدأ الحياد بين القطبين انما هو الخطأ والوهم بالذات . ولكي يوهما دول العالم الاخرى، تستر المعسكران بالدفاع عن القيم العليا والحقوق المهضومة فتمنطق الغرب بدرع انقاذ الحرية والمحافظة على الروحانية وتمنطق الشرق بدرع حماية الطبقات الكادحة ومناصرة الشعوب المستعمرة واحتكرا هذا الدفاع . وقد اصبح على الشعوب الصغيرة التي لا ناقة لها ولا جمل في الصراع المحتدم بين العملاقين : اما ان تنجر وراء احدهما وتتقيد بما يرسم من خطط ومشاريع ، واما ان تتعذب وتتحمل الضغط والمتاعب .

اجل يريد المعسكران الامم – والصغيرة منها خصوصا – على ان تختار بينهما راضية او ان تنقسم على ذاتها فتختار كارهة او تتعذب . وبين الاحتمالين ، راحت الدول الصغرى تعاني مشكلة نفسية كثيرا ما تتحول الى ازمة وطنية كما هي الحال عندنا اليوم في لبنان .

ولما كان قد قيض لوطننا ان يقع في بقعة جغرافية متوسطة بين الشرق والغرب فتتلاقى فيه تأثيرات التيارين الجبارين بقوة متساوية ، وبدل ان يؤدي هذا التلاقي الى تفاعل خير مثمر عن طريق الجدلية المسالمة ، اذا بالتفاعل يتم عن طريق التصادم العنيف الدامي . وما التهم التي يتراشق بها اليوم الفريقان المتخاصمان عندنا فيتهم المعارضون الموالين انهم عملاء الاستعمار الانكلو الاميركي ، ويتهم الموالون المعارضين انهم عملاء الشيوعية الدولية ، ما ذلك سوى تعبير سياسي للصراع الدائرة رحاه في ربوعنا بين المعسكرين العالميين.

قضيتنا القومية

وحتى يومنا هذا ، لم يتم في لبنان اجماع المواطنين على هويتهم القومية . فمن قائل بانه قومي لبناني محض ، الى قائل بانه قومي سوري ، الى قائل بانه قومي عربي ، الى قائل بانه مواطني لا قومي .

وامام هذه البلبلة في الاتجاهات القومية نتساءل : ترى ايكون اللبنانيون متعددي القوميات ، ام انهم ذات قومية واحدة ضلوا سبيلها فلم يهتدوا بعد جميعا اليها ؟ ونتساءل ايضا : أمن الخير والضرورة ان يبت اللبنانيون بهويتهم القومية ام على العكس من الخير والضرورة ان يطرحوا هذه المعضلة جانبا ، فيأخذوا بالمواطنية دون القومية ؟

نسرع هنا فنجيب ان عدم البحث في القومية يصح فيما لو رضي جميع السكان الا يبحثوا فيها ، اما اذا ما اثار قسم من السكان القضية القومية فمن المستحيل عدم التعرض لها ويتحتم على الجميع البت فيها ويغدو تجاهلها او الاعراض عنها موقفا وهميا غير مفيد . ونحن في لبنان لا يسعنا سوى خوض غمار المعركة القومية والفصل فيمنازعاتنا فيها لانها مطروحة عندنا على بساط البحث بأعنف شكل .

ولعل موقف لبنان حتى اليوم ، اي اعراضه عن مواجهة المشكلة القومية بجد وتصميم وتغطية الخلافات القومية بعبارات المجاهلة والمخادعة والرياء ، هو ما حول المصارحة العلنية المخلصة والعمل الى التوافق في هذ الحقل الى كبت نفسي ثم الى عقد نفسية خاصة وعامة .

وفي الانقسام الهائل اليوم بين فئات الشعب يد طولى لظهور الشعور القومي المكبوت باشكال عدائية تعددت بتطرفها – كردة فعل نفسية – حقيقتها الصافية الهادئة ، فاذا بالمواطن القومي العربي يتجه بردة فعل نفسية – نحو مراكز القومية العربية المغالية ، واذا بالمواطن القومي اللبناني يتجه – بردة فعل نفسية ايضا – نحو امكانيات الحماية الخارجية!

هذه هي الهوة التي تفصل اليوم بين ابناء الوطن الواحد، هوة نفسية تعكس خلافا جوهريا حول الهوية القومية التي يريد كل لبناني مخلص ان يستقر نهائيا على حقيقتها .

ولا عجب في مثل هذه الحالة النفسية المتطرفة ان تطفو على نفس المواطنين وقلوبهم المهيجة رواسب الماضي البغيض من طائفية وعصبية واقليمية وتوسعية .

ولا عجب ايضا ان يتهافت المستغلون من السياسيين والنفعيون من المتزعمين على هذه الحالة ليزجوا بمصالحهم وغاياتهم فيها ويزيدوها تشويها وغموضا .

اما من يترفع عن الملابسات والمضاعفات ويحافظ على ادراكه ووضوح عقله واخلاصه وينفض الاعراض والقشور فيعيد القضية الى نصابها ويقعدها في اطارها الصحيح فانه يرى ان لبنان يعاني اليوم فيما يعاني – تحت غبار الاحداث والرواسب الكثيف – ازمته القومية ، انه يفتش عن هويته. ماذا تراه يكون : لبنانيا صرفا ام سوريا ام عربيا ؟

قضيتنا الديمقراطية

منذ النظام الاقطاعي العتيق الذي عاشه مجتمعنا حتى منتصف القرن التاسع عشر ، الى فشل محاولات الحركة الاجتماعية التحررية في القرن نفسه بسبب الانقسام الديني الذي بعثه وكرسه الحكم العثماني تحت اشراف الدول الغربية ، الى تنظيم لبنان كولاية عثمانية يحكمه حكام اجانب

وفقا لنظام منبثق عن وضع شاذ جعلوه اساسا لحياة دائمة طبيعية فاستمر من سنة ١٨٦١ حتى الحرب العالية الاولى (النظام الاساسي سنة ١٨٦١) - لم يعط لبنان فرصة لممارسة حياة ديموقراطية صحيحة .

وعندما حل الانتداب، كان هم الانتداب الاول كسب المغانم واخضاع البلاد لسيطرته على الطريقة الاستعمارية . فحكمها - لا حسب روح شرعة عصبة الامم اي في سبيل ابلاغها الحياة المستقلة المحترمة و الديمقراطية الصحيحة الخيرة - بل حكمها حسب روح نظام ١٨٦١ وذهنية القرن التاسع عشر . فكرس التفريق الديني كاساس للتمثيل الشعبي بدل ان يعمد الى ازالة كل اثر للتفرقة القديمة ويحل الوحدة القومية مكانها عملا بمباديء الحضارة الغربية نفسها. وهكذا قضى لبنان خمسة وعشرين عاما تحت الانتداب ، وعوض ان يتمرس على النظم الجمهورية الديمقراطية الحقة تمرس على تقاليد رجعية ابعد ما تكون عن الديمقراطية والوطنية.

وقد ولد الاستقلال في هذا المهد من التفسخ القومي والانحراف المناقبي ، بين ايدي الساسة من ابناء المدرسة العثمانية الانتدابية . وهكذا نشأت فئة من الاثرياء والاقطاعيين احتلت مراكز القيادة ومقاعد الحكم في السلطتين التنفيذية والتشريعية ، فئة فهمت الاستقلال ضربا من السيطرة العابثة والاستقلال بدون رقيب وراحت تتعاطى بالشؤون العامة والادارة والثروات الوطنية كانها فريسة او غنيمة . وقد رأت هذه الفئة ان الاطار القديم ملائم مصالحها ، فوطدته ورفعت الرواسب الطائفية والرجعية الى مرتبة الصفات العامة والتقاليد الثابتة ، فغرس في نفس المواطن ان يرى وطنه خلال طائفيته ودولته خلال نائبه الطائفي ووظيفته ومصالحه وحقوقه خلال حصة طائفته من كوتا الادارة والاعمال والشؤون العامة .

وهكذا تركز في قلب اللبناني التعصب الطائفي بدل ان يتركز في قلبه التعصب الوطني .

وقد رافق ذلك فقدان التربية المدنية والتوجيه الصحيح في المعاهد والمدارس لا بل افسح المجال حرا طليقا امام التيارات الاجنبية تتنازع الناشئة وتلقنها كل شيء ما عدا الروح الوطنية والوعي القومي والحس المدني.

وبني ذلك كله على قاعدة اجتماعية متداعية : انخفاض في مستوى المعيشة عند اغلبية السكان وتفشي البطالة المتزايدة لاسيما في القرى التي راحت تقفر من اهاليها بداعي الهجرة الى المدينة وديار الاغتراب ، وفقدان التشريع الاجتماعي ، واضطرب بين علاقات ارباب الصناعات والاعمال الناشئة والجرائم .

كل ذلك افسح المجال امام المتزعمين والمتمولين لينقضوا على الوضع يستغلونه بدون هوادة ، فلجأوا الى الطائفية والخدمات الشخصية والرشوة كابواب شبه رسمية يلجونها الى النيابة والمناصب العليا . ومع الزمن فسد مفهوم المصلحة العامة والدولة والمؤسسات واختلطت المقاييس والقيم وافرغت الحياة الديمقراطية من مضمونها الحقيقي فاصبحت شكلية ، فاذا بالتمثيل النيابي وسيلة لحماية المصالح الرأسمالية والقوى الاقطاعية وامتداد للسلطة التنفيذية ، واذا بالمجلس النيابي ابعد ما يكون عن تمثيل الارادة الشعبية ولا يتجاوب مع حاجات البلاد وتياراتها ، والبرلمان الحالي اصدق صورة عن ديمقراطيتنا الشكلية اذ ظل غائبا لم ينعقد مرة منذ نشوب الازمة المستحكمة ليتدارسها ويجد لها الحلول المنشودة ، في حين رأينا كافة الهيئات تنكب على الحالة تحاول معالجتها .

وعندما لا يجد الشعب نفسه منعكسا في مؤسساته يتبرأ منها وتسقط قيمة شرعيتها في ذهنه فيسعى الى استعادة سلطته بالسلم او بالقوة .

القيادات الشعبية

ان مراقبة انظمة الحكم في دول العالم تدلنا على ان قيام الدول الديمقراطية الحقة ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام التمثيلي الحزبي ، وان اكثر تلك الديمقراطيات نجاحا هي التي ترتكز على الاساس الحزبي الثنائي (بريطانيا والولايات المتحدة مثلا) واكثرها تخلفا هي تلك التي لم تعرف بعد التمثيل الحزبي التام ولا تزال تعتمد الزعامات الشخصية (من متمولين واقطاعيين) لتأليف المجالس النيابية .

ذلك ان الاحزاب السياسية والنقابات وحدها تستطيع تكتيل المواطنين تكتيلا نضاليا منظما حول مطالب واضحة

جماعية سليمة توضع في قوالب برنامجية وتخضع في تحقيقها لخطط مرسومة قريبة او بعيدة المدى ولرقابة متواصلة جدية .

ونحن في لبنان لا نزال نحيا ديمقراطيتنا خارج التمثيل الحزبي ، اي بعيدا عن قاعدتها الصحيحة . اما الاحزاب القائمة فلم تصبح بعد القاعدة المنشودة لحياتنا الديمقراطية!

١ ـ لانها تشكو في تكوينها علة الطائفية او الاقليمية، وتشكو ازدواجية الشخصية اذ تعلن ما لا تفعل وتبطن غير ما تظهر . فهي احزاب فئتية غير وطنية .

٢ ـ لانها ضئيلةالاثر جدا في حياتنا التمثيلية النيابية (فعلى ٦٦ نائبا في المجلس الحالي يمثل الحزب القومي السوري مقعدا واحدا ـ والكتائب مقعدا واحدا ـ والاشتراكي مقعدا واحدا ، والشيوعيون وباقي الاحزاب لا شيء) .

٣ ـ لانها نزاعة الى الحكم الفردي لا الديمقراطي نظرا لظروف نشأتها التاريخية وتركيب قياداتها الاجتماعية .

لا بل لاحظنا حتى اليوم في الفترات الخطرة من حياتنا الوطنية ان الاحزاب الموجودة نفسها غالبا ما تنقاد وراء الزعماء وما يؤلبون من حركات بدل ان تتولى هي بنفسها قيادة تلك الحركات وتوجيهها ، مما اضعف ثقة الرأي العام بتلك الاحزاب وبامكانياتها وفعالية ادوارها .

وقد استتبع وضع الاحزاب هذا ان ظلت الجماهير باغلبيتها الحية خصوصا (الطبقة العاملة والمثقفون) خارج النضال غير منضوية في الاطر الحزبية . كما تعرضت القوى الشعبية للتبعثر والتشتت وافسح المجال امام المستغلين ليسيطروا عليها بوسائل غير ديمقراطية (بواسطة الازلام والاموال والخدمات والتهديدات والاوهام) . ولما كان الزعماء السياسيون المنفردون غير الحزبيين قلما يراودهم غير احلام ومصالح شخصية ، فهم لا يضعون لنشاطاتهم اهدافا بعيدة عامة وخططا سليمة . وان دراسة جدية لتركيب البرلمانات المتتابعة عندنا وتحليل نشاطها لافصح بينة على ما نقول

وهكذا نرى الصفوف الشعبية تسير وراء السياسيين على غير هدى تخدمهم وتخوض المعارك تحت امرتهم ولا تعلم ماذا ستجني لنفسها سوى التضحية والبذل .

ولعل المعركة الدائرة رحاها اليوم في لبنان اسطع مثال على فقدان القيادة الشعبية المنظمة وعجز الاحزاب الموجودة عن دور التوجيه فيها ولعبها دور التبعية المسيرة وما يكلف هذا الوضع من تضحيات وخسائر دونما هدف مرسوم او كسب شعبي محسوس .

***

ان اسباب محنتنا معقدة جدا ولا تستنفد تعدادها مثل هذه الملاحظات . واذا اردنا الاشارة الى الاخر منها الذي يستحر بشدة في صميم مجتمعنا الصغير ، فسعيا وراء تفهم اوضاعنا تفهما جديا واقعيا وتدليلا على ان الازمة ليست ظاهرة سطحية مفتعلة بل تعبر عن معاضل قصية راهنة ورغبة منا في تخطيط مسلكنا تجاهها تخطيطا علميا وعمليا يستند الى الواقع العميق .

جوزيف مغيزل

مقاومة شعبية!

مهداة الى صائب سلام

عمري ، على هز السوانح
لهواك يا بلدي يكافح
حريتي دميت ، فحرب
عزتي، والنبل جامح
يا ادمعي جفت ، وشد
خيالها ، لهب الجوارح
حر النداء ، وموعدي
صاف ، وحق النصر كالح
مني الجهاد وبذله
يفدي قضية اي نائح

***

يا « عهد » رواك الفجور
بنشوة السود الروائح
انزلت هما بالاباء
فجن تحت العار رازح
عزمي تأجج ، والهتاف
يئن في قلبي المسامح
قصفتك يا محتل ارض
النور نقمة كل كادح
شرف البقاء ، ولن تكون
هنا أيا محتل فاتح

***

يا غاصبين وفوق غزوكم
صدى الاحرار صائح
سأزيلكم .. سأبيد شركم
ليسلم كل صالح
اشقى ، اموت انا ، بمعركة
العلى واظل طامح
ويظل حبي سيدا
حب الالى سادوا يصافح

جورج رجي

نحن أحرار..

الى الجمهورية العراقية

الشمس في مدينتي
تشرقُ
والاجراسْ
تقرع للابطال
فاستيقظي حبيبتي فاننا احرار
كالنار
كالعصفور
كالنهار
فلم يعد يفصل فيما بيننا جدار
ولم يعد يحكمنا طاغية جبار
لاننا احرار
كالنار
كالعصفور
كالنهار
وشعبنا اقوى من الاعصار
ومن حراب الملك المنهار
فجيشنا العظيم يا حبيبتي
حطمها وسار
يعانق الشعب، كما يعانق التيار
شواطيء البحار
فاستيقظي حبيبتي
فان في مدينتي الاعراس
تقام ، والاجراس
تقرع للابطال

عبد الوهاب البياتي

اغنية الى بغداد

النهر لا يموت

الليل والرياح والثلوج
اغنية سوداء في المروج
لا خطو ، لا وميض ، لا اريج
وغابت الرعاة في الجبل
ظل يذوب خلف ظل
يا ويل من رمى به الضياع
بين الدجى والقيد والجراح
يجالد السحاب والرياح
متى يرف فوق نهره شراع
يزف طلعة الصباح ؟..
وصاح طير اخضر الجناح
الفجر لاح
والشمس فاضت في غد على التلال
النهر يكسر الجليد
النهر لا يموت

— • —

على مشارف النهار دم
يهيج وحشيَّ النغم
وصيحة الشهيد كل يوم
تؤرق الجلاد
وسائل يدق في بغداد
مضاجع الاموات
لكنها لا تفتح الابواب للعناه
منذ اختفت عن اعين الحياه
والشعب في معسكرات الاعتقال
وفي المنافى مارد سجين
متى ترف طلعة الصباح ؟
وصاح طير راعف الجناح :
الفجر لاح
والشمس فاضت حرة على التلال
النهر كسَّر الجليد
النهر لا يموت

حسن فتح الباب

جيل القلق والمأساة ...

بقلم محيي الدين صبحي

كان الجيل الذي قام بثورة الشريف حسين اول جيل تمرد على الاستعمار على اساس قومي عربي ، وان كانت الافكار الاسلامية ظلت تراوده ، لكن الثورة انهارت بسبب القاعدة الضيقة التي استندت عليها ، وتأسست بانهيارها دعائم استعمارية قوية عانى مأساتها وتحمل ثقل وطأتها الجيل الذي ولد ابان ارسائها .

ان الجيل الذي ولد ما بين ١٩١٥-١٩٢٥ هو الجيل الذي تحمل الازمة السياسية للانسان العربي : امة ممزقة مستضعفة مغلوبة على أمرها ، ليس لكرامتها حساب رغم ماضيها ومجدها . هذا الجيل هو الذي عاش مذلة امة وعاش التمرد على المذلة ، وكان وقودا لكل الحركات التي ترد الى العرب شيئا من قيمتهم . كان رفضه اول الامر عفويا عشوائيا ... تعبيرا من الداخل عن رفضه لواقع ورثه ولم يرد أن يستمر . وكانت الثورات التي لا تنقطع - في فلسطين مثلا - منفصلة مفككة ، وحين حاول الثائرون ان يوحدوا جهودهم فيما بينهم ، وبينهم وبين الاقطار العربية ، وجه اليهم الملوك والرؤساء انئذ النداء تلو النداء لمهادنة بريطانيا ! ذلك ان المستعمرين عرفوا كيف يربطون مصالح الطبقة الحاكمة بوجودهم ، فكف الحكام عن النضال وتحولوا الى التهريج بمفاوضات مطاطة في الامور الخارجية ، والى الاستبداد وخنق الحريات في الداخل . وبذلك انقلب الصراع من حرب ضد الدخلاء الى محاربة العملاء الذين يزداد تساهلهم مع المستعمرين كلما ازداد تذمر الاهلين والمخلصين ، وكان تسليم فلسطين للمحتلين اقصى ما بلغ به تراجعهم تجاه الاجنبي .

قبل فلسطين كنا نطلب الكرامة ، بعد فلسطين صرنا نطلب الحياة . فاذا صدقت نظرية توينبي في التحديات «Challanges» على امة من امم القرن العشرين ، فانها لتنطبق على الامة العربية . لقد تحدت امم الارض وجودنا حين قذفت باليهود الى شواطئنا . واصبحت القضية حين رسموا حدود دولتهم بين الفرات والنيل : ان نكون او لا نكون ابدا . وليس امام الانسان اكبر من مشكلة وجوده ثم اثبات هوية هذا الوجود وثباتها . لقد كان جواب التحدي عنيفا عنفا ما شهده العرب منذ سيف الدولة الحمداني ! وقد كان رد الفعل شاملا لكل اقطار العرب في شدة واحدة لم يخففها القرب ولا البعد عن فلسطين ، وكان مرأى اللاجئين فجيعة للامة بمصيرها المرتقب . وقد عانت الامة العربية خلال عشرة اعوام ١٩٤٨ - ١٩٥٨ زلزلة خلخلت كل الصيغ التي كانت تؤلف شكلها العام ، فمخضت كيان الامة ونخلت افرادها حتى ان رجال الرعيل الاول في سوريا قد تلاشوا تقريبا منذ ميسلون الى الان بفعل الانقلابات والتغيرات السياسية . وكان أبناء ذلك الجيل - جيل ١٩٢٠ - ١٩٢٥ - قواد النقمة ووقودها ، حتى جعلتهم حماستهم يصنعون في يوم واحد ما صنعته مصر في خمس سنوات : الغوا الملكية ، انسحبوا من الاحلاف ، انضموا الى الصف العربي . ولئن كان قيام الجمهورية العربية المتحدة اكبر نصر للعرب منذ عمورية فان انتفاضة العراق اكبر تثبيت لقدم العرب في تاريخ العالم منذ اليرموك . وقد حمل الجيل الذي استلم قيادة النضال روحا عنيدة وعقيدة راسخة حتى صار يتقبل الخيبة والفشل تقبلا موضوعيا محضا . ولعل ابلغ دليل على صلابة النار في ضمائرهم ما نشرته الجرائد من وصايا زعماء الانقلاب العراقي الى ذويهم في حالة اخفاق حركتهم . ان رجلا يكتب وصيته بيده من اجل عمل قد يورده حتفه ، وبوسعه ان يتراجع عنه كل لحظة ، لهو انسان تخطى انفعاله طاقاته ، حتى لم يعد يستطيع الا ان يعمل وباقصى حد من السرعة . لقد فقد قدرته على الاختيار بين الاقدام والاحجام لانه لا يرى طريقا غير الثورة . ان وصايا هؤلاء الابطال ، ببساطتها وشفافيتها وطيبتها تؤرخ لضمير جيل كامل .

هذا الجيل - جيل التحرير - ما زال يعمل في لبنان والجزائر وبقية الاقطار العربية . اما في الاقطار المستقلة فانه يتابع رسالته في تصفية الوضع الداخلي من العملاء ومحو القوانين الرجعية وادخال التصنيع ورفع مستوى الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

ذلك جيل عرف رسالته ، فكان جيل بطولات وملاحم واستشهاد وتحرر .

اما جيلنا (١٩٣٠ - ١٩٤٠) فهو جيل التمزق ، الجيل الذي يسأل دائما : من انا ؟ لماذا اعيش ؟ ما معنى حياتي؟ جيلنا الذي لم يعتمد استاذا غير سارتر ، ولم يعترف على شيء بعد ان يستريح من الازمات الداخلية - سوى القلق والغثيان والدوار ، هذا الجيل هو الضحية لكل موروث فكري اوصله الينا المجتمع .

انه جيل يعيش على الصليب : عقله في اوربا ، وقلبه في دوامة ، وجسده مع القطيع ، ويدان تقبضان على الهواء .. انه جيل بلا دين ولا حقائق : مشلول، مترنح، لا يملك قبضة متينة يخبط بها وجه الطاولة وهو يصيح : هذا صحيح . ليس لديه شيء صحيح . اننا شبان تعبون من غير عمل ، هرمون دون زمن ، محنكون بلا تجارب ، بيوتنا الارصفة ، آلهتنا لم تأت بعد ، نزواتنا هي معشوقاتنا ، حياتنا بلا مخطط ... كلنا نطمع بالهجرة الى بلاد فيها حرية ، حب، قيم ، سلام .. وبالاختصار « حضارة » ! نحن لم نعش واقعنا مرة .. هربنا منه دائما الى الكتب او الى القمار او الى الاحزاب او الى الخمارات .. جيل متفسخ لم يعترف بمجتمعه ولا اعترف به مجتمعه .. غدونا غرباء . أناس بلا واقع ولا اهداف .. ولا وطن اذا كان الوطن مجموعة ارتباطات انسانية او ذكريات عزيزة ، واحلاما حلوة، وحبا غاليا وقيما سامية واسرة حنونا . نحن مسخ حضاري ابتدأ بالقرآن والسنة وانتهى بعد تطور عميق برأس المال والغثيان والغريب ، فتمرد عالمنا على القوانين ولم يحفل بالخطط او المناهج . انعزل الفرد عن اهله وذويه وتفرق عنه اصحابه واخوانه ثم انفصل عن نفسه وعاش في جحيم من الصراع مع نفسه والناس ، حتى انهد امام قوى غير مرئيـة ولا محدودة كنسر جريح يرمق القمة وفي قلبه امل وفـي عينيه دموع . جيلنا مفجوع باعز ما لديه : حياته . واذا كانت قيمة الحياة في ما ننجزه خلالها فان حياتنا ـ الى الان ـ ليست ذات قيمة تقريبا ، واذا اردنا ان ننصفها قلنا ان قيمتها هدمية تخريبية تمردية ، لم تعرف ابدا ان تستقر نشأنا في عالم كل لذات حياته حرمات : الجنس حرام . الرأي حرام ، الخمر حرام .. سلبية مطلقة ما عرفنا من خلالها منفذا للحلال والهروب من العذاب ! وجاءت السينما ففجرت في قلوبنا ابارا من دم وجروحا من صديد : رأى جيلنا الحب حلاوة ما عرفها ، والحياة انطلاقا ما جربه ، والجمال فتنة مجلوة وعهـده بها يخفيها من القطن والحرير الف حجاب والف ستار ، فتضاعفت فجيعته : كان محروما ولا يعرف فصار محروما ولديه المعرفة . ضاع شبابه ولم يستطع ان يأخذ مكانه لا في الحياة القديمة لانه رفضها ولا في الحياة الجديدة لانها فاجأته ، فعاش في احلامه بعيدا عن كل واقع ، مذهولا من هول الصدمة : كل ما يعرف انه حرام ، اصبح حلالا بالضرورة .. اليس فيهذه المأسـاة شيء من أوديب ؟

جيلنا يحمل المأساة بكل انواعها : انه يعاني مأسـاة وجوده انسانا ، عربيا ، يعيش في القرن العشرين . وهو غير مطالب ـ تجاه نفسه على الاقل ـ بالهدم فقط ، انـه ـ لكي يعيش بحاجة الى بديهيات يبني عليها حياته ، انـه يفتقد هذه المسلمات التي لا بد منها افتقادا مريرا يحطم اعصابه ويجعل راحته شيئا يكاد يكون مستحيلا. فنحن دائما نشكل القاعدة الاساسية التي تدعم نضال الجيل السابق ، حتـى جاء وقت كنا فيه امناء على الاتجاه الثـوري : نحفظـه ونصونه وديعة غالية في قلوبنا ودمائنا ، ندعو اليه بين جدران المدارس والمعتقلات . وما ان تخف الازمة السياسية وتقترب النجاة من ارض الوطن ، حتى نعود الى خلافاتنا الاساسية(★) التي لم يمارس منها الجيل الماضي الا القليل والتي مبعثها القلق على مستقبل امتنا والحرص على الا تضيع الانتصارات والتضحيات سدى .

ان جيلنا مدعو الى حمل القلم الى جانب السلاح لندعم نهضتنا السياسية ـ العسكرية بنهضة فكرية اجتماعية تتلاءم وروح العصر .

وكما كان التوفيق بين الفلسفة والدين، هو العمود الفقري لافكار العصر الوسيط، كذلك فان روح العصر تتجلى في التوفيق بين الحرية والاشتراكية . ومصدر قلقنا اننا لم نكتشف الحقيقة . اي اننا لم نتبن بعد مبادىء عملية واقعية تصون انتصارات امتنا وتزيد عليها تقدما حضاريا . اننا قلقـون لاننا مخلصون جدا ؛ مرضى حساسية نحو الاصلح والافضل والاكمل لامتنا العظيمة . اننا قلقون لاننا نرى سبلا عديدة كلها صالحة ، لكننا نريد الصلاح المثالي والنهائي ، جامعـا لاكثر الحسنات واقل الاخطاء . اننا قلقون لاننا لم نختـر بعد ، وليس لاننا بوجوازيون نشعر بارتجاف الارض تحت

★اتفق حزب البعث العربي الاشتراكي مع الحزب الشيوعي في احدى الفترات ، ولكن الجدل والمناقشات بين الشبان الصغار من الحزبين استمرت وكأن شيئا لم يحدث



ثلاث ترانيم من بلاد الرافدين

« هدية الى الشبيبة العربية في كل اجزاء وطننا الكبير »

١ ـ ترنيمة تموز

في فجر يوم دافىء حنون
أطل « تموز » الحبيب
أبدع ما يكون
يحمل في طياته بشائر الصباح
لنا ... لكل امة العرب
بمولد الضياء في العراق
بغنوة الكفاح :
« النصر لن يكون الا للشعوب
فليخرس الذين يبتنون
في كل يوم قلعة ، ليبتنوا السجون »
فيا رفاقنا ، في اعمق الاعماق
لكم ... لكل أمة العرب
محبة مطبوعة على القلوب
ونحن في غد وعن قريب
سنلتقي بكل امة العرب
في دفء يوم مبدع حنون

٢ ـ ترنيمة الوحدة

وحدتنا الغراء يا رفاق
عميقة الجذور
تحملَ في طياتها علائم النشور
والبعث ، للذين يكدحون
لكل عامل ينوء بالعذاب
لكل زارع يحلم بالحصاد
لكل طالب يشتاق للعلوم
... وحدتنا الغراء من ثمار
جهادنا العظيم
آمنت بالجهاد يا رفاق
بالتضحيات ، بانبعاثنا الجديد
فلتهتفوا
للوحدة الطيبة الثمار

٣ ـ ترنيمة الطريق

طريقنا وعر طويل
فلتطردوا اليأس المريع والشجون
فعزمنا العظيم لن يهون
ونحن لن نهون
ونحن ، عندما نريد أن تكون
بلادنا بكل ما فيها لنا
فللقلوب عزمها العنيد
وللرجال غضبة الابطال
فباركوا النضال بالاعمال
في دربنا المجيد ...

الجمهورية العراقية ـ الحلة

علي الحسيني

اقدامنا وبان ايامنا اضحت معدودة . اننا ما نزال الطليعة الواعية لامتنا الفتية ، وعلينا نحن ان نقرر لها الطريق الذي سوف تسلكه .

واذا كنا مترددين فذلك يعود الى سببين : الاول هو اننا نريد لاشتراكيتنا أن تحتفظ باكبر مقدار من الحرية الفردية لاننا في عصر نهضة،اي في الوقت الذي تأخذ الطاقة الفردية اقصى مداها في تفتحها ، لانها تنمو مستقلة عن اي شكل سابق يراد صبها في قالبه، وبذلك يخلق لدينا الفنان ـ المثال الذي يعيش فنه في حياته الشخصية : انه قصائده او ابطال رواياته ، كما عاش كازانوفا ودانتي وبايرون ، فيخصب ادبنا ويعبر جيلنا عن قلق عصره، ويسجل تطور العلاقات والمجتمع مبشرا بمجتمع جديد ، نصوغ نحن نزوغه المثالي ، ويعيش هو حياة تستند الى بعض البديهيات التي افتقدناها نحن، فاضطررنا الى خلقها ، نحن سنقدم ابداعنا له . اما هو فسوف يقدم ابداعه للعالم في حضارة جديدة ، نحن صخورها وهو بناياتها . فالحرية التي نبحث عنها اذن ليست مرضا بورجوازيا ، ولا موضة طبقة من الطبقات بل هي شرط اساسي لابداعنا واظهار اصالة اجاباتنا لمطاليب العصر . يجب ان تكون حريتنا في المناقشة مطلقة في كل المجالات السياسية ، والدينية ، والاجتماعية ، لان بناءنا الفكري سوف يتكون من كل الاراء التي يحتك بعضها ببعض حتى يخرج من الفكرة وطباقها حل شديد الانسجام مع روحنا العربية . وهنا نصل الى السبب الثاني لترددنا : اننا مقتنعون بضرورة الاشتراكية ولكننا نريدها ملائمة لروحنا القومية . اننا نريدها اشتراكية محلية . نحن نحب ماضينا ونفخر به ولن نسمح لاية عقيدة ان تمسه بسوء او تدعو الى تخلينا عنه ، فهو جزء من وحدتنا . لذلك نرفض كل الحلول المستوردة أو المفروضة من أعلى اذا كانت لا تنسجم مع روح شعبنا وماضيه العريق .

وحين نعطي المفكرين حرية في الانتاج ونضمن لهم سلامتهم من النفي والسجن والحرق والتعذيب ، تشق الاراء التقدمية طريقها بيننا ، فنتخلص بتطور هادىء سليم من عقد الجنس ، وخرافات العقائد ، وتعصبات المذاهب ، وقلق فترات الانتقال . ونخلق جيلا يمارس حرياته الديمقراطية وينصرف الى البناء على الارض التي أوجدنا ترابها من افكارنا ، بعد ان صبغها أسلافنا بدمائهم .

دمشق

محيي الدين صبحي

سالوفه

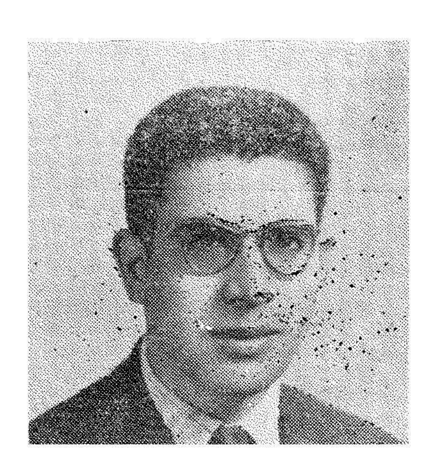
« مهداة الى كل طفل من اطفال جمهوريتنا العراقية الحبيبة ... »

صغيرتي
وقبل حفنة من السنين
كان بوادي الرافدين حاكم بليد
يؤمن بالسياط
والنار والحديد ..
ويقذف الاحرار في السجون
لانهم كانوا ...
ثورة بركان على الظلام ،
اكفهم سلام
لكل انسان يحب كلمة السلام
صغيرتي !
ومرت السنون
تدفن في صدورنا همومها الثقال
وشعبنا الابي ما يزال ... ما يزال
رجاله الاحرار يوقدون
خلف جدار الليل والسجون
قلوبهم شموع
لنا .. ويهزأون بالدموع
وسارقي الدموع
من أعين الشيوخ والاطفال والنساء !
صغيرتي !
وكانت القلوب ،
قلوبنا ..
تطير لهفة الى لقاء
يوم عظيم دونه الزمان والمكان
والارض والسماء ....
وظل ، يا صغيرتي ، يشدنا انتظار
ليومنا العظيم :
قلوبنا ،
عيوننا ،
اكفنا .. انتظار
في الليل والنهار ...
أتسمعين يا صغيرتي !
اتسمعين ؟
اللـــه ! ..
نمتِ ؟!
نمت !..
يا حبيبتي !
الى اللقاء
وفي غد قصتنا ستنتهي
الى اللقاء ..
لابد ان
اقص في غد عليك كيف مات
الحاكم البليد
ورهطه الاشرار ..
في قبضة الثوار ،
ابناء شعبنا العظيم
وكيف عادت الحياة ،
حياتنا ،
حياتكم ..
ياايها الصغار !
هادئة ..
وادعة ..
كنهرنا العظيم
في موسم الحصاد والبذار
الى اللقاء ..
وفي غد قصتنا ستنتهي
صغيرتي !
الى اللقاء ...

لندن

حسن البياتي

البشرى



يا بني ...
لك مني كل شيء .. كل شي !
كل ما اذخره بين يدي
كل ما اعددته فهو اليك
أنا لا أبخل يا طفلي عليك
انت تبنى الغد والمستقبلا
وأنا أدلف هونا للبلى
ينقضي جيل ويستتبع جيل
ونولي ، ولك العمر الطويل
يا بني

**

يا بني
لم تعد طفلا غريرا يا بني
لم تعد تخدع او يلهيك شي
لم اجئك اليوم « بالنحلة » لعبه
لا ، ولا جئتك « بالبونبون » علبه
انني اعددت ذخرا ليس يفنى
ربما فاق غنى ما تتمنى
مكسبا يكفل كل العيش رغدا
خطة تضفي على الامجاد مجدا
يا بني

**

بني
هل عرفت الآن مثلي كل شي ؟
يومنا يوم عظيم ... وهني
ادن مني .. هنني في اذني
وتقبل أنت مني قبلتي ..
وتهيأ .. هاك اغلى ما لدى :
نبأ .. من قبل لم يسمعه حي !
يرقص القلب من الفرحة وقعه
يلهج الالسن بالاعجاب سمعه
يا بني

***

يا بني ..
قضي الامر واوعى كل شي !
فاحمل البشرى وشنف مسمعي
انما البشرى مع الترديد تحلو
نغمات ظافرات لا تمل !
هذه البشرى اذيعت في « العراق » :
« اطبق الجيش وقد فك الوثاق »
« ملك الشعب مقاليد الامور »
« انها الثورة في الفجر تثور »
يا بني

**

يا بني
وذوو الحق استحقوا كل شي !
أو تدري ذلك المغزى القوي ؟
ان معناه عظيم وعميق
انه شعب من العرب عريق
كان مغلوبا بقيد وحديد
كان محكوما بقسر ووعيد
حطم القيد على رغم الطغاه
وانبرى منتزعا حق الحياه
يا بني

**

يا بني ...
لك اعددنا بفخر كل شي !
نحن هيأنا لك العيش الرخى
نحن عشنا في كفاح وثبات
قد فرشنا طرقنا بالتضحيات
شهدأنا قبلوا الموت لاجلك
زعمانا ركبوا الصعب لمثلك
واخيرا .. حققوا النصر الجليل
ونجا شعبك من اسر طويل
يا بنى

**

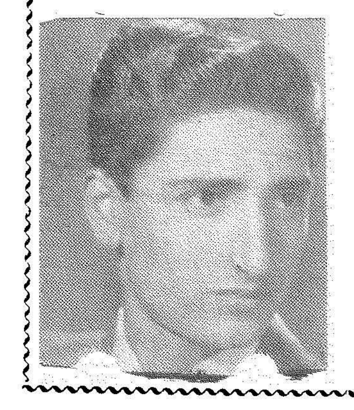
يا بني ..
انه نصر عزيز وسنى
قم فبشر كل فرد عربي
وتشبث بالذي آل لجيلك
انت والاشبال من كل قبيلك
واهنأوا بالغد والمستقبل
واحملوا الرايات حمل المشعل
وتعالوا هنئوا شعب العراق
واهتفوا عزوا وعاشوا في وفاق
يا بني !

(القاهرة) **خليل جرجس خليل**

الفنون العربية في شهر

في معرض الثورة ...

بقلم خليل كمال الدين



دراسة لمعرض الثورة المقام في بغداد من ١١ ايلول حتى ٢١ ايلول ١٩٥٨

تقديم :

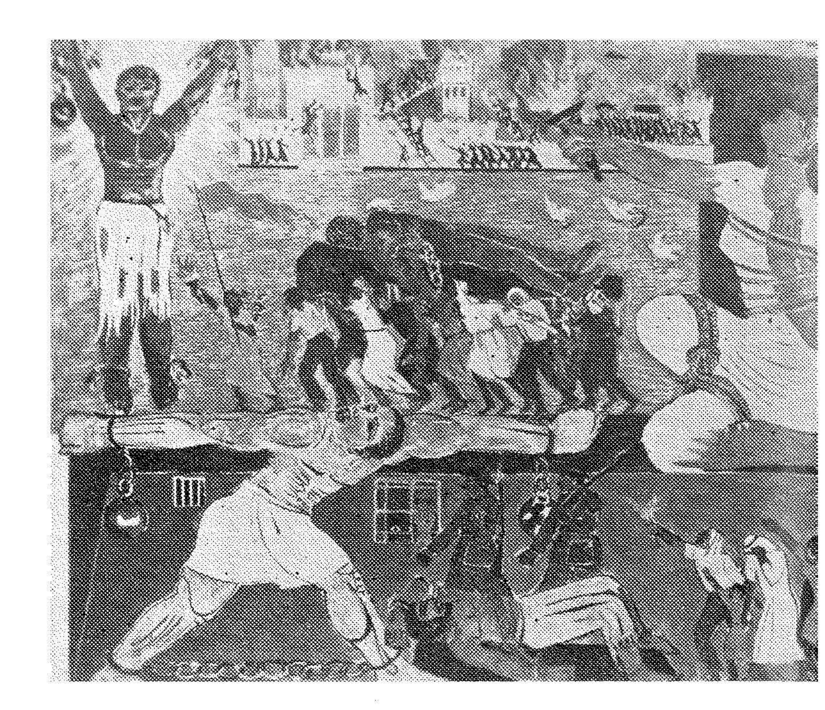
اذا كانت الثورة العراقية ، في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وهي امتداد منطقي وتطور حتمي لنضال الشعب العراقي الثوري منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، عبر أربعين سنة خلت ، اذا كانت هذه الثورة حدثا استثنائيا من احداث الشرق العربي في القرن العشرين ، فان هذا المعرض الذي نتحدث عنه هنا ـ معرض الثورة ـ هو الاخر يمكن ان يكون حركة استثنائية في تاريخ الفن العراقي الحديث ، وانعطافا لا بد منه نحو مستقبل نضالي أرحب للفنانين العراقيين الملتزمين .

ان جذور هذا المعرض يمكن ان تمتد في الاربعينات من قرننا هذا ، حين كانت الاخيلة الثورية ترهص في محاولات بعض فنانينا المجيدين ، وهي يمكن ان تتوضح اكثر فاكثر في الخمسينات من هذا القرن ، حيث انطلقت عدة جماعات بعدة اسماء مختلفة ، كان منها ((جماعة الرواد)) و ((جماعة بغداد للفن الحديث)) ، و ((جماعة الانطباعيين)) ، و ((اسرة الفن المعاصر)) . ولا يضير كون ان نسبة لا يستهان بها من الفنانين كانت قوقعية ، تافهة المعطى ، وانها كانت في خدمة العهد البائد في الميدان الفكري والفني . فالحقيقة التي لا مناص من ذكرها ان نسبة اخرى محترمة من الفنانين الشبان وغير الشبان كانت مؤمنة ـ وطليعية ، في حدود ما تستطيع ، في رسم وتفنين واقعنا البائد في العهد البائد . وعلى سبيل المثال وليس الحصر نشير الى محاولات صبري ونوري الراوي وكاظم حيدر وغيرهم ..

واذا كان العهد البائد قد منع كل انطلاقة ثورية سياسية او ادبية او فنية او فكرية ، فان فنانينا الواقعيين ما كانوا ليمنعوا مواكبتهم النسبية والجزئية ، بفعل العوامل الذاتية والموضوعية ، لحركة شعبنا الوطنية ، ولموكب العروبة المتحرر ، ولركب الانسان العالمي الظافر .. كانوا يرسمون رامزين .. ملغزين .. مشيرين .. مومئين .. ملمحين .. واحيانا ، في ظروف مناسبة ، يصرحون ويعلنون بالمحتوى الفكري الثوري للوحاتهم ومنحوتاتهم وابداعاتهم . وليس من الصحيح ان نقول ان فننا العراقي كله كان فنا قوقعيا الهائيا تخديريا ارستقراطيا عبر عن حس وخيال وواقع الطبقات الحاكمة والمتصلين بها آنذاك .. ولكن في الجانب الاخر كان



فجر ١٤ تموز ـ لوحة للفنان سعد الطائي



من وحي الثورة ـ للفنان طارق مظلوم

قطاع محترم من الفنانين يوالي ، بكل الوسائل ـ لا نعفيه من قصوراتـه ونقائصه الموضوعية والمضمونية والتكنيكية ـ عرضه الجزئي للواقع ، وللحياة ، وللصراع الانساني ..

وليس هذا المقال كافيا للبحث التفصيلي المدقق عن جذور الفن العراقي الثوري ومستقبله ، ولكنه يستطيع ان يومىء فحسب الى ما اردنا ان نقول ـ وعهدنا ان نقدم ذلك في بحوث ودراسات مستفيضة في وقت قريب ، بعد ان انزاح الكابوس ، وولى الظلام الى حيث لا رجعة ـ ، ولنعد الان لمواجهة معرضنا الذي نبحث ، بايجاز ، بشكل مباشر ، بعد ان واجهنا بعده التاريخي والتطودي .

وليس اصح وانسب من ان نترك هذه الجماعة من الفنانين الاحرار ـ الذين بلغ عددهم ٦١ فنانا ليتحدثوا لنا عن معرضهم ، ولادة ومخاضا ، وفكرة وشعارا ، ثم لا بد ان ندرس ، نقدا موضوعيا علميا ، ابداعـات هؤلاء الاخوة الفنانين عبر الثلاثي التعاوني للموضوع والمضمون والشكل .

يقول هذا القطاع من الفنانين الاحرار لجمهورهم :

« ولدت فكرة هذا المعرض في الايام القليلة التي اعقبت احداث الثورة المجيدة ، واذا كان من سبب يربطها بتلك الاحداث ، فهو انما يتمثل بالتجربة المشبعة بالاحساس الذهني الرائع التي عاشها الفنانون وهـم يجدون ان حلمهم الكبير قد تحقق على شكل حاسم من اشكال الحـكم المعاصر ، ذلك الحكم الذي وهبهم الحرية الكاملة في اختيار طرق التعبير عن ذواتهم وذوات الاخرين .

« ولقد كان من ادعى واجبات الفنان العراقي بالتحقيق ـ وهو يعبر هذه المرحلة الدقيقة الحاسمة من تاريخه الحديث ـ الاحساس بانه انما يواجه حاجات مستجدة متنامية تتسع باتساع الافق الجديد ، وتعمق بعمق مداه . وانه لكي يفعل شيئا في تقدير موقفه منها ، فليس عليه الا ان يعتبرها فروض عبادة نقية خالصة تؤدى لارض حبيبه ولشعب حر كريم .

« وهكذا فقد عمد الى العمل منذ اللحظات الاولى التي شعرفيها بانهواء الحرية الناعش يملأ رئتيه ، ووثب يحمل شعلة الوانه ليضع نـورها في خدمة الشعب ، بعد ان كانت تضيء مدارج القصور . لقد أغمـد الماضي سيفه الرهيب في قلب الحركة الفنية ـ كما فعل ذلك في سائر جوانب الحياة ـ ، وحملها على ان تقف ابدا في خدمته .. تزين حياته، وتهبها الجمال والنور ، وتمنعانه عن الشعب الذي انجبها .. وهكذا فقد سار الفنانون في موكب امسهم القريب وليس فيهم من يستطيع ان يعمل باخلاص تام او يعبر عن افكاره بحرية وانطلاق .

« ان معرض الثورة يمثل نقطة الانطلاق الى فن عراقي جديد ، وسيكون متمتعا بالخصب ، والعمق والعالميه .. فن مستقبلي متفائل يضع قيمه الفكرية المثلى في خدمة الشعب ، ومجد الشعب . وهو الى ذلك ، يعبر عن الوحدة الفكرية القائمة بين اهداف الثورة وتطبيقاتها في ميادين الحياة . فاذا كان لا يحمل من تلك الملامح شيئا يجمل بسكان الابراج ان يدعوه عملا فنيا متكاملا ، فهو لن يعدم امورا تجعله اقرب الى افهام الناس والى قلوبهم على الســواء ...

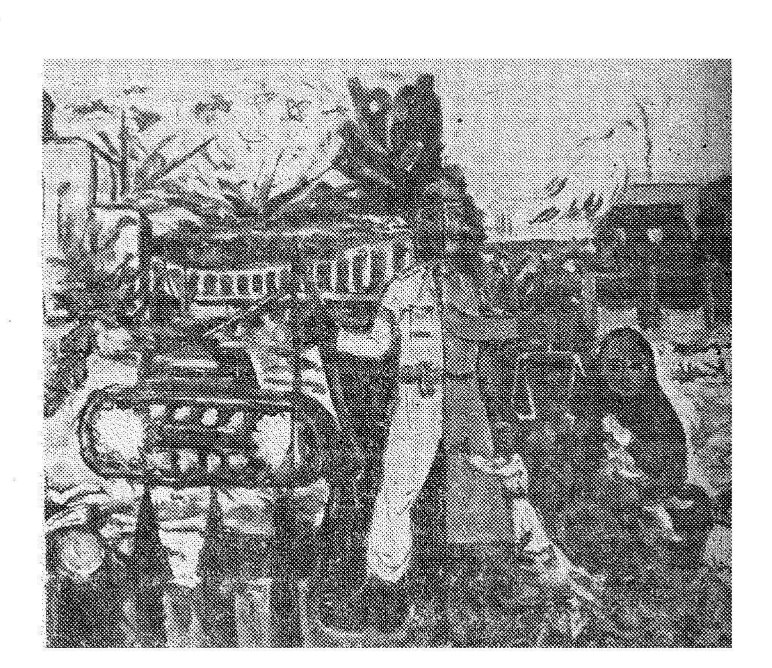
« انه ليس باكثر من تحية قلبية مفعمة بالاخلاص لقادة الثورة ورجالها الافذاذ .. انه ليس باكثر من تحية قلبية للرجل العظيم الذي قاد شعب العراق الى شاطىء السلامة .. الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ... انه تحية لفجر السلام والحرية الذي انفتح على الافق الاوسع في يوم ١٤تموز»

وبمناقشة هذا التصريح الواعي الملتزم للفنانين العارضين ـ بعد شهرين فحسب من ثورتنا المجيدة ـ يتبين لنا ان المعرض يراد منه وله ان يكون نقطة انطلاق نحو فن عراقي جديد .. خصب وعميق وعالمي .. وانـه قريب الى قلوب الناس .. وانه تحية قلبية للثورة وفجرها وابطالها .. فهل كان معرضنا هذا نقطة الانطلاق حقا .؟! وهل حمل معرضنا الثوري هذا سمات الفن العراقي الحديث ؟ وهل عاش الفنانون العارضون تجربـة الثورة وواقع الثورة ، وهل نبضت عروقهم الى الحد الاقصى متحسسة محتوى الثورة الحق .. والوجود الثوري الجديد .. والدم الثوري الباني الواعي ، الدقيق ..؟! هل استوعب فنانونا العارضون روح الثورة ومنطلقها الابعد ـ وابعادها كافة ؟.. هل كانوا طليعيين في الشكل والمضمـــون والموضوع ؟ هل أدوا التحية كما يجب ؟

لنقل ، قبل كل شيء ، ان فترة شهرين ليست كافية ، بأي حال من الاحوال للاستيعاب المدقق الواعي والمسؤول للثورة العراقية ، ولايماثورة خصبة المعطى وانسانية الشمول . ولنقل ايضا ان الفنانين العارضين لم يكونوا كل القطاع الحر والواقعي والتقدمي من فنانينا العراقيين .. فثمة فنانون بارزون ، كانت لهم محاولاتهم وابداعاتهم الثورية في العهد البائد، مثل محمود صبري وجواد وعبود فائق والقصاب وقتيبه ... ولا يضير

١٤ تموز ـ لوحة للفنان اسماعيل فتاح الترك





الحرب والسلام ـ لوحة للفنان عبد الامير القزاز

ان هؤلاء كانوا مختلفين في الاستلهام ، وفي المدى والعمق الانساني نزعة ورسالة ، وفي المعالجة الواقعية .. فالصحيح انهم قطاع لا بد منه لدعم جماعة الفنانين الاحرار العارضين.. فالفن ملك الشعب .. والفنان وفنه ملكا الانسانية والجماهير ... ولست اريد ان اعتذر عن قصورات هؤلاء وبطئهم عن السير بقافلة العارضين ، من حيث الزمن ، الا انيّ اريد ان اقول ان التسرع ، وقصر الوقت ، والتعجل والحماس ، مضافا الى التباطوء ، والكسل ، وعدم التشرب والاستيعاب المؤمن والكلي والتام بمحتوى ورموز ومعطيات ثورة الشعب العراقي ، قد حرم المعرض الاول لفن الثورة، من كثير من الامكانات السخية، ومصادر العطاء التكنيكي والمضموني على حد سواء..

ان كل ثورة شعبية في هذا الوقت ، يمكن ويجب ان تطفح برموز متماثلة متشابهة فحمامة السلام ، والدم المتدفق من ضحايا الشعب .. ومن شهدائه ، وعجلة التاريخ ، والشعلة الثورية ، وشبابيك السجون ، ورايات المعارك ، والرشاشات والبنادق والدبابات ، وزخم الجنود والجماهير عمالا وطلابا وكسبة ومثقفين في الانطلاق الثوري ، والحقول المعفرة بالدم ، وآيات التفسخ الخلقي والفكري في الحاكمين ، وبومة الحرب ، وغول الاستعمار ... كل هذه رموز ثورية شعبية انسانية لا يمكن لايما ثورة شعبية ، ظافرة او غير ظافرة ، تجنبها واهمالها . لكن وجه الاشكال هو في ابراز المضمون الثوري بشكل سليم .. بشكل ثوري هو الاخر .. فلا يمكن رسم الثوار في المعركة في اجساد متميعة ترقص .. ولا يمكن ابراز السلام الظافر في جهنم من الدماء والجماجم .. كما لا يمكن تصوير الثورة على انها فتنة ومجزرة تعج بالدم والاذرعة والجثث ، بشكل همجي .

ومتى ما رسمت الثورة ، واقعا وتطورا ومستقبلا ، بمثل هذا التكنيك الساذج والفوضوي ، فقدت الثورة ، فنيا ، بعدها الصحي ، وتعرضت معارضها للمرض . ومن الجدير بالذكر ومن حسن الحظ ايضا ، ان معرضنا لم يرسم الثورة بهذه السذاجة ، ولا بهذه الهرجلة .. انما الذي حدث هو ان المعرض حفل بالوان متباينة ، ومدارس مختلفة ، واشكال عديدة من فنانين مختلفين في العطاء، متماثلين في الفكرة، متوحدي الايمان الثوري، سليمي النية .. ولان المعرض كان ديموقراطيا ، بشكل استثنائي ، فقد ضم جهودا مختلفة من اصغرها وفني كليث المميز الذي لا يتجاوز الثالثة عشرة من سنه .. الى الفنان البارز والكهل اكرم شكري .

ومن مميزات المعرض ايضا تقديمه لفنانين جدد كعلاء حسين بشير وعبدالله امين وسهيل الجزائري وتامر عارف وبهيجة الراوي وهشام سيدان وليث المميز وطارق الخيلاني ..

على ان الاهم من ذلك كون المعرض قد طفح ، بشكل جزئي ، بارهاصات الصور الجدارية .. وهي صور رائعة ، نسبيا ، ويمكن ان تقرن بتحفظ الى صور الفنانين المكسيكيين الجداريين عقب الحرب العالمية الاولى ، وعقب ثورتهم الشعبية الظافرة . ان ثمة وجوها للمقارنة بين الفن المكسيكي الجداري وبين هذه اللوحات التي عرضها فنانون مثل نوري الراوي وكاظم حيدر وطارق مظلوم واسماعيل فتاح وخالد الجادر. والاهم من هذا ان نذكر ان محمود صبري بلوحتيه الجداريتين « جحيم دانتي » و « مجزرة في الجزائر » كان قد وضع الاساس اللائق والمتطور لمثل هذا الانعطاف نحو الفن الجداري ، الذي هو في صميمه جماهيرية في العطاء الفني ، وتفهم شعبي صادق للانسان المتفرج في قطاعه المجتمع وقطاعه الفرد .

ومما يجب ان نذكره ، لوجه الحقيقة الموضوعية التاريخية ، ان معرض المرفوضات ، وهو معرض رفضته لجنة معينة خلال العهد الاستعماري البائد ، وأداه للجمهور الحكم ، لفيف من الفنانين كان بهم المجيد مثلما كان بينهم المتحذلق والساذج ، مضافا الى معرض الجزائر الذي منعه المسؤولون والانتهازيون ، بعد ان قرر عرضه كحصة لفنانينا في معركة الجزائر البطلة ، اقول ان كلا هذين المعرضين ، مع الانطلاقات الثورية الفرادي ، والمقلفة حينا ، والمنطلقة حينا اخر ، كانت قد عاونت كلها في تدعيم جذور هذا المعرض الثوري ، وفي تقديم المحترى التطوري ، والبعد المقارن ، والجوهر الصراعي الدؤوب ، فيه.

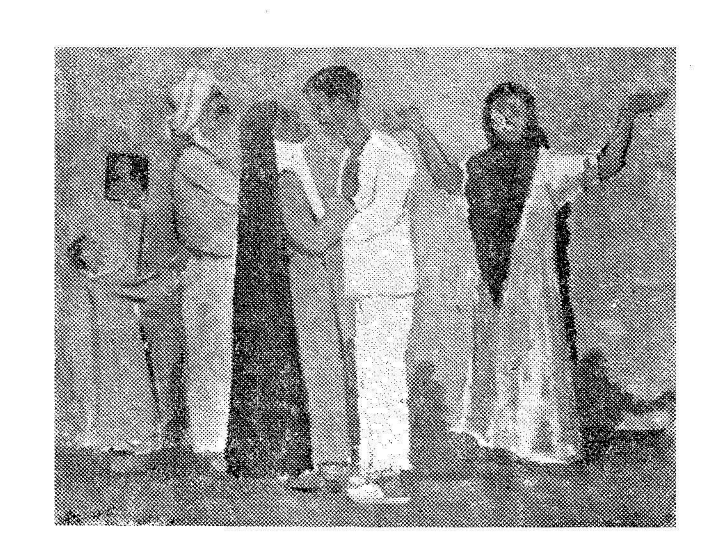
وان أفاد هذا في شيء ، فانه يفيد في ان لمعرضنا الذي نبحث تاريخا وجنورا ودعامات طيبات ، فلنر اذن ، هل افاد الفنانون الاحرار العارضون من حريتهم بعدالثورة .. وهل استطاعوا استيعاب الثورة ، محتوى وابعادا وتطورا وصراعا ومستقبلا ..

المنحوتات

وتبدهنا حقيقة قصر الوقت ، والتعجل ، وعدم امكان التحسس والاستيعاب،لدى بعض الفنانين النحاتين..حين نطوف المنحوتات في اول معرض للثورة . فليس سوى ستة نحاتين امام ٥٥ رساما ، وليس سوى سبع منحوتات قياسا الى ١٢١ لوحة . وان كان لهذه الارقام دلالة فهي ان النحت في معرض الثورة ، قد تخلف ، بشكل مؤلم ومذهل ، عن الرسم ، وهي ان النحاتين لم يستطيعوا الافادة، بشكل كلي وتام ، من فترة شهرين بعد اليوم ، وهي فترة قلقة ، مضطربة ، متوفزة .. وهذا هو السبب الذي منع مثل جواد ، وهو نحات بارز ، والوردي وغيرهم من الاسهام في حصة النحت الثوري .

مسرحية العهد البائد ـ لوحة للفنان اكرم شكري





عودة السجين ـ لوحة للفنان مهدي البياتي

ويجب ان نقول ان النحت هنا كان ، على قلة كميته ، دسما ، نسبيا في نوعيته ..وهو نحت ثوري ، الى حد ، فيمحتواه وليس لانه قد دعي او سمي باسماء تتصل او تتعلق بالثورة .. فالحق ان الفن الثوريفن جذري الحلول ، واقعي العروض ، انساني الرسالة .. وهو فن يوجد في عهد الاستعمار ، ويتطور في عهود الثورات الشعبية ، فهو اذن ثوري في محتواه وجوهره وليس في اسمه والفاظه ومزاجه .

ويمكن ان نقول ، مع بعض التحفظ ، ان عبد الحسين محروس في منحوتتيه : « قبل الحصاد » و « لقد تم الحصاد » كان سخي العطاء حقا. فالرمز لديه طيب ، والتأني والاستيعاب في نحته واضح ، هذا الى ان اطار المنحوتتين العام كان يتعاون مع المحتوى تعاونا عضويا وظيفيا .. فجاء الشكل ، جراء ذلك ، تعبيريا يعتمد التشويه ، لحد .

اما منحوتات الفنانين عاصم سليمان « ثورتنا » ، وعبد الرحيم الوكيل « صرخة الاحرار » ، وعبد الجبار احمد « ثورة الشعب » ، فهي منحوتات جاءت متعجلة ، سريعة ، وقد كان في امكانهم ، وتشكيلاتهم تنم عن مرونة وحذق ، ان يتأنوا اكثر ، ليجيء المضمون مندمجا بموضوعه ، وبالشكل المناسب .

ولفخري رشيد منحوتة فريدة في دلالتها وفكرتها ، وهي بعنوان « الشعوب تحتضن السلام » ، الا ان السرعة والقلق دمغا المنحوتة بشفافية باهتة ، ومثل ذلك يمكن ان يقال عن منحوتة ميدان السعدي « الوحدة » التي اظهرته متخلفا ، لكل ألمنا ، عن منحوتاته السابقة ..

المرسومات

ان التحليل النقدي العلمي لمرسومات المعرض يكشف عن امور عدة جديرة بالملاحظة والذكر . فمن ناحية كان المعرض معرضا لمزيج كثيف من الهواة والمتمرسين والناشئين والبسطاء ، ومن ناحية اخرى كان المعرض ذاته خصب الكمية ، نسبيا ، ويتراوح بين السذاجة والعمق وبين العادية والاصالة ، والقوقعية والشمولية ، في ما يخص النوعية . وقد سبق ان اشرنا في مقالات نقدية سابقة عن معارض فنية سابقة ، نشرتها لنا « الاداب » ، الى اهمية تطوير الناشئين والبسطاء ، والى ضرورة التثقف الفني ، والثقافة العامة والعلمية لعموم الفنانين باعتبارهم مواطنين ومهندسي نفوس ، وباعتبارهم طليعيين في المعركة الفكرية ضد الاستعمار والظلام والرجعية ..

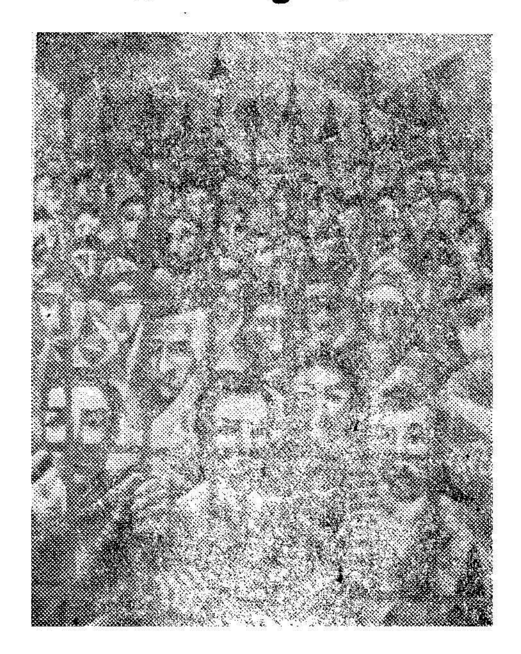
والتحليل ايضا يكشف عن مجموعتين فنيتين ، الاولى هي مجموعة الجدد الذين سبق الاشارة اليهم ، والثانية هي مجموعة الفنانين الهواة والمتمرسين ، وذوي المحاولات السابقة ، كما انه يكشف ، ايضا عن تصنيف لمحاولات المجموعة الثانية الى قسمين : محاولات اصيلة ناجحة ، ومحاولات ناجحة ايضا لكنها عادية وكان يمكن ان تكون احسن واعمق واخصب .

فبالنسبة للمجموعة الاولى نستطيع ان نلحظ الاندفاع النبيل ، والحافز الوطني الشريف الذي حفز كل هؤلاء الفنانين الجدد لرسم ثورتنا التي فتقت المواهب ، وفتحت الينابيع والبراعم ، لدى كل موهوب وخالق ومبدع . فسهيل الجزائري يعرض اربع لوحات هن : «معركة الجسر» «هو الشعب» « أين العدل ؟ » ، « الاقطاع » .. ومن كل هذه اللوحات تبدو « معركة الجسر » في تخطيطها طيبة نسبيا ، الا ان التوزيع اللوني فيها كان متعجلا، متسرعا . اما بهيجة الراوي فتشكيلها الورقي « قدم طفلي في عالم خرب » كان يمكن ان يكون اروع لو احتضن الوقت المناسب ، والاستيعاب الواعي ، ومثل ذلك يمكن ان يقال عن لوحات الفنان علاء حسين بشير « تحت ظل السلام » ، « ثورة واعمال » و « اذا الشعب يوما ... » ، و « لن نموت » والتي تتبدى منها لوحة « تحت ظل السلام » متبرعمة بالموهبة الاصيلة وبالخصب المضموني ، مثلما تتضح في لوحة « اذا الشعب يوما » الكفاءة التكنيكية النسبية .

اما الفنانان هشام سيدان ، وطارق الخيلاني فهما يلحان في رسم الثورة في يومها ، وفي ذلك ذخيرة مضمونية رائعة ، الا انهما لا يستطيعان ان يقدما تزاوجا للفانتازيا والفنائية بشكل خصب ورائع ، ولذلك فقد كانت لوحات هشام ومنها « يوم الثورة » و « البيان رقم ١ » ولوحات طارق الخيلاني « حذ واحدة من اجل الثورة » « ولن ننسى فلسطين ». كانت تجسيما لجلال الموضوع وهو موضوع خطير ، بالضرورة ، ولكن في شكل لم ينل عناية دقيقة جدا ، وان بدا المضمون سليما .

ومثل ذلك يمكن ان يقال عن الفنان عبدالله امين الذي قدم لوحة واحدة هي « السلام » والتي بدا فيها التعجل واضحا ، وان كان ذلك قد قدم عفوية

ـ التتمة على الصفحة ٩٧ ـ



السجن الكبير ـ لوحة للفنان سعد الطائي



★

التراجيديا الانسانية

« وفي مغيب آخر أيام عمري سوف أرالكوأرى اصدقائي ولن احمل معي تحت الثرى غير حسرة الاغنية التي لم تتم »

من شعر ناظم حكمت

---

١ – حب .. وبحر .. وحارس !

كانوا قالوا « ان الحب يطيل العمر »
حقا .. حقا .. ان الحب يطيل العمر !!
حين نحس كأن العالم باقة زهر
حين نشف كما لو كنا من بللور
حين نرق كبسمة فجر
حين نقول كلاما مثل الشعر
حين يدف القلب كما عصفور ..
يوشك يهجر قفص الصدر ..
كي ينطلق يعانق كل الناس ..
كنا نجلس فوق الرمله
كانت في أعيننا غنوه ..
لم يكتبها يوما شاعر .
قالت :

– .. صف لي هذا البحر !
– يا قبرَّتي .. أنا لا احسن فن الوصف
– واذن .. كيف تقول الشعر ؟!
– لست أعد من الشعراء ..
أنا لا أرسم هذا العالم بل أحياه .
أنا لا انظم الا حين أكاد أشل ..
ما لم أوجز نفسي في الكلمات !..
هيا نوجز هذا البحر
– كيف .. أفي بيت من شعر ؟
– بل في قبله !!
عبر الحارس .. ثم تمطى .. « نحن هنا » !
ومضى يلفحنا بالنظرات ..
« يا حارس .. انا لا نسرق ..
يا حارس يا ليتك تعشق
يا ليت الحب يظل العالم كله
يا ليت حديث الناس يكون القبله
يا ليت تقام على القطبين مظله
كي تحضن كل جراح الناس
كي يحيا الانسان قرونا في لحظات »
ومشى الحارس .. قالت « أوجز هذا البحر » !
كان دعاء يورق في الشفتين
– يبدو ان الحارس يملك هذا البحر
يكره منا ان نوجزه في القبلات !
– فلنوجزه في الكلمات ..
أترى هل يملك ان يمنع حتى الكلمة؟!

٢ – سر الكلمة :

– قبرتي .. لا يعلو شيء فوق الكلمه
كانت مذ كان الانسان
كانت اول .. كانت اعظم ثوره !
كانت تعلو منذ البدء على الاسوار
تسخر من كل الحراس
تخرج مثل شعاع الفجر وهم نوام
خرجة « بطرس »
يوم افاقوا حاروا « اين الكلمه » ؟
خرجت تأسو كل جراح الناس
او « كمحمد » ..
ليلة شاءوا يا قبرتي قتله
ثم افاقوا حاروا « أين الكلمه » ؟
خرجت تمشي بين الناس الدعوه
وكسقراط ...
شرب السم ولكن عاشت منه الكلمه
« اعرف نفسك »
او كيسوع ..
مات ولكن اسلم للاجيال الكلمه
« الله محبه ».
وكاخناتون ...
قد أكلته النار ولكن ..
عاشت رغم النار الكلمه
ابدا لم يحرقها الكهنه
ومشت بين الناس « سلام يا آتون ! »
هل يمنع سد هذى الموجه ..
من ان ترقص فوق الشط ؟!
دوما سوف يزول السد ..
لترقص فوق الشط الكلمه !
هذا يا قبرتي سر الكلمه !!

٣ – ملكوت الارض :

– يا قبرتي .. بعدت عنا عين الحارس
هيا نوجز هذا البحر ..
مهلا .. مهلا .. هل تبكين ؟
يا قبرتي هل تبكين ؟.
ومسحت دموعا كانت في تفاح الخد
مثل دموع الصبح تنام على اوراق الورد
« شوفي .. شوفي العصفوره !! »
ضحكت مثل الطفل وقالت :
– يا عصفوري .. لست صغيره !
– ليت الناس جميعا كالاطفال !

والحق أقول ..
لن ندخل في ملكوت الارض !..
ما لم نرجع يا قبرتي كالاطفال .
ــ قل لي . .ما ملكوت الارض ؟
ــ كان قديما في السموات ...
يسمى يا قبرتي « الجنه »
لكن لما « مات الله » ...
دالت للانسان الارض .
أوغل فيها .. خاض بحارا سبع ..
شق صحاري سبع ..
ذاق الويـل ..
لاقى كل صنوف الهول :
جاع .. تعرى .. علق في السفود..
شرد .. طورد .. سمر في الصلبان
كتف .. القي للنيران ..
مات مسيح يا قبرتي بعد مسيح
لكن لم يمت الانسان !
كيف يموت ..
وهو يرص الطوبة فوق الطوب
يبنى في الارض الملكوت ..
يصنع يا قبرتي الجنة ..؟!
يا كم رفع سزيف الصخره
يا كم سقطت منه المره بعد المره
لا ... لن تيأس يا سيزيف ..
يوما سوف تقر هنالك فوق القمه
تهتف منها في البشريه :
لا صلبان ولا أحزان ولاسخره
شبع الجوعى ..
شفى المرضى ..
قام الموتى ..
أبصر في الارض العميان ..
فتحت أبواب الملكوت ..
ها قد صعد ابن الانسان ..
للحريه !!

٤ ــ العرس والمأتم :

ــ يا عصفوي .. ما يبكيك ؟
مسحت شيئا في خدي وقالت :
« شوف العصفوره »
ثم ضحكنا كالاطفال ..
حين افقنا كانت توشك عين الشمس.
تغرق في أحضان البحر
ــ يا قبرتي .. كنا نعبد عين الشمس.
كانت رمزا .. كانت ربا يسمى «رع»
يركب كل صباح قارب ..
يضرب في السموات ويفرش فوق الارض النور
أبدا لم تخنقه الافعى ..
أبدا لم تنتصر الظلمه ..
ظل القارب يقطع هذه الرحله ..
يسقط كل مساء في احضان البحر .
ثم يعود فيولد كل صباح ..
رغم الافعى ..
كنا نعشق منذ البدء النور
نولد في ميلاد الشمس ..
قولي يا قبرتي عرس ..
نفرح .. نجرى للغيطان ..
نرقص .. نهتف كالاطفال
« المجد لعينك يا رع ..
الملك لعينك يا رع ..
الارض بساطك يا رع
العالم عرشك يا رع
فلتحرق بالنور الافعى
ولتنشر في البحر شراعك
ولترضع بالدفء البذره
ولتحضن امواج الحنطه
ولتكشف درب الانسان ..
المجد لعينك يا رع
الملك لعينك يا رع »
كم صلينا .. كم غنينا ..
كم صورنا يا قبرتي هذا القرص !
ــ انظر .. ها قد غاب القرص ..
يا عيني .. قد غاب القرص !!
ــ كنا نحزن عند مغيب الشمس ..
نبكي .. نندب .. قولي مأتم
كانت هذي الارض تموت ..
حين تنام عليها الظلمة كالتابوت
تلك الافعى ..
كنا نحمل موتانا للجبانه ..
نلقيهم في جوف « الغرب »
« اهنالك شيء في الغرب
يأتينا ليسر القلب » ..
ذهبت مثلا ..

٥ ــ صلاة للموتى :

كم صلينا يا قبرتي للاموات :
« رب الموتى أوزوريس ..
ارحم موتانا يا رب .
فلكم ناحوا لما مت ..
ولكم فرحوا لما قمت ..
باسم دموعك يا أيزيس ..
باسم شبابك يا حوريس ..
كم كانوا يخشون الغرب !
ضميهم يا ارض اليك
كم قطفوا اللوتس والبردى من كفيك
كم عشقوا .. غنوا للحب
كم صلوا في عيد الخصب ..
كوني يا ارض وشاحا فوق الموتى
كوني يا ارض جناحا فوق الموتى
كوني يا ارض سلاما فوق الموتى »
ما اقسى الارض على الموتى ...
يا قبرتي .. ما ارحمها بالاحياء !!
واذا الحارس يزعق « قوموا يا أموات»!
فتل الشارب .. زمجر .. حمر من عينيه
قلنا « نقفل بابا تأتي منه الريح » !
قمنا نبطيء في الخطوات

٦ ــ أغنية للدقات :

ثم وقفنا .. قالت وهي تصيح :
ــ هل تسمع دقات الساعة ؟
ــ ماذا تلهمك الدقات ؟!
قالت وهي تغني للدقات :
الدقة الاولى
« الساعة يولد انسان »
الثانية
« ويموت الساعة انسان »
الثالثة
« والعالم ليس بملآن »
الرابعة
« بل ليس القبر بملآن »
الخامسة
« ما زال سؤالك يا هملت »
السادسة
اضحوكة ذاك الحفار »
السابعة
« اوغلنا .. جبنا الافلاك
الثامنة
خضناها مثلك يا رع
التاسعة
وصنعنا للرحلة قارب
العاشرة
لنجنب شراعك يا رع
الحادية عشرة
أيظل الانسان يموت
الثانية عشرة
حتى في عصر الاقمار » !!!
سكتت حتى مسحت دمعا ..
كان ينام على التفاح ..
سألت في صوت كنار .
ــ ملذا تلهمك الدقات ؟
قلت وفي عيني طموح للاقمار
ــ العالم فوق الشعراء..
فليعل الشعر الى العالم
او فلنصمت !!

القاهرة **نجيب سرور**

الوجودية .. لماذا ؟

بقلم : محيي الدين محمد

بحث الشهر الفلسفي



يقف الانسان الغربي مواجها لهذه القضايا الثلاث : المسيحية . المادية . الوجودية ، والتي تنبئه بأن عليها تبعة اختيارها لمستقبله ، فيما اذا دهمه السقوط ، واختار لها ان توجه حياته ..

وقد حاولنا من خلال عرضنا لنظريات المعرفة والتاريخ والاخلاق في هذه القضايا ، ان ندلل بمحاولاتها جميعا في تفسير الكون والزمان والتطور تفسيرا مذهبيا ..

بيد ان نظرية وحيدة (ولا اسميها نظرية الا لوقوعها في السياق) لا تدعى انها تفسر التاريخ والمستقبل ، قد كشف عنها القرن العشرون..

وقد استطاعت هذه النظرية اللامثالية ان تعرى الانسان من كافة شعاراته السابقة ، وان تستكتبه وعدا جديدا : الانسان حرية ..

غير ان المسيحية حاولت من قبل ، الفوز بهذا الكائن عن طريق الحب ..! وتحاول المادية الحديثة اكتسابه عن طريق العدالة ... وهذا يثبت على الاقل حاجة الانسان الراهن للقيم ..

اما نحن .. في الشرق ، فمن هو انساننا ؟!.

أيصبح الشرف ميزته الوحيدة ، بينما يطالب فلاحوه وعماله في الحاح مذل بتطبيق العدالة والحرية ؟!!..

هل هي مثالية جديدة ؟!

مقدمة :

لما كانت (التومائية) تذهب الى أسبقية الوجود على الماهية ، فقد ذكر بعض نقاد المذهب الوجودي ، وعلى رأسهم أوجست كورنو ، وكانابا ، وجارودي ، ولوكاس .. الى انه في النهاية ، ليس الا طبعة جديدة (للنيوتومائية) . بيد ان شريحة واحدة تقتطع عن التومائية الحديثة ، ولتكن نظرتها الى الإنسان ، لتدل بشكل قاطع على اختلاف حاسم في وجهات النظر بين منطق القديس توما الاكويني ، ومنطق الفلسفة الوجودية :

ان التأمل الداخلي يكشف في النهاية عن وجودين يختلفان في الدرجة: الوجود الذاتي للمتأمل ، ثم الوجود المتخطى للذات والكاشف للحقيقة الخالدة الالهية .. وان العملية التي هي (حواسية) بالدرجة الاولى ، والتي كونت ـ فيما بعد ـ معرفتنا وفلسفتنا تشجب هنا كيما يصبح التأمل الداخلي هو الحقيقة الاكيدة وكل ما سواها خداع بصري او فكري !!

ومن هنا يمكن ان نلاحظ مقدار الخطأ في تفكير التومائية والاوغسطينية ، وارتباطهما الكلي بالمثالية ، وهذه المظاهر التي تنبىء عن حصر داخلي ، وعن رؤية للعالم من داخل الشخصية ذاتها ، تساوى هذا المذهب الجديد: الشخصانية ، والذي هو تفسير للانسان ينطوي على هستيريا باطنية تدعى رؤية الكون كله من خلال انانية ساذجة منطوية كالوقعة على حقيقة محض ذاتية ...

ان (مونيه) الذي هو اشهر ممثلي هذه الفلسفة يحاول جاهدا ان يعطى للعالم كله درجة روحية تعود به وبفلسفته الى داخل نطاق المسيحية ، والى المثالية على العموم ...

من أزمنة .. من ازمنة بعيدة ، خلص الفكر البشري الى نتيجتين هامتين ترضيان اندفاعاته المذهبية ، وتبشران ـ في الوقت ذاته ـ بخلاصه من اسرهما الثقيل : المثالية والمادية ..

العالم مادي !! العالم ذهني !! العالم صورة، ((العالم .. العالم)) ...

وبسبب من ذلك التناحر والخلاف ، دُعيت حتى الخرافة الى ان تعلن ارتباطها بأحدهما .!! لان واحدا على الاقل ليس الا النتيجة النهائية لمسار المذاهب برمتها في التاريخ !..

وكان السذج يختارون : مادى؟ ! كلا .. أنا مثالي !!! وكان التاريخ يكرر ذاته ، ينطفي سعار أمبيذوقليس ، فيطفو غورغياس ، يموت هوبز ، فتفرج عن افكار أفلاطون ويظهر اخرون يكتبون مدنا جديدة فاضلة .. وكان لكل فلسفة منهما زمن تذيع فيه آراؤها وتنتشر .. ولم يكن هذا الزمان محددا الا لانه يعقب نكس الفلسفة الاولى التي انتهت أيامها .. فبعد هربرت سبنسر وهوبز وبيكون ، وماديي القرن الثامن عشر الفرنسيين ، تخرج الردة في فلسفات الثلاث باءات (برجسون . بلوندل . برونشفيج) الذين يخططون للعالم حقيقته على التوالي : الحدس . الصلة في العمل . الابتكار .!!

اما في القرن العشرين ، فقد وجدت الروحية الجديدة لفزعها البالغ ، طفيانا هائلا وجارفا من الفلسفات المادية التي فسرت العالم وجعلته جاهزا، فلم تستطيع ان تمسك انفاسها قليلا كي تتبين موضع العطب، بل بعثت الى روح العصر افكار هوسرل ليمتد قليلا رد الفعل الروحي ازاء تشدد الافكار المادية ...

ولكن .. ما الذي حدث .!!

ان حضارة القرن العشرين تجيب على ذلك بمظاهرها المتعددة ، فقد رفضت الحلول الروحية المثالية ، واصبحت تنفر من دعوات التصوف والنرفانا والموت من اجل المسيح وموسى ومحمد ..

ان القرن العشرين يفضى الى روح القرون المستقبلة ، ويعلن بألا جدوى في الحلم ، او الطاعة .. ان ميزته وحده ، في انه يساوي ميزات القرون التي مرت جميعها ، لانه يعلم ان اكتشافاتها جميعا شيء ، واكتشافه هو شيء آخر !!..

فالقرون التسعة عشرة كانت تعرف الفرد بصفاته ، فهو يهودي او مسلم او كونفوشيوسي او كافر .. اذ انه تابع ابدا لما يدين به ، انه لا يعرى ابدا من هذا اللباس الذي اصطلحت كل تلك القرون على ان يكون ميزة هامة من ميزات اي كائن .. والى مطلع هذا القرن ، كان الافراد يمثلون طاعة سفلى ، للماديين أحيانا ، وللروحيين أحيانا اخرى .. اما الان ، فقد اكتشف هذا القرن العظيم كائنا عجيبا ، يمثل عريه الفاحش كل عظمته ، وكل عظمته في انه يرفض الانصياع مدللا : الانسان حرية ..

كانت الفلسفة في القديم تفضى اما الى الاخلاق المحضة ، واما الى الميتافيزيقا اما الان ، فان الفلسفة تعتبر نفسها ممرا الى الحرية الانسانية ، لفرط ما عذب الفلاسفة القدامى ، بشرهم من ادعاء وجود كلي للروح الازلية ، وخلود مطلق للنفس الانسانية ..

اننا ـ لمجرد اختصار المسافة ـ سنحاول ان نطلق هذه الاسماء على مسمياتها في الفلسفات الراهنة والتي تحاكم هنا ـ فوق هذه الصفحات ـ لاختيار افضلها ...

ان الفلسفة المادية تمسك اليها العالم من خلال الامتداد ، الحركة والامتداد .. فهي مكانية بحتة ، اما الروحية فهي تطفو بالعالم الى الفكرة، الفكرة والمثال .. فهي هيولية بحتة .. غير ان الانسان ليس اما مكانيا واما هيوليا .. انه اشتراك هذين معا .. انه في الطين وفي السماء .. غير انه قبل كل شيء : في زمان .. يصنع ذاته في زمان ...

ولذلك فالفلسفة الجديدة ، فلسفة القرن العشرين ، التي اكتشفت الانسان الحرية ، تجد ان الفلسفتين الروحية والمادية قد نسيتا الانسان الجديد .. : الزماني !.. واصبح لهذا واجبا على هذا القرن المشرق تعريف النبي اجديد ..

لقد انقسم الغرب على نفسه عندما جزأ قلق الانسان المعاصر الى قلقين : العدالة والحرية ، كما تنقسم فضيلة العالم الراهن الى فضيلتين: الروح ، والمادة .. غير ان العدالة والحرية يتآلفان في النداء الاسيان البشر الراهنين ، فهل يمكن للمادة والروح ان يرتبطا في جواب ؟!..

ما كانت الفلسفة المكانية ، والهيولية لتهتما بالانسان ، فقد انتشتا بفكرة النظام . النظام الذي تسنده فكرة المطلق : الطبيعي هنا ، والروحي هناك .. ! ولذلك كان الفرد في إيهما طائعا ، للكلمة ، للحكم ، للامر .. وما كانت تسنح له فرصة للفرار ، فقد كان العالم عالمين : ديني ، وكافر .. وكان احيانا يفر من احدهما ليسقط نهائيا في شراك الاخر .. ومن اجل هذا قنع كل فرد يولد داخل نظام ما ، بمكانته وامله وطبيعته ..

الفلسفة المكانية تعرى عالم المادة ، وتمنحه معنى ، أليس الذهن ـ بكامل روائه ـ صورة مرآوية عن حركة المادة !.. والفلسفة الهيولية تدعي العكس اليست المادة من خلق الذهن الاول !

غير ان هذا الانسان الذي ظل قرونا عديدة ، يلتفت لهذه الناحية ، ثم الى الناحية الاخرى (كالناظر الى مباراة في التنس) قد اخذه الهم اخيرا فحاول ان يفهم في البداية معنى ان يكون انسانا !!.

وقد اجابت على هذا السؤال التقليدي فلسفة القرن العشرين (الزمانية) فحاولت في البدء ان تمزق عنه ارديته الملونة التي احتفظ بها منذ اخناقون وموسى !!..

هوذا الميلاد الجديد الذي تذكره القرون المقبلة فخرا للقرن العشرين !.

هوذا الميلاد الجديد الذي تذكره القرون المقبلة فخرا للقرن العشرين :
الحرية ...

وان هذه القيمة التي تبدو ، ولا جدوى لها ، تثبت اهميتها في كل دور اختياري.. وتؤكد ببسالة ، ان اكتسابها هو اكتساب القضاء ، وما الانسان ان لم يكن قدره بالذات ؟!!

العدالة والحرية .. قلقا الانسان منذ القديم .. بيد ان الحرية بالذات ، هي قلق انسان القرن العشرين ..

النظرية المثالية في المعرفة

« ان العالم هو فكرتي عنه » (١) .. اذا نبذنا جزئيات فخته وشلنج وهيجل ، فان هذه الجملة الدقيقة تعتبر منفذا للنظرية المثالية جميعها ، وتعبيرا مقتضبا عن التصور المثالي للطبيعة ..

هناك عالمان شطرهما (كانت) شطرين ، أحدهما (الشيء في ذاته) والاخر (العقل) ، خالقا ما سمى في التاريخ الثقافي باسم التناقض المثالي والشيء في ذاته هو عماء المادة الشامل ، هو جوهر كل ما هو ساكن في ذاته ، هو تحجر الازلي في بلادة صوان او صخر ..

اما العقل فهو النمنمة الحية التي وهبت التمييز والادراك ، هو الذبذبة التي تعي وتفصل وتفهم .. ولذلك كان مستحيلا عند (كانت) أن ينشأ أحدهما الحي ، عن الاخر الميت ، كان مستحيلا ان ينشأ العقل الكلي (٢) عن مجرد اصطدامات المادة التي هي بدون وعي : المادة الميتة .. والتي تشكل منتهى التطور من اللا عضوي الى العضوي عندما تنقلب الى مجرد حركة آلية في صورة انتقالات ميكانيكية عضوية خلال النمو الباهر لنبات او شجرة ..

اما المعرفة عند (كانت) فهي (تأثير اللاذات في الذات) حصيلة مرور المجسات الفضولية للحواس في العالم .. منشئة ما هو خبرة للعقل الذي يبعث رسله الى الخارج لاكتشافه .. ان الحواس هي الواسطة للتعرف بالاشياء ، فهي بكل ثقلها الجامد ، ليس لها وجود مستقل عنا ، وكل معرفتنا هي من (خلق الذات وانتاجها) (٣)

لاحظ هذا التمزق العنيف في فكر (كانت) مفكر مثالي اخر هو (فخته) فحاول ان ينشيء نوعا من الرابطة بين العقل والعالم في صورة (العلاقة) بين الوعي والمادة « فالاشياء في ذاتها ليست كذلك ، انها اشياء لنا ومن اجلنا،وان العقل يبني عاله الخاص، فليس العالم الخارجي الميت الا عدما ، فالكون اذن ، ليس الا ما تكونه الذات لنفسها » (٤) ان العالم يبدأ من الذات التي تخلق العالم الموضوعي الذي يعود فيصبح مؤثرا في الذات نفسها(٥)» وقد حاول ان يقوم من هذا التناقض بان ينشيء اخلاقية

---

(١) كارادة وفكرة ـ شوبنهور

(٢) ضروري ان ننبه الى ان النظرية المثالية تتخطى (العقل الانساني النسبي) لتمسك اليها العقل الكلي المطلق

(٣) « قصة الفلسفة الحديثة » لزكي نجيب محمود ص ٣٢٨

(٤) The Spirit of Modern Philosophy, Royce P. 152

(٥) ليكون وسيلة لها تستعين بها على تقرير نفسها والشعور بوجودها ص ٣٣ نفس المصدر

حديدية « انه سميك بالغ السمك ، هو هذا الجدار الذي تختفي خلفه الحواس ، الصانعة لمعرفتنا الضئيلة ، مما يدفعنا الى التمسك بتلك القيمة الوحيدة التي بقيت لنا : الاخلاق » (٦)

ليس غريبا ان تصل فلسفة (فخته) من خلال نظريته في الاخلاق الى الاعتماد الكلي على المسيحية ، بصفتها الدين الاخلاقي الذي يضع الواجب في مكانه الصحيح ، وليس غريبا ان تنتهي كل مثالية الى المطلق، فما دام حقيقيا ان الذات تخلق موضوعية العالم الذي هو حقير ونسبي، فلماذا لا تنطلق هي من الجزئي الى الكامل ، من هذا العالم الثقيل الجاف الى عالم آخر روحي ، لا مادي ، أزرق ؟!

ان (فخته) ينتهي الى التصوف ، كما ينتهي كل مثالي ، ومن خلال اسسه الثلاث لبرنامجه ، يمكننا ان نطالع عرى المثالية على العموم :

أ ـ كل صور الفلسفة لها منبع واحد حقيقي ، هو ان تدل الافراد الى حريتهم ، وبالتالي الى ان يخلقوا لانفسهم عالمهم المنظم الكامل ...

ب ـ ونتيجة لذلك كان القانون الاخلاقي سابقا على كل معرفة ووضعية مقننة ...

جـ ـ ان العالم الخارجي العياني الميت هو ببساطة (المادة المتكثفة من اجل استعمالنا والمتفحصة لحواسنا)(٧) ...

وان امامي عالما غريبا كمسرح لنشاطي ، وليس وجودي الا من اجل هزيمة ذلك العالم وارغامه ، انه لواجب ان امتلكه ، وان أعلن حيازتي له (٨) ...

(٦) المصدر السابق نفسه ص ١٤٣

(٧و٨) ص ١٥٧ ـ ١٥٨ المصدر السابق

ثم كان النموذج التالي ، مسيحيا ، بنفس الملامح ، والخطوط الصارمة المؤدية الى مطلق الصليب ..

حاول (شلنج) ان يعيد خلق العالم بالطباق الناشيء عن الطبيعة العضوية ، والطبيعة اللاعضوية ، بين العقل والمادة .. بين الطبيعة والتاريخ .. « ان العالم القديم بما كان يسود فيه من ديانات طبيعية ، يمثل الجانب الذي ترجح فيه كفة الطبيعة بينما ديانة العالم الحديث هي المسيحية ، التي ترجح فيها النزعة المثالية التفكرية .. »

ان (شلنج) ينتهي الى تناقض نسبي جدا بين المادة والعقل ، بدأ في زمن يلي (الدفعة الاولى) (٩) مباشرة ، ويظل في توتر دائم بين قطبيها المتنافرين ، فهو يجمع مواده بواسطة الحواس من العالم ، ثم يبعث حلوله ومستنبطاته الى العالم بواسطة العقل ، وتظل هذه الصورة امينة لشكلها الاول حتى ننتقل منها الى فكرة التاريخ عند (شلنج) ! اجتاز التاريخ مراحل ثلاثا : مرحلة الطبيعة التي وصلت الى عنفوانها في الشعر الاغريقي والدين الاغريقي، ثم مرحلة الركون الى القدر ، التي جاءت في نهاية العالم القديم ، ثم مرحلة الحكمة الالهية التي بدأت بالمسيحية ، اذ أصبح الله موضوعيا لاول مرة في التاريخ بان تمثل في المسيح !.

(٩) يجب الا ننسى أثر هذه (الدفعة الاولى) في كافة الفلسفات المثالية انها تزعم بان العالم هو كالجهاز الميكانيكي ، لا يبدأ عمله الا بادارة ذراع معينة تمنح الجهاز قدرة ابدية يظل خاضعا لميكانيكيتها حتى يشاء العقل الذي ادارها ان يوقفها .... فبدون (دفعة اولى) تسقط المثالية في استحالة لا قيامة بعدها ..

ان ارادة البشر هي ارادة الله المطلقة التي تجسدت في صورة المسيح (البشر الالهي) كي تتحد الانسانية بالله . كي يصبح الله درعا للارادة البشرية ، وتبنى على هذا الحساب اخلاق جديدة عمادها الارشاد وافتراض الخير البشري .. ولم تستطع فلسفة (شلنج) الاعتماد على ارادة الانسان، لان كل مثالية تنبيء . عند التجربة - عن ضرورة اعتمادها على ما هو فوق بشري « ان العالم الخارجي ليس الا فكرة الله تجسدت لاعيننا، وليس العالم الداخلي الا فكرة الله الواعية لذاتها ...» لقد قدم المسيح ليرفع عن الارض ضعف الانسان ، ويستبدله بطاقاته هو الالهية كيما يعتمد البشر على واسطته ، اذ يصبح هذا النبي الاله جسرا يوصل الى الخلود .. فبدون (مسيح) ، وبدون تصوف ، وبدون الاعتماد على (اله) يظهر زيف المثالية وتخبطها ..

ان المعرفة عند (شلنج) هي نفسها عند (فخته) وهي ذاتها عند (هيجل) بيد انه يعترض على (منهاجيهما) فحسب .. ان اولهما موضوعي بحت - في مثاليته - والاخر ذاتي بحت .. وكان لا مفر من الربط بين الفلسفتين بنظرة تعلو بكلتيهما مقيمة ديالكتيكا موفقا .. مزاوجة تربط بين عنف الموضوعي وحده ، والذاتي وحده .. ولكن (هيجل) ، كيما يفسر الوجود الثقيل للمادة ، وقع في نفس افتراض (فخته) .. اذ تصور ان الحقيقة هي الفكر المطلق ، وان لا شيء سوى الفكر هو في صلب الحقيقة ...

انه يبدأ بأن يعي ذاته المفردة، بدون حضور في العالم ، او اكتشاف لما يعارض الذات .. ثم ينتقل الى مجال يجد فيه ما يعارضه ، ثم ينتقل بعد ذلك الى الوحدة التي تجمع بينه وبين اضداده ، ملقية بهم الى المطلق الذي يتالف من كل الجزئيات التي تجمعها حقيقة واحدة شاملة (١٠) ان العقل عند (هيجل) هو فعالية المسبب الفائي ، ما دام كل فعل وحادثة قابلة لان تفسر بالعقل الذي يرد لها اسبابها النسبية ، والذي يستطيع ان يفسرها تماما .. ولذلك فعماء المادة المطلق لا وجود له ، اذ ان الفكر هو المطلق الوحيد الذي هو خارج المادة والزمان (١١)

ان المثالية في كافة صورها تدرك العالم بالذهن ، فكأن الاحساس والفكر هما اللذان يوجدان الاشياء والاخرين .. ان ذهنك الان لا بد خال بصورة ما عن (برج بيزا) ، ولكن .. وفي اللحظة التي اذكرك به فيها ، يقفز البرج بكامل (وجوده..) الى تمثلك الذهني فيصبح موجودا ، برغم وجوده المادي القاطع خارج وعيك ..

.. وهنك وعى في حالة عماء شاملة ، وعالم في حالة عماء شامل ، والصلة بين العالمين هي الحواس. حواس الانسان التي تكون في حالة انفتاح نحو الاشياء ان الحواس تمد يدها الصديقة نحو العالم وتعمل على ان يمتلىء الوعي بمعاني الظواهر .. فالعالم اذن هو العلاقة بينهما ، وليست الاصطفاء الذاتي ، والابتعاد بها عن الواقع ، ما دام وجودنا هو انشاء مستمر لحالة هي ارتباط بين الوعي وبين الخارج .. ان الظاهرة ليست في وجود مطلق ، وليست الذات كذلك ، اذ من العلاقة بين الوعي والظاهرة ينشأ احساسنا بالعالم وفكرتنا عنه ..

لم تكن المثالية في اصرارها باسبقية العقل ، الا هادفة لاثبات وجود الله، فما دامت الطبيعة الصماء هي المنشئة للعقل في الكون (كما يقول الماديون) فان فرضية وجود الله تصبح مستحيلة !. فالاشياء موجودة - خلال الوجود الذهني - مؤكدة الوجود المطلق للذهن الكوني الذي هو أصل كل وجود ...

وفي النهاية يصبح غير عسير علينا ان نحيط الفلسفة المثالية بأسرها، في اطار شامل ، ثم ختمها بهذا الخاتم اليسير : الفلسفة الذاتية الفردية!.

***

النظرية المادية في المعرفة

« ان هناك واقعا مستقلا عن احاسيسنا وفكرنا » (١٢) خارج وعينا ، وخارج ادراكنا .. واقعا ثقيلا . كثيفا ملموسا . رصاصيا .. هو هذا القلم ، والمنزل الرمادي المقابل ، وهذا المعزف ... ان اصابعي التي

---

(١٠) « فهيجل هو من طائفة هؤلاء الفلاسفة الذين يقيمون مماثلة بين (الفكر) و (الوجود) بيد انه وان سمى مثاليا - بالمعنى الميتافيزيقي - كل من ادعى هذا الادعاء .. الا ان لكل مثالي وجهة نظر خاصة ، ولهيجل ايضا وجهة نظره . ان اغلب المثاليين هم منافسون (لبركلي) Berkley فالفكر هو وحده ذو حقيقة بالنسبة لهؤلاء ، اما مجموعة الاشياء المادية التي تنتشر في الفضاء وتنتظم في الزمان فانها ليست سوى تبد ذاتي ، وهذه المجموعة لا وجود لها الا في ما يكونه الفكر عنها من تصور ، ولا قيام لها الا به ... » ص ٢٨ هيجل (اميل بريبه ترجمة الدكتور احمد كوى)،

(١١) ان « هيجل » يتصور الحركة في الكون تراكبا تطوريا نحو الذات التي هي وعيها لذاتها ووعي كل ما هو موجود فيها ، وما هي به موجودة !. ونحن من جانبنا لا نستطيع ان نتصور موجودا يكون وجودا في ذاته + وجودا لذاته ، فاولهما خاصة الاشياء الساكنة ، والتي هي محالة ابدا الى وجود لذاته، كيما يكشف فيها سكونها الازلي .. وثانيهما هو خاصة الشعور الانساني الذي يواجه صمت الاشياء خالقا لها معنى وقيمة.

(١٢) ما هي المادية (روجيه جارودي) ص ٨

تلمس هذا الخوان ، انما تقوم بسلسلة من الارجاع العصبية والعضوية تنفذ الى معرفتي مبينة ماهية هذا الشيء الملموس ، وحاسمة طبيعة معرفتي ، وهي هذه المادة في الخارج والتي هي سبب حاستي ، فمعرفتي..

وان كل هذه الاشكال المتعددة لتطورنا الفكري والديني ، هي بسبب من التقاء عناصر مجهولة ، بتأثير تعفن تخمري ، حدث بطريق رطوبة وحرارة ومادة وحركة ومصادفة .. فالعالم الذي هو كل هذا العماء الاولى ، والذي هو المكان ، سبب فريد لوجودنا ، ووجود فكرنا على هذه الصورة ..

فكما ان المثالية اعتقدت باسبقية الفكر على المادة ، وبصدور كل هذه الاشكال الهائلة الموجودة في الكون جميعه عن كلمة الله .. فان المادية تعتقد بان المعرفة والذكاء والاحاسيس والمشاعر ليست جميعا الا ارجاعا لحواسنا .. فالحواس الطيعة للعالم ، تخلق المعرفة الطيعة للحواس ، وبالتالي للعالم ...

وبذلك سقطت المادية في نفس الشرك الذي سقطت فيه المثالية ، فكما ان المثالية لا تستطيع الافصاح عن كيفية خلق العالم بطريق كلمة الله ، فان المادية تقف عاجزة عن تفسير كيفية وجود المادة ، هذا الوجود الغريب الذي هو بدون معنى .. وان هذا العجز البائن في هاتين الفلسفتين اللتين تؤمنان بامكان تفسير العالم ، ورده الى علة اولى واحدة ، وسبب ازلي فريد ، يردنا الى النتيجة النهائية لنظريات المعرفة على العموم .. وهو تخبطها الواضح ... وافتراضاتها البعيدة .. انها تردنا الى قضية سوفسطائية معذبة ، طالما تندرت بها الاذهان : ايهما وجد قبلا : البيضة ام الدجاجة ؟؟!

ان سبب تمسك المثالية بالعقل المطلق واسبقيته في الوجود ناشيء عن مجرد رغبتها في اثبات وجود الله ، فما دامت الطبيعة كافية نفسها بنفسها، فان فرضية وجود الله تصبح مستحيلة ، ولذلك فان سبب تمسك المادية باسبقية الوجود المادي ، هو رغبتها في رد كل تطور الى قانون خارجي تفرضه العلائق المادية المنفصلة عن الواقع البشري ..

ان المادة هي الواقع الاول الذي ليست احاسيسنا ، وليس فكرنا الا نتاجا له وانعكاسا عنه(١٣)... وقضية (الانعكاس) هذه ، سوف تصبح لب النظرية المادية في المعرفة ، « فالواقع الموضوعي ينعكس في وعي الانسان انطلاقا من هذا المبدأ : ان ما هو منعكس (الشيء) يستطيع ان يوجد بصورة مستقلة عما يعكس (الوعي) ولكنها تبين ان هذا الوعي لا يستطيع ان يوجد بصورة مستقلة عما هو منعكس (الشيء او الموضوع « L'objet » (١٤)

لقد ظهر الانسان فوق هذه الارض في زمن متاخر جدا عن الزمن الذي وجدت فيه المادة العمياء .. وقد ظل لمدة طويلة في مرتبة سافلة جدا ، يحاول الوصول الى المعرفة بطريق حواسه التي بدات تتخذ شكلا متطورا ، بعد اذ بدأت معرفته للعالم تغزو فضاء وعيه الذي كان قائما بدون شكل .

وقد اصبح هذا الانسان الاول مدينا لاصابعه وعينيه واذنيه في اصطداماتها بالعالم الخارجي الذي هو غابة وكهف وحيوان وسماء وصحراء .. وقد استطاع في مدة وجيزة ان يتبين الفرق بين السحلاة القديمة والافعى .. واستطاع بالتالي الا يبالي بالاولى، وان يحذر الثانية .. وقد امكنه ان يطالع عالمه كمن يقرأ في كتاب .. فحتى قبل ان يستطيع الكلام او الكتابة ذلك الحيوان الذي سفك كل ذلك الدم .. كان يتطلع حوله باحثا مكتشفا ومنقبا.. لماذا كان للدينوصور مثل هذا الذنب الضخم ولم يكن له مثله ؟. وكان عليه ان يسأل الف الف سؤال ...

كيف يهطل الماء من هذه المسطحات الزرقاء ؟.. كيف تقف الشمس والكواكب في الهواء بدون سند ؟.. ودون اعمدة .؟؟ وكان لا بد لكل سؤال ميتافيزيقي ، من جواب اشد ميتافيزيقية .. وقد اصبحت حواسه هي معينه الاول في تلمس هذه الاشكال العديدة الزاخر بها عالمنا ، هذه الاشكال التي اصبحت واجبا بالنسبة له ان يعينها وان يرقمها ويضع لها حدودها ونظمها واسماءها ، فكي لا يشير في كل مرة لزميله صارخا ومقلدا زئير الاسد ، مبرزا انيابه ونافشا شعره للانذار ، فقد اكتشف سلعة متبادلة تستطيع ان تكون بديلا عن كل فكرة يحتاج شرحها الى الاستعانة بكل اعضائه : الكلمة .. .

ان الانسان ليس الا النتيجة النهائية لوسطه ، فذلك الكاثوليكي المتعصب في « ادنبره » ، كان ممكنا ان يصبح ببساطة عجيبة ، اكثر رجال (بوذا) تعصبا للبوذية ودفاعا عنها ، فيما لو ان مصادفة بسيطة حولت وجوده الصدفي من سكوتلندا الى نانكنج .»

انه يتكلم بنفس لهجة أبيه وقرينته ، بل ويدخن نفس (البايب) المنقوشة، ويرتدي البزة المجعولة له : لقد خرج الى الكون فوجد اسما وصفة ودينا وأقارب وبيئة .. لقد وجد عالما !.

(١٣) ما هي المادية (جارودي) ص ٤٠ ولنتابع الى ص ٤١ لنتبين هذه الفقرة : ان الفكر موجود ، والمادة موجودة . والقضية ليست قضية رد) الفكرة الى المادة وانما التدليل على ان المادة هي الواقع الاول وان العقل هو المعطي الثاني ... »

(١٤) المصدر ذاته ص ٤٣

ان الوسط هو الدينامية الوجودية للفرد ، وهو سببه ، لان الحواس ليست الا النوافذ التي نطل بها على العالم .. وعن طريق هـــذا اللقاء بالعالم تنشأ فكرتنا وفلسفتنا عنه ..

وقد استطاع ذلك الانسان الذي كان يتلصص في الليالـي القمـريـة لاصطياد غزال ، وربما سحلاة .. استطاع ان يقرأ النجوم وان يخطط لمسارات الافلاك، وان يدمر منطقة فوق ارضه يوسع في حجمها كل عام(١٥)

واستطاع ان يدبر اموره فوق هذا الكوكب مواكبا للتطور الحتمى الذي كشفت عنه دقة (لامارك) وصبر (دارون) ..

ان النظرية المادية في المعرفة تختصر الطريق وتقول بأن العقل هو نتاج مباشر عن المادة التي هي في حركة دائمة ، وتطور خلاق ..

ان القضية (كما اشرنا في حاشية سابقة) ليست الا في البرهنة على اسبقية المادة في الوجود عن الذهن ..

ولكن النتيجة النهائية التي تبنيها النظرية المادية على هذا البرهان ، هي اهم نتائج المعرفة المادية .. فما دامت المادة(✱)سابقة على الوعي ، وما دامت المادة في حركة متطورة أبدا .. فالعقل متأخر باستمرار عـن قانون الاشياء الذاتي .. هذا القانون الذي يدفع بالعقل ويطور اشكال الحياة بحتمية داخلية تكمن في قوانينه ذاتها ..

اذ ليس العقل بالنسبة للمادة وحركتها الذاتية الا الصورة المنعكسة المرآوية لواقع الاشياء الحقيقية . !

✱✱✱

النتيجة النهائية للنظريتين بازاء الانسان :

ان التفكير المادي في أرقى صوره : الديالكتيك ، ليـس الا نتيجة لفكرة (هيجل) التاريخية ، والتي ابتكرها من خلال تفكيره المنظم المدرسي عن تطور الحضارات وانشقاقها .. فاذا كانت النظرية المادية تهتم بنفس القانون الذي وضعه (هيجل) للتطور ، نازعة فكرة الله المطلقة ، وباذرة فكـرة التطور الجبري للتاريخ ، فأنها تصبح في النهاية انعكاسا للنظرة المسيحية الى العالم .. ويصبح للفردوس المسيحي السماوي الذي هو نتيجة لتصور خارق . ريفي . جلف لنهاية الكون والتاريخ ، مقابل آخر هو المجتمع الشيوعي الذي هو تصور اخر ، وحلم يداعب الانسان منذ الفجـر السـاحق للتفكير البدائي الاول ....

(١٥) استطاعت القنبلة الذرية الاولى على (هيروشيما) في اغسطس ١٩٤٥ ، ان تمحو عن الارض دائرة يبلغ طول قطرها (١٩٠٠٠ قدم) ، واليوم يمكن للقنبلة الهايدروجينية الامريكية ان تخجل ذلك (الرقـم القياسي) وان ترفعه الى ستمائة ضعف .. وغدا .. من يدري !!.

(✱) لا بد ان نشير الى ان العلم لم يستطع ان يتخلص من مشكلة بنية المادة ، اي المادة فيذاتها ، لانه مستحيل غاية الاستحالة ان يلاحظها مـن الداخل ، من داخلها هي بذاتها .. ولذلك يدعى العلم في نهاية الامـر انه ليس الا كشفا غايته استصلاح العالم الخارجي لفائدة الانسان ، اي ان الامر ينتهي به ، وهو الباحث عن الحقيقة الحيادية ، الى اصطناع علاقة بين المادة والانسان ، كيما ينفذ هو خلال هذه العلاقة مؤكدا ضرورته البالغـــة ...

ان العالم يتطور خلال الذهن او خلال المادة ، اما الانسان فهو في الفلسفتين : واقع بسيط . قشري . يتابع قفزات الذهن وقوانين المادة .. وهو عاكس ابدا لقوانين الفلسفتين، وغير قادر على الخلق والابتكار ، لان العالم يخلق له ويبتكر ويضيف ، ويحقق ، ويسن ويشكل كل شيء .. ان على الانسان فقط ان يؤمن بواحد منهما ..!!

ما الانسان في الفلسفتين ، هنا وهناك ؟!

انه تحقق من خلال ...؟؟ فكما ان البذرة تحتاج ارض ومصادفة ، او ارضا وعناية .. فكذلك القانون في الفلسفتين يحتاج انسانا كوسط ، كمحيط ، كأرض ..

فكما ترتجف التربة في انينها الاموي ، وقشعريرتهـا اللاذة ، كلما احست بالبذرة تمتص دمها ولحمها كما يمتص الطفل عروق امه ، يرتجف الانسان ويصنع ــ بدون وعي ــ كل صور الفكرتين الالهية والمادية ..

انه يعبر في كل انشاءاته الاقتصادية والفلسفية والفنية والنفسية عن كونه فأسا بين المزارع والارض .. وبذلـك يعزل الانسان ويصبح وجوده مساويا لوجود حفنة مـن شمبانزي افريقيا ، كان في قدرتها بدون شك ان توفق ــ بنفس توفيق الانسان ، طالما هو بدون وعي وتصميم ــ بين الفكرة الالهية التي في السماء ، وبين تحقيقها في الارض .. او بين فكرة الضرورة التاريخية ومصاحبتها على طـول الزمان ..

ان المثالية تعزل الانسان بمحاولتها وضع مطلق الهي من قلب فكرتنا عن الكون ، وفي قلب الكون الخارجي نفسه .. اما المادية فهي تحاول خلق مطلق مادي هو قانون حركـة الاشياء وتطورها .. وبذلك ترتبط الفلسفتان بما يشركهما بالتفكير الميتافيزيقي كله : عزلهما الانسان وشجبهما له .. اهو الانسان .. من يصنع تاريخه ..؟!

ولكن الجواب يفترض ان نفصل بين انسانين كما لاحـظ (بريبه) بحق ، فأنسان التاريخ القديم هو الانسـان (الديكارتي) : الذي ركب بطريقة منهجيه باضافة أجزائـه بعضها الى بعض ، فيأتي التفكير اولا ثم الروح المتحدة بالبدن والاهواء ... أما انسان التاريخ الحديث ، الانسان الذي يصنع تاريخه ، فهو انسان (باسكال) : انسان القضاء والقدر، والذي قذف به في ركن ضائع من الكون بعظمته وبؤسه ... (١٦)

اما الفلسفات التي كانت تابعة لتفكير القرن التاسـع عشر والتي رتبت من هناك ، من مئة من السنين مضت ، تاريخ العالم كله ، ومستقبله .. فهي التي خلقت الانسان الديكارتي . المجرد .. الذي هو (نحن) العريضة المستديرة الحاوية لكل (انا) على حدة ...

ولكن فلسفة أخرى ، تقوم مقام فلسفات الشك السابقة، وليست هي ، تحد من هذا الفهم القاصر للانسان ، وتدلـه على خطأ التفاسير النهائية والمطلقة ، فليس الكون ناشئا عن

(١٦) ص ٥٣ (اتجاهات الفلسفة المعاصرة) اميل بريبه ترجمة دكتور محمود قاسم .

نظام ، بقدر ما هو تطلب للنظام .. ليس العالم فكرة تتحقق . ولا فكرة تحقق .. انه في فوضاه واختلاطه وتضاربه ومتناقضاته : سعي بدون معنى وهدف .! برغم ان المعنى والهدف في النهاية يصبحان بالنسبة للمجموع تحقيقا فرديا للنوازع الاقتصادية والاحلام البطولية ..

وهكذا انفصلت الفلسفتان عن التاريخ الحقيقي للانسان ، وكتبتا تاريخا عجيبا ، يشابه الى حد .. ذلك التاريخ المسف الذي كتبه (روزنبرج) لتفسير التطور السلالي خلال الارية ثم متحققا في المذهبية النازية الضيقة .. ففي هذه النزعات الثلاث ، تصبح فئة خاصة من الانسان ، هي الطبقة الممتازة ، وتضحي البقية بنفسها في سبيل تلك الفئة (١٧)

ولكن الانسان ليس زنجيا وابيض ، عاقلا وبورجوازيا ، مؤمنا وكافرا ..

انه الانسان ، في غابات الملايو او الشارع الخامس بنيويورك .. هو هو مستمعا للحوار المدهش (لاوندين) مسرحية جيرودو ، في مقصورة فاخرة بالاتينيه ، او معفرا وجهه الابنوسي في التراب الالهي اسفل رب منصوب ..

وسيظل هو هو .. رغم كل الدعاوى والفلسفات التي تحاول عزله وتنحيته لان تاريخه لا ينفصل عن قدراته وارادته ..

لقد اخطأت تلك الفلسفات بمحاولتها العلو عن الواقع بافتراض قوى غيبية أحيانا ، وطبيعية أحيانا أخرى ... ولكن ذلك الواقع لا يني يردها الى الارض عنوة في كل زمان ..

وبذلك اصبح ضروريا ان تنشأ معرفة اخرى بديلة وهي ليست (مجرد عملية عقلية بحتة تقوم بها ملكة مجردة هي ما اصطلحنا على تسميته باسم (العقل) ، بل ان مصدر المعرفة هو تلك « التجربة الحية » التي فيها نختبر الواقع ونعانيه (١٨)

انها ذلك الفتح المفاجيء ، والغزو الخالي من المعنى القديم لصميم الاشياء ، ولذلك فهو معرفة صبابة وانفعال ، وهي تناول لكافة المظاهر من نبوع جديدة .. غير ان فضلها في عدم سقوطها في التفسير الذي يجر اليه ضرورة التاريخ ، ومطلق الالهة ... انها معرفة تقول بأن ليس المهم هو ان نواجه برود شجرة السنط هذه بكل كثافتها وثقلها ووجودها البعيد عنا ، لان المعرفة القديمة تنتهي بان تضيف الى عقولنا مركبا جديدا ، هو مجرد تصور للعالم ، وهذه التصورات العقلية لا تصبح موضوعات الا بفضل علاقاتها بالوعي او الشعور .. » (١٩)

اما المعرفة الوجودية فتقوم على اكتشاف للاشياء والذات عبر مرحلة من اخطر المراحل التي تفصل موقف الاشياء بالنسبة للانسان .. فهي ليست هذه الاشياء التي هي الهتي : هذا المقص ، وهذه الدواة .. وكل المظاهر التي تنتمي الى ما هو عالم قائم بذاته ، بل ان العالم هو قران الاشياء بالاشخاص ، وهو لذلك قائم في علاقة - وهي ليست العلاقة المثالية القديمة ، لانها تفترض ان الانسان هو حكمة الكون وغايته - وهي علاقة تقوم على التخلص من عبودية الاشياء ، بينما تنمو من الجهة المعاكسة ، مقابلة أخرى تتخذ من العالم (وسطا ..)

ولذلك فالانسان ، كما تعرفه الوجودية ، ليس هو نتيجة اختيار الهي وهو ليس نتيجة حتمية مادية تتيح استنتاجات لا حصر لها .. انه ليس الا هذا الكائن الذي يمارس وجوده عائدا اثر كل رحلة الى ذاته كي ينمو بها (ليس ذلك النمو الهيجلي) الى مرتبة الوجود الحقيقي ..

ان الوجودية الملحدة - على الاقل - توافق على مقدمات النظرية المادية في المعرفة ، بيد انها تتخلى عما تسميه الفلسفة المادية (روح التاريخ) ولا تتمسك بالزعم الماركسي الذي يتيح للتطور التاريخي ان يصبح تطورا في صف البروليتاريا الى المشاعية النهائية .. وقد يفسر هذا قول « فيورباخ » : « اني اذا اتجهت الى الوراء كنت متفقا مع الماديين ، واذا نظرت الى الامام خالفتهم .. » (٢٠)

---

(١٧) كل هذه التقاسيم المجزئة لبنية المجتمع ، صادرة عن تقسيم أفلاطون الشهير في (جمهوريته)

(١٨) الفلسفة الوجودية (دكتور زكريا ابراهيم) سلسلة اقرأ العدد ١٦١ ص ٢١

(١٩) نفس المصدر ص ٢٥

(٢٠) (المثالية والمادية) مجموعة مقالات لانجلز

فهم يصدرون عن نظرية طبيعية ومقبولة لنشأة الذهن عن المادة المتحركة غير انهم يصدرون عن افتراضات مثالية ، حين يهيئون الاذهان للقصد المرسوم في مستقبلية التاريخ ، ويحطمون كل نظرية تخالف رصدهم للتاريخ . . (٢١)

التاريخ من وجهة نظر مسيحية :

اذا أفضت (ضرورة) التاريخ في المذهب المادي ، الى الميتافيزيقا ، فان اقرار التدخل الالهي في صميم الارادة البشرية يفضي الى ما هو اشد ابتذالا : الى الخرافة ..

التاريخ فعل ماض ملاحق لافعالنا الحاضرة ، وهو بسبب ذلك لا يمكنه ان يتدخل في مستقبلنا ، لانه يتالف من الاحالة المستمرة للواقع الآني الى الخلف .. انه لا يدخل في مستقبلنا لانه اشارة الى وراء .. الى زمن مضى .!

ها هو في النهاية عالم يسكنه الشر والخير ، الضلال والحق ، الظلام والنور ، عالم بشر وحب .. عالم حاشد يتألف من تجارة الافيون في شنغهاي ، ومن الربح الحرام للبن البرازيلي ، ومن التعريفة المجرمة لتضخم الحد الادنى للاستشارات الطبية في نابولي ..

وها هو من ناحية اخرى النشاط المقابل ، والذي هو الربح المعقول للتجار النصف ، الذين هم في انتظار دائم للزبون ذي التكشيرة الغبية .. وها هم موظفو المصالح والشركات والعمال الذين يتلقون اول كل شهر مرتبا يكاد يفضي بهم الى اليوم السابع من الشهر الذي هو ايام الف .. »

ها هم اللصوص والطيبون ، الوادعون والانتهازيون يترجحون في عالم مضطرب . حي مليء . زخم !. وينظر الاله الطيب من سمائه الزرقاء : الخاطئون ..»

ويتجسد الرب الاله في صورة يسوع ليزيل الشر عن الارض برغم البشر ورغم الرومان ورغم قانون الطبقات ، ممزقا جسده الآلهي على الصليب ، ثم مرفوعا في النهاية بين لصين من اتعس اللصوص .!

ان التاريخ المسيحي فكرة مطلقة بثت وسط البشر وفعاليتها قانون حتمي ينبث في ضمائر الناس .. ان التعدد البشري ليس الا ظواهر .. يربطها الكلي الواحد ، والذي يتناقص مفهومه لدى أكبر مفكر مسيحي (القديس أوغسطين) :

« ذلك ان كل موجود فهو واحد بماهيته ، ولكن ثمة فرق بين وحدة الجسم القابل للقسمة بما هو جسم ، وبين وحدة النفس التي لا تنقسم بحال .. » (٢٢)

ان فكرة الكلي في المنهاج المسيحي ، تعود بنا الى فكرة الحتمية في المذهب المادي .. فتصور أوغسطين والمجتمع المسيحي كله ينحصر في وجود مدينتين : احداهما المدينة الارضية ، والاخرى المدينة السماوية او (مدينة الله) « وبينهما منذ البداية حرب هائلة ، تجاهد الواحدة في سبيل العدالة وتعمل الاخرى على نصرة الظلم ، ولن تزال هذه الحرب مستعرة الى نهاية العالم ، حتى يفصل بينهما المسيح في آخر الازمان ، فتنعم الواحدة بالسعادة الابدية ، وتلقى الاخرى جزاءها في النار التي لا تنطفىء .. » (٢٣)

نزعت المادية في تصورها للضرورة الشاعية ارادة الانسان ، وعزلته وسط حتمية التطور التي تدفعه وتنحيه وتشير له وتعين حظوظه ..

وقد اصبح الانسان بالنسة لها (ثورا) بدون دماغ ، تسوقه سياط بدون رحمة ، في يد العقل الذي يسوق العربة والذي هو (حتمية التاريخ ..) ..

اما الانسان بالنسبة للتصور المسيحي فهو طفل ضال ترشده العناية الالهية (٢٤) وهو بدونها سخيف ولا قصد له .. وليس العالم الا انتقال الفكرة من حضيضها الحيواني منذ

ـ التتمة على الصفحة ١١٤ ـ

(٢١) لاحظوا فقط ، ومن مثال واحد ، كيف هاجم (جدانوف) هجوما شائنا فظيعا مؤلفا في تاريخ الفلسفة الغربية وضعه (ج. الكسندروف) تناقض فيه (ص ٣٥٧) مع انجلز في نظرية حفظ الطاقة وتحولاتها .. ص ٣٣ : جدانوف (حول تاريخ تطور الفلسفة)

(٢٢) خلود النفس (أوغسطين)

(٢٣) تاريخ الفلسفة الاوروبية في العصر الوسيط (يوسف كرم) ص٤٥

(٢٤) خلق الله بعض الاشياء (بالفعل) وهي الدائمة الثابتة على صورتها ، والبعض الاخر (بالقوة) وهي الكائنة الفاسدة ، ومن هذه الكائنات الفاسدة الانسان .. »

.. كم هو متلو، وساذج هذا التفكير المتناقض ، الذي يعزو شر الانسان الى كونه مخلوقا بالقوة بواسطة الله ، وبين رغبة الله الذي يبعث الرسل الى الارض لترشد الانسان ..»!

نظمي

قصة الفنان في المعركة

بقلم خضر نبوه

كان نظمي يحس احساسا عميقا بتفاهة الحياة التي يحياها . فنفسه الطموحة ذات الاجواء البعيدة لا ترتوي . ان للعمل الفني جوا خاصا ترتاح اليه روح الفنان . كان يرسل بعض الصور الكاريكاتورية الى الصحف ولكنه لم يكن راضيا عن اكثر . كان يريد ان ينصر كل الانصراف الى التعبير الواسع عن مشاعر الانسان وجزع الطبيعة وشرودها . الا انه كان يحتاج الى ان تدفع له الصحف . اكثر الاحيان ما كان ليجد فاكهة على الطاولة .

ان طفلتيه ناديا وأمل تحتاجان الى ملابس جديدة ، بل هما بحاجة الى اشياء ضرورية كثيرة . ان امهما هي ايضا بحاجة الى اشياء ضرورية . لقد رسم خلال مدة طويلة لوحات جميلة وعرضها للبيع في مناسبات كثيرة ولكن احدا لم يشتر ...

ان لوحة ((الصيف)) التي كانت من أجمل لوحاته اشتراها احد السعوديين وهو رجل بليد الذهن لا يفهم ما تعنيه كلمة ((فن)) . جاء صدفة ورآها فدفع فيها ثلاثمائة ليرة لا ثمنا وانما ((حسنة)) باعتبار انه من اقرباء زوجته ...

لقد جرب مرارا ان يستأجر شقة جديدة في حي جديد هادىء . ان الشقة التي يسكن فيها بشارع صبرا لا تدخلها الشمس وهي مؤلفة من غرفتين احداهما يخصصها للرسم وللاستقبال وللطبخ. ولناديا واختها .. والغرفة الثانية اضيق من الاولى مخصصة للنوم .

كان يرسم والضيوف من حوله . اكثر الاحيان كان يضطر ان يترك الرسم ليساعد زوجته في اشغال البيت او للعناية بناديا وامل اللتين لا تتجاوزان السابعة ، وكان يتأثر بينما يزوره بعض الاصدقاء الجدد الذين لا يعرفون طباعه . واحيانا يتنازل عن وقته كله ليتحدث ويضحك ويروي النكت . او يشاركهم في هذا كله وهو منكب على العمل . انه يتحدث احيانا باتفه الاشياء عن الاسعار ونوع القماش والملاحظات الكثيرة التي يبديها الناس حيال بعضهم . كان يشفق ان يشعر انسان بجفاء وهو في بيته . كان يحب جميع اصدقائه وجميع الناس حتى الذين يستاؤن منه ..

ولكي يتجنب جرح شعور الناس يهرب من البيت ليتمم لوحته. كان يذهب الى البحر او الجبل ، فينزل في المقاهي الكائنة على ضفاف الانهر. كان يذهب كثيرا الى المقاهي الكائنة علىضفاف نهر الكلب . انه يعشق المناظر التي تكتنف النهر وكأنما هي حواش للوحة جميلة تزيد من روعة النهر وانسيابه - لقد رسم جسر النهر القديم في روعة . ولكن كان مزعجا بالنسبة اليه ان ينقل ادوات الرسم من مكان الى مكان وكان مزعجا اكثر ان يلتقي باناس فضوليين...

كانت زوجته لا تطلب اشياء كثيرة . ولكنها حينما تفعل ولا يكون بمقدوره ان يلبي طلبها يسخر من نفسه قائلا ((لو كنت اسكافيا لكنا مرتاحين اكثر، اليس كذلك يا لميا ؟))

كان يسكن بجوارهم في شقة قديمة صديقه محمد . كان محمد قصاصا شابا يحرر في الصحف . وقد تعود ان يزوره بين وقت وآخر فيؤنسه ويجلي نفسه من هموم العمل . كان محمد مرحا ويعرف طباع نظمي فاذا ذهب اليه ووجده منكبا على العمل تركه وراح يداعب ناديا وامل .. ان ناديا وامل تدعوانه بالرجل المخيف، وربما كان ذلك لان وجهه يشرق دائما بضحكة طفلية عذبة .. انهما جميلتان واجمل ما فيهما عيناهما اللتان يشيع فيهما حلم اخضر ...

ان عينيهما خضروان كعيني امهما . لا يشبهان والدهما الا في ذكائه .. قال لمحمد ذات يوم ((ان الفنانين يشكلون في هذا البلد طبقة واحدة مع العمال والفلاحين هي الطبقة الكادحة)) . ان محمد مثلا يمارس كتابة القصة القصيرة منذ عشر سنوات ، وقد برز كقصاص ناجح ، ولكن حتى هذا الوقت ومنذ ان كان بائع ترمس يجول ازقة بيروت في الليل مرتعدا ضائعا تحت المطر لم تتبدل حياته . لقد ولد يتيما ..

ولكن محمد مع ذلك اكثر تفاؤلا منه بل هو يعتقد ايضا ان محمد اكثر مرحا وانسجاما مع الناس اوعلى الاصح اكثر عطفا عليهم . ان محمد اكثر تجربة مع انه لا يتجاوز الخامسة والعشرين وهو فنان حساس جدا، ولكنه لا يفكر الا بلحظة التألق . قال له انه عاش مع جميع الناس . نام مع الحمالين والبحارة . نام مدة شهر في مركب قديم على الشاطىء وسرق وكذب وباع الترمس ولكنه يعتقد اليوم ان اجمل شيء في الحياة هو ان يقف الانسان في لحظة متألقة .. وهو متفائل لانه يعيش اللحظة.

كانا حينما يخرجان معا في الحي ويصلان الى نهاية شارع صبرا ... يديران رأسيهما قليلا فلا تقع عيناهما الا على بيوت متكأكئة خشبية ، واطفال من ذوي الثياب الممزقة القذرة يتدافعون على الطريق ويغطسون في الوحل والطين وهم اشباه موتى ...

كان يقول محمد ساخرا : ((ان هذا الحي الضائع سيكون خالدا في المستقبل . لا احد يتصور ان هذه التربة تنبت شيئا اخر غير الفقر والكفر ...)) وبعد ذلك يغرقان بالضحك .. وكان نظمي يحس في الوقت نفسه بحماس للبكاء ..

والحق ان نظمي خلد هذا الشارع الحقير بلوحات رائعة : بيوته المتخاذلة ... رسم الاولاد الذين تعود ان يلقاهم في الوحل .. ورسم الجوع والشتاء في عيونهم . ورسم العمال في صباح العيد ... الام التي جلست مساء في الباب والسأم والملل في قسماتها واطفال جائعون يشدون فستانها ... وينتحبون ..

كانت لوحاته تحفز كل جارحه في كيان الناظر . اما هو فكان يمضي في الرسم وهو يبتسم لطفلتيه ولزواره .. وكأنه اسعد مخلوق .

وكان لمحمد اقاصيص صغيرة رائعة عن الحي . في اقاصيصه انتقالات رائعة وكأن القارىء تنساب الى سمعه سمفونية شهرزاد . فهو يصور شخصا مريضا يستنجد ... ويحس معه القارىء وكأن مدية تمزق جنبه ثم يتسلل عبر السطور شعاع من نور .. فتخال السهول الخضراء تغني للسماء.. والعاشقة تحلم بالحبيب .. وكل الناس سعداء .. حتى يحس بان سطوره تهز كل جارحة في جسده . وبأنه عبد لقصصه . كان في وسع محمد ان يؤثر تأثيرا بعيدا في نفوس قارئيه .. ولهذا كان قريبا من الناس ...

ان محمد اصبح على صلة بابناء الحي ، ان الفتيان والشيوخ يجـدون لذة في ان يقرأوا شيئا عنهم وعن مستقبلهم !

ان محمد ازداد تفاؤلا حين بدأت افكاره تنبت في رؤوس الفتيـة المتطلعين المتعطشين عن طريق ... انهم دائما يبدون سعداء حين يجتمعون به او حين يرافقهم في النزهة ..

اما نظمي فلديه تلامذة ايضا يعرضون عليه لوحاتهم . وقد لمس عنـد البعض بذور الفن .

ويبدو بشكل جلي انهم متأثرون بلوحاته فهم لا يرسمون الا الاشيـاء التي يحسونها والتي هي ذات تأثير على حياتهم وحياة شعبهم !.

ان لوحاتهم ، وان لم تكن فنية للغاية ، تصطبغ بالواقعية والروح الثورية التي تنق بها لوحاته. « يجب ان نتحرر من الوصول » ... هي احدى اللوحات التي رسمها صلاح وهو فتى لا يتجاوز الثامنة عشرة وتمثل بالضوء البعيد طفلا صغيرا مبتل الثياب ملطخا بالوحل والتراب وتعلـو قسماته لمحات من الخوف والاضطراب ..

وفي ثورة الشعب ضد الحكومة المستبدة انضم محمد الى المقـاومة الشعبية في موقع الحرج وتولى اصدار جريدة الثورة . ووجد نظمـي منفذا لثورته المكبوتة منذ عهد بعيد فقرر ان يلحق بمحمد ، كان يعرف ان كل انسان في هذا البلد محروم من حقوقه كانسان . ولم يفاجأ حينما اغتالوا نسيب المتني فقد كان يعرف انهم يدبرون مؤامرة لاغتيال الصحفيين والادباء والفنانين الذين يعارضون عهد الفساد والرشوة والمحسوبيـة والتكتلات العسكرية ... وكان يعرف جيدا ان نزول القوات الاميركيـة الى لبنان لا يبرره الا قانون الغاب ...

وذات مساء عاد من موقع الحرج واخبر زوجته انه يريد الانضمام للمقاومة الشعبية وطلب منها ان تذهب هي وطفلتاهما الى اهلها فـي الجبل ...

ولما عاد الى المركز استقبله القائد العام وكان شابا حازما على صداقة متينة معه . وقد قال للرفاق المقاومين الذين كانوا في القيادة : « هـذا فنان جديد يدخل المعركة » . فرد عليه نظمي بصوت حازم « لا أبدا ، ادخل المعركة كاي انسان عادي . واريد ان تعاملوني كأي انسان عادي .»

ولما خرج الى الرفاق في ملعب المركز واجهته نسمات المساء العذبـة متسللة عبر اشجار السرو الباسقة فتنفس في ارتياح . وقد احبه افراد المقاومة واخذ كل واحد فيهم ينافس الاخر على تعليمه استعمال السلاح ثم تولى أمره محمد ــ وكان قد تدرب على استعمال وتركيب بعض الاسلحة ــ واخذا ينامان معا في فراش واحد واكثر الاحيان يحرسان معا في متراس واحد ...

كان نظمي يلح على ان تكون حراسته وراء المتراس الكائن في قلب الحرج على طريق بيروت . كان يتمنى بشكل اكيد ان يشترك في معركة مـع الاعداء . كان يعرف ان المتراس هنا على احتكاك دائم مع جنود الاميركان والعصابات الشمعونية .

كان عليه أن يحرس في الليل والنهار وان ينهض باكرا للقيام بالتمارين الرياضية . وعند العصر عليه أن يتدرب على استعمال السلاح الجديد وعلى التصويب . ان « اسبر » مدرب الموقع رجل عسكري انضم للمقاومة في المدة الاخيرة وهو نظامي حتى العظم . انه بالطبع لا يعترف بوجود تأملات وسرحات ذهنية . ان الثورة بالنسبة اليه زنود من فولاذ وبنادق ممتازة .

وكان مع ذلك يكل اليه بوصفه مثقفا ان يستقبل الضيوف الذين يفدون الى الموقع ، وان يفهم الرفاق ويعقد حلقات تدريبية يشرح فيها اهداف الثورة . وتجرد تماما من نزعاته الفردية وأجاد في توضيح اهداف الثورة بحيث ان الرفاق قالوا عنه انه « فنان سياسي » كما قال عنه محمـد ذات يوم « انه يستطيع انيهزم دالز بصورة كاريكاتورية واحدة امام الـرأي العـام »

ولم يكن المدرب يعذره ان هو تأخر عن التدريب . كان لسانه طويلا ، ولكنه مع ذلك كان يقول له « اني اعجب جدا بلوحاتك »

كان وهو يرسم في غرفة السكرتيرية يلتف الرفاق ومحررو الثورة حوله. كان بعضهم يميل الى الرسم وكانوا يعرضون عليه ما رسموه عن الثورة طالبين منه ابداء رأيه فيه والاشارة الى مواضع الخطأ ، فكان يساعـدهم. ولكن مواضيعهم كانت اجمالا مفتعلة وتافهة . على انه لم يجسر ان يصدمهم بالحقيقة !

وكان يتنازل بدون اسف عن بعض راحته من اجل استقبال الضيـوف حين لا يكون هناك من يستقبلهم في غرفة السكرتيرية . وكان اكثر الناس الذين يتسللون الى السكرتيرية يتسللون على غير ارادته ..

غير انه كان سعيدا حتى الان بالجو . كان لا يجد ساعات فراغ ليكون على موعد مع نفسه ولكنه مع ذلك يحس بالانسجام مع الرفاق ، وكـان رائعا ان يجلس معهم عند المساء ينتظرون محي الدين الذي يهيء لـهم العشاء ...

ومحي الدين شاب ضخم الجثة حتى انه لا يستطيع ان يقرفص فيعفيه اسبر من التمارين الشاقة ، وكان الرفاق قد تعودوا في هذا الوقت ان يشكلوا حلقة تجتمع تحت اشجار السرو الباسقة قريبا من غرفـة المطعم ويغنون « الحفلة بلا اكل كالساعة بلا عقرب » كان نظمي وهو يغني معهم يشعر بجو عائلي حبيب .

ويظل المقاومون يغنون حتى يستدعيهم محي الدين الذي كان رغم ضخامة جثته وبطنه المنفوخ ظريفا وطريفا للغاية،وقد اوصى نظمي على لوحةفصوره مقرفصا وهم يقومون بالتمارين الرياضية الصباحية فبدا كأنه شخصان.

ومضى ايار . مضى ثقيلا جدا على اللبنانيين واشرف حزيران . والحالة السياسية جامدة . والنهارات تزداد طولا وحرا ومللا وليس في الجو امل بعودة الحياة الى طبيعتها ...

ولكن نظمي كان مرتاحا لانه كان ينتج . كان يعتقد بالوحي الفني . فمادام هذا الوحي نازلا عليه فهو يستطيع ان يرسم بحماس ولذة واندفاع.

رسم لوحة رائعة بعنوان «العدد الاول من جريدة الثورة » وكان يمثـل رجال المقاومة يطالعون العدد الاول بشغف زائد : الذي في المؤخرة يطل برأسه من خلف كتف الذي في المقدمة ، والذي في المقدمة عيناه مسمرتان في العدد المنشور على اللوحة ، وبينهما اشخاص يقرأون ثم يذيعون ما يقرأون على الرفاق الاخرين وهم يلوحون بايديـهم فـي حمـاس وبعض الاشخاص يندسون لا لشيء الا بدافع الدس .. كان محمد سعيدا بهذه اللوحة فقد زادت من شهرة جريدته الصغيرة التي لا تتجاوز الصفحتين ..

واستوحى فكرة لوحة اخرى من صنوبر حرج بيروت . رسم رجـال المقاومة وهم يشربون الشاي تحت ضوء القمر . رسم الخطوط الاولى للوحة على علبة سجائر وهو وراء المتراس في الحرج .

ورسم المقاومين وهم يتدربون على السلاح وهم على الطعام .ورسمهم وهم ينقلون اكياس الرمل على ظهورهم ليصنعوا منها المتاريس . ورسمهم باشكال عادية وغير عادية وهم في المركز اثناء النهار .. كانت رسومـه

عميقة الخاجت بعيدة الاضواء ...

وعلقت اكثر لوحاته على الجدران في المركز ، ونشر بعضها في الجرائد التي كان يرسم لها قبل الثورة والتي كانت تصدر في منطقة المقاومة .

كان وهو يرسم يلتف الرفاق حوله ولكنه كان يجيب على اسئلتهم باقتضاب . احيانا يسألهم : « من ؟ واين ؟ وكان يتأثر جدا من اجلهم ويضطر بدافع انساني ان يرفع رأسه بين وقت واخر ليلتفت اليهم وهو يبتسم ...

ثم اخذ يتخلف عن التدريب ،ولكنه كان يتألم ايضا لذلك . وكان يقول للمدرب بانه سيعود ليتفرغ من جديد للتدريب حال انتهاء لوحته ... كان قد بدأ بلوحة كبيرة تمثل منظرا اجماليا للمركز . وكان قد انفق فيها اكثر من اسبوع ، وقد تعمد ان يجمع كل شخصيات المركز بطباعها وخصائصها في اللوحة ، وكانت ملامح الاشخاص مبالغة في الشدة ولم تكن اللوحة على الاجمال تعجبه ...

ولما رآها محمد لم يقل شيئا وانما كان يشيع في عينيه صمت حزين وخيل اليه انه سيقول : « انها اتفه لوحة رآها » ولكن محمد لا يقول هذا .

وطوى اللوحة واخفاها في احد الادراج . وحاول ان يبدأ من جديد. ولكنه أحس بان الجفاف قد سرى الى قلبه واذا به امام فراغ .. لا يمكن ملؤه . وما لبث ان ادرك ان الرسم كان وسيلة هامة في تخفيف الصخب الذي يزدحم به الجو ، والآن وقد فارقه « الوحي الفني » فقد اخذ يحس احساسا شديدا بالرتابة والملل ...

ثم اعتراه تغير سريع شامل فأصبح عصبيا شارد البال صامتا ، ميالا الى الوحدة ، وفقد اهتمامه بالرفاق ، ولم يعد يقبل على العمل بالحماس نفسه . وصار في ساعات النهار يتكيء على الحائط وحيدا تحت اشجار السرو او يستلقي على حصيرة في غرفة العتاد المنفردة ويروح يحدق في السقف الخشبي .

كان نظمي يريد ان ينتج .. لا يريد سوى الانتاج .. انه خائف حتى لا يفارقه الوحي الى الابد .. ماذا كان يحل به لو لم يكن هناك شيء يسمى الرسم .. ربما لا شيء ولكن سيكون حتما ميتا بلا قبر ... ولاحظ نظرات الرفاق اليه .. فاذا بها ممزوجة بالشك والاضطراب .. وحز ذلك في نفسه ولكنه كان على يقين بأنه لن يستطيع ان يمثل المهزلة من جديد .. انه لن يستطيع ان يخلق من نفسه انسانا بسيطا سهلا .. وصار احيانا يستيقظ في الليل مذعورا ووسط العتمة في المركز والسكون الذي ينبض بالرهبة يتحرك لسانه في صمت : « يا الهي الهمني الوحي لكي ابدع اشياء جميلة ليثق بي الناس او لاثق بنفسي على الاقل . »

ولاحظ القائد انفراده وتهربه من الحلقات الدراسية ، وكان يعز عليه ان يراه بهذه الصورة ، فقال له ذات يوم ان الرفاق يلاحظون وحدتك . وطلب منه ان يعود اليهم من جديد ، ولكنه قال له باقتضاب « لا استطيع ... احتاج الى الوحدة » . اما محمد فقد كان يفهمه اكثر من الجميع ، ولم يسأله شيئا ...

ثم لم يعد يدخل الى غرفة السكرتيرية ، ان محرري الجريدة يثرثرون اكثر من النساء . وكان يريد ان يهرب من هذا الجو ذي الآفاق الضيقة والذي لا يسمع فيه الا اسم رئيس جمهورية خائن ورئيس وزارة مجرم..

ولكنه كان يحس برغبة جامحة للرسم . ان الرسم هو دنياه وهو بيده ذات فعالية كالسلاح ... لا يريد شيئا اخر ، ولا يهمه من الخونة الا انهم اشخاص حقيرو النفوس يستطيع ان يفضح مشاعرهم ونواياهم وجرائمهم بخطوط صغيرة على ورقة لا تساوي قرشا واحدا ..

ولم يجد مكانا ليرسم الا غرفة العتاد ... كانت خلف المبنى لا يراه فيها احد . وكان في وسط الغرفة حاجز خشبي يقسمها الى قسمين. قسم يحتوي على العتاد وقسم اخر لا يحتوي الا على بعض الكتب والدفاتر المدرسية ... فنقل طاولته وكرسيه من غرفة السكرتيرية الى الفسحة الخالية في الغرفة . كانت الظلمة تختلط بالنور في الفسحة وكان هذا ما يريده ، وفوق ذلك كان بامكانه ان يغلق الباب من الداخل ...

ولم يخرج من الغرفة الا اوقات الطعام وكان اكثر الاحيان يتغيب عن الطعام . وقد اشفق عليه محمد وصار يدعوه بنفسه ، ولكن نظمي ما ن يأكل كثيرا وكان لا يلبث ان يعود بسرعة الى الغرفة . ولم يعد يراه احد في المركز . ثم امتنع عن الذهاب لتناول الطعام فصار محمد ينقل اليه الطعام في مواعيده . وقد لاحظ في المدة الاخيرة انه يضع امامه على الطاولة لوحة بيضاء لم يرسم عليها شيئا .

وذات يوم دخل عليه . كان قد غار خداه وفقدت عيناه بريقهما القديم الصافي ولكن قسماته التي كانت تعلوها لمحات الحيرة والاضطراب اخذت تنقشع ليحل محلها عزم واصرار ، وكعادته لم يسأله عن شيء . بل انه وضع امامه الطعام واكتفى بالنظر الى اللوحة التي امامه وكان قد كتب عليها بخط رفيع مشوش « اللحظة المتألقة » .

خضر نبوه



مرثية شهيد

(محمد ابراهيم الحبال .. الذي قاتل بعين واحدة وبيد واحدة)

~~~~~~~~~~~~~~

١ ـ الساعة السادسة

في الساعة السادسة بعد الظهر
عربة الدم تدفعها الرياح
الساعة السادسة بعد الظهر
الصمت يبتلع الشفق الوردي
الساعة السادسة بعد الظهر
نقالة وقطن ومنديل دمع
الساعة السادسة بعد الظهر
الرصاص يزغرد فوق الرمال
الساعة السادسة بعد الظهر
والقذائف تصدح كالبلابل
الحمامة تصارع البرابرة
الساعة السادسة بعد الظهر
الحمامة تقاتل ودماؤها تنزف
الساعة السادسة بعد الظهر
المنديل مبلل بالدم فوق القلب
الساعة الساسة بعد الظهر
الرفاق في الخنادق يغنون البعث
الساعة السادسة بعد الظهر
الوحوش الرمادية تهدر من بعيد
الساعة السادسة بعد الظهر
محمد يتقدم وبيده القنابل التي تزغرد
الساعة السادسة بعد الظهر
الصمت قد انفجر والريح تدور
والغبار ثار كالافلاك
وقد اخترق محمد خط النار
والشمس تلفه برداء ابيض
والقى بقذائفه فصدحت كالعصافير
وعاد يحمل في صدره الرصاص والرمل
وسقط على الارض وقد اشتعلت في صدره الجراح
وذاب دمه مع برتقال الشمس
الذي يغطي السطوح
ولامس النسيم جبهته وهو يغادر صدره
آه ... يا لتلك الساعة
الساعة السادسة بعد الظهر
ففيها اضاءت الشموع
ظلام الليل ..!

٢ ـ المصباح والجسد

السرير يئن والعيون لهيفة
والمصباح يضيء جسد محمد الماثل
المصباح يضيء الدم الذائب
من الجسد الذي اختلط بالشوك
المصباح يضيء الجبهه
التي لامسها دفء الربيع والمحبة
المصباح يضيء العيون
التي خرجت منها اسراب الحمام
المصباح يضيء الوجه الذي غرس فيه
المصباح يضيء الوجه
الذي غرس فيه النور
آه ... يا للمصباح الذي يشهد حياة محمد
وهي تستخرج مع الرصاص
تذوب قطرة فقطرة
تتساقط على الصدر
على زجاج الروح الهائمة
كجواد يسابق الريح
الى ينابيع الحرية والانطلاق
لقد حدقت فيه الوجوه الناعمة
وامتدت الايدي تحرك المباضع
وخفقت نسمة فحركت القطن الطبي
وداست الارجل بقايا دماء جافة
وفتحت اسطوانات الاكسجين
وارتفع ازيز الماء الساخن
الوجه يصفر كالاقحوان
والعرق يتجمع كالندى على جبينه الرحب
والالم يسكب خيوطه العتيقة في جسده
والهواء يغادر صدره الجريح لاهثا
ودماؤه تنزف ولا يصدها شيء
رماد الموت يغطي الوجه
والهواء قد جف
والغيبوبة اطبقت
والثواني اصبحت اعواما
والنور مات واختنق
والمرضة اجهشت
والموج ناح
والموت اقبل

٣ ـ سأظل اغنيك

يا دم محمد المتخثر
ايها الطائر الذي يرفرف في قلبي
يدغدغ الامل في صدري
أيتها المحبة الصغيرة المزروعة في الارض
يا حب الحياة والحرية
يا حب الزيتون الحزين
يا نسيم الجبل والسهل
يا صخرة الورد والليلاك
سأظل اغنيك .. اغنيك
ايتها العيون الصخرية
يا عيون الاطفال الرمادية
يا ثدي الحليب الخالي من قطرة
يا شهقات الطفل المريض
يا قمر الالام والسحب
يا مطر القلوب الرحيمه
يا خشبة الصليب
سأظل اغنيك ... اغنيك
ايتها النغمة المتلاشية على الاغصان
يا بنفسج الخوف الذي امتلك عيون الاطفال
يا دم محمد المتخثر ..!
يا شعلة تضيء عصافير الامل
يا وردة زرعتها يد الريح
لتورق المحبة
يا فرح الرعشة المقدسة
سأظل اغنيك .. اغنيك
ايها الزورق المغطى بالاسى
يا حب الاجساد الجريحة
يا حب الندى والياسمين
يا سنبلة الرجاء
يا من اعطيت الدم
ووهبت الحياة
لتورق المحبة
يا ورقة النور التي كتبت القدر
سأظل اذكرك ..
سأناديك
سأناديك
من السهل والجبل ...
من الصخر والبحر ..
وسأحفر لك في قلبي غصن زيتون
سأذكرك
مع ارتعاش الاوراق
مع الريح التي حملت عبير صوتك
انني اغنيك
واتذكر نسيما حزينا
يخفق مع الراية
التي لن تسقط !

سمير تنير
~~~~~~~~~~~~~~



نحو اشتراكية عربية

تأليف كلوفيس مقصود

دار منيمنة للطباعة والنشر ، بيروت — ١٥٧ ص

✶

بوسعنا القول اننا ههنا امام كتاب قيم بكل معنى الكلمة . فهو قيم بعمق أفكاره ، قيم باسلوب بحثه المنطقي ، وقيم بأهمية موضوعه بالنسبة الى مرحلة التطور الاجتماعي التي وصل اليها العرب . ولعله من الكتب النادرة التي تتناول قضايا القومية العربية بالعقل دون العاطفة ، وتعتمد الفكر العلمي والمنطق بدلا من التفكير العاطفي ولغة الشعر والخيال .

كما يمكن ان يفهم من عنوان الكتاب ، يرمي المؤلف الى بناء اشتراكية عربية تنبع من مقومات الوطن العربي ، او على حد تعبيره ، الى « القاء ضوء على بعض المقومات المنهجية في الاشتراكية » لكي يسهم في انشاء « اشتراكية عربية تتصف بالعمق والعلم والفهم الدقيق لطبيعة مشكلة الانسان ، والمرحلة القومية التي تعيشها الامة العربية في تطورها الحديث . »

والذي دفع بالمؤلف الى تحديد هذا الغرض لكتابه ، هو جلاء مفهوم الاشتراكية مما يشوبه عند غالبية الناس في العالم العربي من تشويش وخطأ وسطحية ، اذ ان « الكثيرين — كما يقول في المقدمة — ما يزالون يرون في الاشتراكية « حلا وسطا » بين الرأسمالية والشيوعية ، او يعتبرونها مجرد محاولة اصلاحية لتحسين الاوضاع الاقتصادية في المجتمع » . كما ان « الاشتراكية ما تزال حتى الان ، تعتبر في نظر العديد من المفكرين عقيدة عالمية تتنافى واوضاع الامم الخاصة ومشكلاتها القومية » ، في حين ان الاشتراكية كما يعتقد المؤلف بحق «ليست مجرد عملية اصلاح اقتصادي بل هي تتعدى ذلك الى نطاق النظرة الشاملة للحياة والى الحلول النظرية والعملية لمشكلات المجتمع والانسان » ، وانها **« على الرغم من مقوماتها الانسانية العامة ، الناتجة عن وحدة مشكلة الانسان ، مفهوم يتأثر بتجربة الامة الخاصة ومشاكلها المتميزة »** .

من هذا تتضح معالم القيمة العلمية لهذا الكتاب . اذ ان ابرز ما تبرز فيه هذه القيمة هذه الطريقة التي تعتمد البدء في تناول المفاهيم وتبيان صحيحها متميزا من خطئها الذي قد يستقر في بعض الاذهان . انها طريقة البدء من الاساس ، وهي امثل طريقة لانشاء البنيان المتين . وبنوع خاص ، انها اقوم طريقة لمعالجة قضايا المجتمع العربي ، لان معظم هذه القضايا ناشئة — كما اثبتت غير مرة في ابحاث خاصة — عن الخطأ في تمثل المفاهيم الاساسية للحياة الاجتماعية الحديثة .

وهكذا نرى المؤلف يأخذ في تحليل مفهومي التطور والثورة ، ومفهومي العقيدة والاتجاه او التيار ، ومفهوم الوجود القومي العربي ونحوه ، وذلك بغية تحديد الكلمة ، لان « الكلمة كوسيلة للتعبير عن فكرة تكون مسؤولة بقدر ما تكون الفكرة واضحة عند الذي يستعملها ، ولكن عندما لا يسبق نطق الكلمة وضوح الفكرة تصبح الكلمة اداة للابهام ودعوة الى الفوضى في المفاهيم والمقاييس وبالتالي ابتعادا خطيرا عن الحقيقة » .

فاما التطور والثورة فالمؤلف يحدد الفرق والعلاقة بينهما ، مؤكدا ان الثورة ليست النهج العكسي للتطور بل الانتفاضة الموقتة الموضعية التي تدفع بالتطور في طريق السرعة ، اي انها من صميمه ، تخضع لاحكامه ، وتحمي طبيعته ، كما انها لا ترتبط بالعنف كصفة ملازمة لها ، لان العنف نوع من التصرف العملي ، ومن شأن هذا الربط ان يحصر فعاليتها في المجال السياسي العملي ، في حين انها تتخطى هذا التحديد الى معاني الدرس والتنقيب وكيفية التنفيذ . ويؤكد المؤلف ان هذا لربط يشكل مغالطة يلجأ اليها الرجعيون للطعن في التطوير من خلال الناحية الثورية الكامنة فيه دون ان يتعرضوا الى اي انتقاص من ادعائهم الكاذب بتبني التطور بدلا من الثورة اسلوبا للعمل ووسيلة للتقدم .

واذ يلاحظ المؤلف تكاثر المحاولات الفكرية والسياسية في البلاد العربية لتجسيد الافكار والاتجاهات التقدمية وفعلها في المجتمع العربي ، يعمد الى التفريق بين العقيدة وبين الاتجاه او التيار ، فيؤكد ان « العقيدة هي نهاية المطاف الفكري لما يسمى الاتجاه او التيار ، وهي التجسيد النظري الفلسفي للاختبارات التي مر فيها الاتجاه او التيار » ، اي انها نتيجة التفاعل الاختباري بين الاتجاه ومستلزمات المجتمع ،

بحيث « ان الحكم على عقيدة ما ، فيما اذا كانت تطورية ام لا ، يجب ان يكون مبنيا على مدى قدرة هذه العقيدة على تطوير مجتمع ما ، لا على نجاحها في حل مشاكل مجتمع اخر . »

وهنا يتساءل المؤلف عن المرحلة التي وصلت اليها الامة العربية وهل هي مرحلة تفرض تبني عقيدة فلسفية معينة، ام هي تستلزم تبني اتجاه معين يتفاعل ويدخر لذاته اختبارا يمكنه من بلورة ذاته في نظرة فلسفية شاملة ؟ ولكي يجيب على هذا السؤال يتناول الوجود القومي العربي ، فيلاحظ انه واجه، علاوة على الاستعمار، تحديا وانكارا له من الداخل بحيث نتج عن ذلك وعي متأجج جعل امكانات هذا الوجود القومي تتخطى مهمة التفتيش عن « اطار عقائدي فلسفي » الى التفتح « على سائر تشعبات الحضارة المعاصرة والغابرة»

وهنا يهاجم المؤلف الاتجاهات الانعزالية بشتى الوانها ، مؤكدا ان « القومية العربية تحمل بذور التجديد الاجتماعي والفكري » ، وان الثورة الفكرية المتمثلة اليوم في التيار التحرري القائم على مثلث الوحدة والتحرر والاشتراكية الذي يكافح مثلث التجزئة والاستعمار والرجعية هي دليل واضح على حيوية كامنة في امتنا ، كما يبين ان مرحلة التطور التي وصل اليها العرب هي « ان الشعب العربي بمعركته مع المثلث العدائي لا يبني شخصية عربية مسؤولة فقط ، ولكنه يبني للعالم امة مسؤولة » .

وكما يلمس القاريء ، يسيطر على مباحث هذا الكتاب الطابع النظري . وقد يكون هذا الطابع مدعاة لنقد بعض الناس ولومهم ، او باعثا على شيء من التعقيد في بعض الاحيان . ولكني اعتقد ان هذا الطابع هو الطابع السليم الخاص بكل بحث يتناول امر وضع الاسس للبناء في المجال القومي ، وهو امر جد خطير ، فالبحث النظري ، بتميزه من البحث التطبيقي السطحي المقتصر على بعض الشؤون الآنية القريبة ، ومن البحث الخيالي العاطفي كذلك ، هو على الدوام الطريق السوي الى وضع الدعائم المثلى للتنفيذ والبناء .

والفكرة الرئيسية عند المؤلف هي ان الاشتراكية في الامة العربية هي من صميم الحركة القومية ، اذ ان القومية في الاقطار العربية ، تتمثل في العمل لاسترجاع حقوق سلبها الاستعمار وبناء وحدة هي عنوان وجود العرب الانساني وشرط هذا الوجود الاساسي . واعلان سياسة الحياد الايجابي هو في نظره مما جعل الحركة الاشتراكية في طليعة الحركات النضالية للوحدة والتحرر في الامة العربية وإذ يرى المؤلف ان القومية العربية والعمل لتحقيقها في التحرر والوحدة من صلب العمل الاشتراكي العربي ، يتناول بالنقد وضع لبنان وما يعتوره من قسمة طائفية هي اساس لكيان الدولة فيه ، ومن تكوين طبقي فريد في نوعه من حيث خلوه من « الاشحاذ » الذي من شأنه توليد الوعي الطبقي ، ويطالب « بشخصية اشتراكية للبنان لا لكي يتحقق للبنانيين مجتمع المساواة والسعادة فقط ، بل لكي تظهر لهم حقيقة شخصيتهم العربية وحقيقة مصيرهم العربي . »

هذه كلمة قصيرة في كتاب « نحو اشتراكية عربية » قد لا تفي بما يستأهله من بحث مستفيض ، ولكنها تمثل في الواقع دعوة الى قراءته . ولعل ما بهذا الكتاب ، علاوة على روحه العلمية ، من ربط بين الحركة القومية العربية وبين الاشتراكية ، قمين باضفاء طابع اصيل عليه ، وجعله كتابا من الكتب الفريدة التي يكون لها شأن عند الباحثين في شؤون القومية العربية .

محمد وهبي



مشروع نظرية في التكوين الشعري

تأليف ـ خيري الضامن

منشورات عويدات ـ بيروت ـ ١١٦ صفحة

✶

مما يسر حقا ان نرى اديبا عراقيا شابا يتخطى الحدود الاقليمية الضيقة ويبرز حصيلة تفكيره الناضجة ويضعها امام ادباء العربية وقرائها .

ويبدو لنا من مقدمة الاستاذ الضامن انه شديد الثقة بنفسه الى حد القول (١) « ان هذه المحاولة تعيد للشعر قيمته الحقة وتضعه حيث يجب ان يكون » او عندما يقول (٢) « وتشمل هذه المحاولة عرضا جيدا للفلسفة اليونانية بادوارها المتعددة ... الخ » واننا اذ نضع خطوطا حمراء غليظة تحت كلمات وجمل « تعيد للشعر قيمته » و « عرضا جيدا » نحاول تحليل الكتاب ومناقشته على ضوء ما عندنا وما نعرفه .

نجد الاستاذ الضامن ينفي وجود دراسة لكاتب عربي « تبرهن على ان الاساطير ما هي الا تضخيمات ومبالغات بكثير من التحوير والتغطية لوقائع وماجريات حياتية .. »(٣) ويحاول ان يثبت ان بحثه هذا هو الاول من نوعه في العربية. ونحن اذ نقدر هذه الثقة نرشد الاستاذ الضامن الى بحث وضعه العالم الآثاري العربي الاستاذ طه باقر بعنوان « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » (٤) ، وان كان بحث الاستاذ مسوفا بتكنيك علمي تاريخي فان بحثه الخاص بالادب تتوفر فيه الروحية اللازمة له واذا علمنا ان الاستاذ باقر يقول في مقدمة كتابه « ان التاريخ ادب في عرضه علم في بحثه » لادركنا ان محاولة الضامن ليست الاولى في العربية . وفي فصل « مشروع نظرية في التكوين الشعري » نجد الاستاذ الضامن يعرف التاريخية في ص ٢٧ بانها « عيش زمانية الموضوع على حساب اضمحلال مكانيته » فالتاريخ لا يدرس الحادثة مجزأة ولا يفصل بين الزمان والمكان لان كلا منهما مرتبط تمام الارتباط بالاخر وهو يشد ما بينهما ليجعل حركة الانسانية الدافعة ، محصلة نافعة تنير الدرب وتدرك الوشائج التي توصل زمان الحادثة بمكانها وهنا اذكر رؤوس اقلام ثلاثة ولا اشرحها

١ ـ ص ١٢

٢ ـ ص ٢٢

٣ ـ ص ١٨

٤ ـ طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ الجزء الاول الخاص بالعراق ، انظر ، فصل الاديان وفصل الادب البابلي

لتجنب الاستفاضة لان الموضوع طويل جدا ، اولها قضية ظهور السيد المسيح بين فئة معينة ومكان وزمان معينين وثانيهما ظهور النبي محمد وثالثهما ظهور الافكار التحررية القومية واشتداد اوارها في شرقنا العربي الان .

واننا في الوقت الذي نوافقه على شرحه للموضوع في الشعر ونشير الى تهربه من تحليل اختلافه عن المضمون ونؤيد الذات المتأثرة المؤثرة عند الشاعر ، نرفض ما يشجبه في الشاعر وما يحله فيه من مكنكة والية تجعلانه اشبه بالوعاء المربوط بالنواعير ما ان يجمع الماء حتى يفرغه دون اضفاء روحية ذاتية او ذوق احساسي متألق حيث يقول (ص ٢٩) : « وهنا في بحث الشعر يكون الموضوع المستجيب هو الشاعر بالذات ، هذه الالة التي ليس لها الفضل ، كل الفضل في ايجاد الشعر وتكوينه» ؟!

وعندما يتعرض المؤلف الى مسألة افراغ الاثر الفني يقول « ان الفنون الاخرى من غير الشعر تصدر عن نفس نقطة الانطلاق التي يصدر عنها الشعر فيحدثالتباين شكليا في المراحل النهائية لعملية التكوين (٥) وهو امر صحيح الى حد كبير ، وعندما يتعرض الى اختلاف الافراد الفنانين في اشكالهم وقولبتهم الفنية نجده يصر على موت النطفة الفنية عند الاشخاص من غير الخلاقين والشيء الذي يمكن قوله هنا هو ان هذه النطفة تجد لها متنفسا طبيعيا عندما يقرأ حاملها ما يجول في شعوره ولا شعوره وهذا سر تحيز القاريء لكاتبه المفضل .

وهنا (٦) « تحدث اعادة للتجربة .. ان نقل التجربة لهذا المتذوق لا يكفي والمهم ان يتمثلها ... فقراءة الشعر اذن ما هي الا اعادة للتجربة الشعرية ، لان تمثل الفنون عامة يستند الى اجترار التجربة التي تتضمنها تلك الفنون اجترارا واعيا ايجابيا » ان هذا الاجترار الواعي الايجابي لا يصح ان يؤكد بكلمة « يجب » التي حذفتها من الفقرة فهي مطلقة ، والنسبية دخل كبير هنا بحيث تجعل هذه اليجب مترجرجة لان المتذوق لا يكون ايجابيا مع الشكل الفني الا اذا كانت معدته الذهنية مضمخة .. بل مشحونة بتجارب من نفس نوع تجارب الفن نفسه ، وانا هنا لا انكر على الشاعر بالذات ، مقدرته في الاستحواذ على ذهن القاريء ان لم تكن التجربة متمرسة سابقا في ذهن الاخير، ولكني متأكد من ان الامر يحدث بمفعول اسرع فيما اذا كان الجو الفكري للقاريء مهيأ للتقبل من الوقت الذي يستغرقه الاثر الفني في محاولته لتهيئة القاريء غير الشاعر بنفس التجربة سابقا . ونجد ان المؤلف يقول في ص ٣٧ من فصل « افتعال الموضوع في الشعر » : « يكتب الشاعر الحق شعرا فيكون متأثرا بصورة ايجابية بالموضوع الباعث للشعر ، اما الشاعر البادىء فهو على العكس يكتب شعرا ولا يكون متأثرا اطلاقا بالموضوع الباعث للشعر » وانا هنا اشطب على كلمة اطلاقا هذه ، فالشاعر البادىء قد لا يبدأ ناظما بل شاعرا حقا وقد يكون الشاعر ناظما في بعض الاوقات عندما يعتصر ويفتعل تجربته بلا جدوى ، واذن فليست هناك قاعدة ثابتة لهذا الاطلاق.

اما محاولة الضامن لاثبات ان الشاعر قد ينسى افتعال تجربته نتيجة الحاحه عليها فنعتقد ان ذلك سيخلق سوء تفاهم ... ازمة بين المؤثر والمتأثر – كما يقول المؤلف – ولكنها ليست دائمة لانها تختلف باختلاف الاطار الفكري الذي يحمله القاريء وما يكنه للشاعر من قبل وما يتأبطه من ثقافة .

وما دام الضامن يركز على الشاعر البادىء وما دمنا نرفض تركيزه المطلق فاننا نتوقف قليلا في صفحة ٣٩ ونبتسم عندما نجد الضامن (يرقي) الشاعر البادىء الى رتبة شاعر حق وكأن الاحساس مراتب عسكرية . اما صاحب المؤلف وصديقه الذي شرح لنا عمليته المكنكية في رصفه اللغوي فهو ليس بشاعر – ان كان ما يقوله الضامن صحيحا – بل هو مختلق الفاظ ومرتبها على هيئة جدول ضرب ونحن نرفض هذا اللغو بشدة ونعتقد ان امثاله موجودون لكنهم لا يستطيعون فرض تجاربهم المفتعلة ويدعونها لا تتعرض لعوادي القراء المتذوقين والنقاد الذين يسلطون الاضواء الكشافة باحثين عن مقدار صدق التجربة .

اما تجربة السياب في قصيدته (الاسلحة والاطفال) فنعتقد انها لم تبدل الربيع الى شتاء كما فعل الاديب صديق الضامن ، ولكنها اتت بعد ارتطام قوي بين اصوات تجار الحديد المهترىء وتقبل الشاعر للمشكلة وتفكيره فيها فالموضوع خلق ولم يختلق والتجربة – على هذا – صحيحة، وما دمنا نثق كثيرا في تقنية السياب فلا شك ان اطار التجربة عنده وصدق الموضوع الذي استجاب له الشاعر بلا اختلاق وبكثير من الحماس والجو الهيىء ، قد جعل القصيدة ناجحة وذات استجابة عند المتأثر (القاريء) فنراه يردد مع السياب بالم وبحقد :

لك الويل من تاجر اشأم
ومن خائض في مسيل الدم
ومن جاهل ان ما يشتريه
– لدرء الطوى والردى عن بنيه –
قيود يوادون فيها بنيه
« حديد عتيق ، رصا .. ص ، حديد..
حديد عتيق لموت جديد .

ويقول المؤلف (ص ٤٥) : « وينتقل الشاعر من مشهد لمشهد ، وليس هناك رابط من التأثر الموضوعي ، انما ليس هناك غير الرابط المنطقي الصادر لا عن التأثر بل عن الفكرة .. » ونحن نقول ليس هناك تأثر موضوعي فالعملية الشعورية – عاميا – لا تخرج عن نطاق الاحاسيس وانما كان التأثر ذاتيا انسانيا وقد ترابط الموضوع منطقيا هكذا : حديد عتيق .. اسلحة .. قتل .. رماد .. استعمار .. تونس .. كوريا مصير اطفال ابرياء .. وول ستريت .. الخ .

حدث عند الشاعر تداعي معانيخرج نتيجة القابلية الربطية عنده محكما يمثل فكرة مبنية على اساس من تأثر الشاعر بالمشكلة وليس عن طريق موضعتها ، وعلى هذا الاساس فاننا نرفض البناء النقدي الضامني هنا .

في الفصل التالي (القصة وحاضر الانسان) يفصل المؤلف الوعي الانساني عن الحيواني باتصاف الاول بالوعي الفعال ونفي هذه الصفة عند الزميل المخلوق .. الحيوان !

وان الوعي الفعال عند الانسان هو الذي يدفعه الى تأكيد ذاته بشتى الطرق والاستزادة والالحاف في ذلك ، والذي اعتقده ان الحيوان يميل ايضا الى تأكيد ذاته بشتى الطرق وانا افهم تأكيد الذات على اساس اشباع حاجة .. جنسية .. نفسية .. عضوية .. اجتماعية والفرق بين المخلوقين ان الانسان يميل الى تأكيد الابعاد الاربعة بينما الحيوان لا يكثر من تأكيد البعد الاجتماعي لان اناه مفقودة الا في حالة الاستثارة والمنافسة كما تحدث بين ذكرين من الحيوان على انثى وهذه مبعثها جنسي اكثر منهاجتماعيا وتنتهي بانتهاء او بسد الحاجةالجنسية. واذن فانالحيوان يميل الى تأكيد ذاته والى فعالية الوعي ايضا وعلى كل حال فانا اوافق المؤلف على ان فن القصة « هو الفن الوحيد الذي يجسم الشخصية

---

٥ – ص ٣٢
٦ – ص ٣٤

تجسيما امتداديا على نطاق واسع وان ((اكثر الفنون ومن بينها الشعر تهتم اهتماما تجزيئيا بالشخصية الانسانية)) ولكني اتحفظ فيما يختص بالقصص الشعري والميثولوجيا الشعرية في تقارب القصة في ميزتهاهذه.

وقد كنا نود لو اضاف على هذه العبارة الواردة في الصفحة ٥٤ : ((ويمكن خلق وعي للحاضر الانساني من خلال الفنون جميعها ولكن ذلك الوعي يختلف قوة وضعفا باختلاف تلك الفنون)) كلمة الفنان وركز عليها في تحليله للفكرة لاننا نعتبر شخصية الفنان وقابلياته ومقدار استجابة القاريء له ، اهم من فنه في احيان كثيرة ، نظرا للارهاص والايحاء المتوقعين منه بالنسبة لجماهير قرائه ، وعلى كل حال فاننا نؤيد النقطة التالية التي يؤطرها الضامن بوشيج متماسك من العبارة ((ان القصاص لا يريد خلق وعي يتناول حاضر اولئك الاخرين على اعتبار فردياتهم وانما على اعتبارهم مثلا للنوع الانساني الكبير وعلى اعتبار القصاص ذاته داخلا ضمنهذا النوع الانسانيالكبير، فالوعي الذي يخلقه،اذن، وعي يتناولحاضر القصاصنفسه علىوجه او علىآخر)) ص ٥٦ .وفي الفصلالتالي((هوميروس والميثولوجيا)) يتكلم المؤلف عن الدين فيقول ((لا ينكر ما تخلقه تلك الاديان من اساطير وخرافات تجمل غايات الدين ، اي دين ، ومفاهيمه الانسانية وغير الانسانية)) ونحن هنا نشطب على المقطع الاخير ((غير الانسانية)) لان غايات الدين لا تستطيع ان تكون غير انسانية .. حتى اذا كانت سرا ، لانها مرتبطة بالانسان ولاجله اوجدت .

اما ان الدين عند القدماء قد خرج عن كونه تهجدا وتبتيلا فهذا صحيح ولكنه كان خارجا عن كونه هذا الشيء منذ البداية لان الانسان قد غلغله في واقع حياته لانه يحتاجه في كثير من الاوقات وقد صاحبت التهجدات ولوازمها الدين باعتبارها مظهرا سطحيا ـ في اكثر الاحيان ـ من مظاهره ـ وعلى وجه الخصوص في اديان ما قبل الكتاب ـ وقد استغلها الكهنة ورجال الدين لاغراض حياتية ليعتاشوا ويحظوا بالمكانة من ورائها .

وابرز دليل على تغلغل الدين في واقع الانسان ((قديما وفي عهد الديانات غير السماوية)) ان الانسان اليوناني والبابلي قد عكس ما يشعر به من تجمع وما يراه في مجتمعه من تنظيمات على الهته ، فاعتبرها منفذه عند الالهة ايضا وانها لم توجد على الارض الا لكونها وجدت في السماء ، فتصورهم على هيئة مجتمع فيه الكبير وفيه الصغير ولكل منهم وجائب ووظائف وما كان هذا الا عكسا لواقع الانسان ، اما بشأن الغيبيات غير العملية فهي تطمين لرغبات غير منفذة واقعيا .

اما بشأن هومير فان هناك من يشك بوحدانيته وهل ان المنسوب له من ادبيات يمثل تفكير شخص واحد ام اكثر ؟

وقد كنا نود لو تطرق المؤلف الى هذه النقطة وناقشها . اما ان سفوكليس قد عالج في مسرحياته واقعا بعيدا عن الالهة بعض الشيء نظرا لحصول تطور مجتمعي فهذا امر صحيح نوافق الضامن عليه تماما ولا نتحفظ في اعتبار الالياذة ـ مع المؤلف ـ ((ادبا حقيقيا في الوجود .. يترفععن ان يكون هذيان محموم وخرفات مستوهم وغيبيات مغالط ادبا مطابقا للواقع)) كما اعتبره ماثيو ارنولد .

ولكن الادب الكلاسيكي القديم لم يستطع ((الخلاص من قيود المثالية التي فرضها الزمن قبل ميلاد ابن الانسان)) .. ان هذا الادب قد ظل مستمرا على مثاليتهالتي كانت موجودة في الاوديسة والالياذة ، سوى انها مثالية تكره الحرب وتؤيد السلم ، وهذا امر فرضته طبيعة المجتمع الذي عاشه السيد المسيح .

وفي فصل (نظرية المعرفة عند السوفسطائيين)يؤكد المؤلف انالفلسفيات السابقة للفلسفة السوفسطائية كانت وقفا على مظاهر الكون وخصائصه والميتافيزيقيا وغيرها .. كل شيء عدا ابدع شيء في هذا الوجود .. الانسان ، فلم تهتم هذه الفلسفات به ، بينما ركز السوفسطائيون عليه وبذلك فقد كانت فلسفتهم رد فعل لما سبقها من فلسفة ((عجزت عن الوصول الى غاية عقلية او سياسية او اجتماعية او دوخانية واحدة)) واحسب ان نظرية توينبي في التاريخ الحضاري تطبق هنا وتعزز ما قاله الدكتور عبد الرحمن بدوي في تقسيمه لمراحل الفلسفة اليونانية الى اربعة اطوار اولها الطبيعية وثانيها السوفسطائية والسقراطية وثالثها الافلاطونية والارسطوطالسية ، ورابعها دور الركود الذي ينتهي ببداية الافلاطونية الحديثة . وبعد ان يشرح المؤلف الفرق بين الفلسفة الحية الايونية والفلسفة العقلية التي تعتبر الحواس غير كفؤ ((لاداء الادراك الكامل للحقيقة والوجود)) وتمدرس الفلسفة الاخيرة الى مدرستيناولاهما تؤمن بوحدة الوجود وثباته والاخرى بتطوره وتغيره ، يقول : ((يكاد يتفق اكثر دراسي الفلسفة على العصر الذي جاء فيه السوفسطائيون يمثل عصر ازدهار فكري بالنسبة للتطور الفلسفي القديم)) وهو امر ناخذه من الناحية النسبية ليس الا ، فاذا اعتبرنا فلسفات ما قبل السوفسطائية خامدة ، اعتبرنا السوفسطائية حركة باعثة تمثل ذلك العصر المزدهر ولكنا نميل الى الراي القائل بان مجيء السوفسطائيين طبيعي الحدوث وانه لا يشكل ـ رغم قلبه لنظام التفكير ـ الا حلقة عقلية جديدة مردها الحركات الفلسفية السابقة التي تعبت في بحثها الكوني المتخلي عن الانسان ، ونعتبر الظروف قد اضحت مهيئة للبحث في الانسان نفسه بعد ان شبع الفلاسفة بحثا بغيره .

والذي يريحنا جدا ان يتصدى الاستاذ الضامن لشرح مسألة النسبية قديما وحديثا فيكشف عنها عند السوفسطائيين من خلال نظرية المعرفة، ويذكر انشتاين ونظريته النسبية الملتزمة للعلم اكثر من نظرية غاليلو المرتبطة بالفلسفة ، والذي يبدو لنا من خلال شرح المؤلف ان انشتاين يؤكد على الزمان بينما يركز غاليلو على المكان ، ولعل مرجع ذلك الى التطور العلمي الحاصل في عصر انشتاين والى تفكير غاليلو كرجل فلكي تلسكوبي ، ومن ثم يزاوج الاستاذ الضامن بين نظرية النسبية الموجودة عند الفيثاغورسيين الرياضيين والنسبية السوفسطائية ، وبعدها يتطرق الى تأكيد السوفسطائية على الروح الفردية في المجتمع فيصل بذلك الى نتيجتين : ((النتيجة الاولى هي بروز النزعة الفردية بروزا جليا ، اما النتيجة الثانية فهي ارتفاع حالة الخلافات والنزاعات بين الافراد نتيجة للتعارض الفكري الجبري)) (ص١١٢) مما دفع سقراط وافلاطون الى نقد السوفسطائية نقدا منهجيا منظما،والذينعتقدههنااناالسوفسطائية النسبية توسع الاطار الفكري عند الانسان وتجعله ينظر الى الحقائق الماثلة امامه في لحظتها وزمنها ويدرك ان هناك الكثيرين ممن يؤمنون او لا يؤمنون بما يؤمن ، والسبب في ذلك راجع الى اختلاف منهج التفكير .. الاختلاف الذي تفرضه ظروف عقلية وبيئية وثقافية مختلفة . وهذه النقاط تستدعي بحثا خاصا عن السوفسطائية بالذات متى تيسرت الظروف لذلك، الا ان الذي لا شك فيه ـ بالنسبة لي ـ هو ان بحوث الاستاذ خيري الضامن هذه تستوجب التهنئة والشكران والتقدير للمجهود الذي بذله ، مما جعل كتابه ـ على صغره ـ مادة ثقافية دسمة .. مفيدة .

بغداد **باسم عبد الحميد حمودي**

زوجتي... عمياء!

(الى الانسانة الغريبة التي تعيش الان في وحدة الظلام .. هناك في احد مصحات العيون النائية .. اليها وهي تتحسس ظلام الطريق البارد الموحش ... بوقع انفاسها .. على اشواك الطريق ..)

حبيبتي .. ما عدت تبصرين ..
الشمس .. في مشارف التلال .
والارض في غلائل الظلال .
وأوجه الصغار في الطريق .
والزهر في انائه الجديد .
لمن ترى سأشتري الزهور .
لمن ترى .. سيصنع الربيع .؟
نوارة السلام .. في الخميله ..
وتفتح الاجفان .. في الصباح ..
فلا ترى عيونك الجميلة ..
راعية الازهار .. يا جميله
من يرضع الازهار في الحديقه ؟
وأنت في الظلام .. راحله ..
والدمع في الجفون أنمله ..
تلامس الاشياء .. في حذر ..
وتلثم الورود .. في خفر ..
وترسل ابتسامة الحياء ..
... تعتذر ..
عن انها اسيره ..
والناس يمرحون ..
يا زوجتي – ما عدت تبصرين ..؟
ما يمنح الربيع .. للعيون ..
قد جاءنا الربيع يا حبيبه
يدق بالنسيم كل باب ..
لكنه ما دق بابنا ..
بل أطفأت يمناه .. شمعتين .
في غابة الظلام ..
قد غرب الربيع .. زهرتين ..
عن موكب الزهور ..
فليقبل الربيع بالعذاب ..
وفجره .. لا يعرف الالم ..
لكنه .. ما دق بابنا ...

وفاتنا .. في الليل .. فاتنا ..

✶

حبيبتي ما عدت تبصرين ..
ان كنت قد نسيت كل شيء ...؟؟
تراك .. قد نسيت .. صورتي ؟
وبسمتي .. نسيت .. بسمتي ؟
هل اكتسى الصباح بالحداد ؟
وغامت الاشياء .. في الضباب ..؟
اذ تغرق الزوارق البيضاء ..
هناك .. خلف هوة المحيط ..
والبحر هل سيذكر الملاح ؟
ووجهه يغوص .. في الامواج ..
وعينه يلفها الزبد .
يلفها .. في هوة الابد ..
وفجأة .. تعاود الرياح ..
مسيرها .. من منحنى الشمال ..
تغير اتجاهها القديم ..
لتدفع السفين .. من جديد ..
لرحلة .. على مدى العباب ..
والبحر .. هل سيذكر الملاح ؟
وقد طوت نسائم الغروب ...
شراعه .. وثوبه العتيق ..
كلاهما .. في البحر .. كالكفن !
للسابح الطليق ..

✶

نسيته .. يا بحر .. بعد حين
من نوّر الصباح بالحنين ..
ما أرهب الظلام .. يا صغيره ..
في لجة سوداء .. في القرار ..
وأنت في العباب .. طافيه .
غريقه .. في الليل .. تسبحين

✶

حبيبتي .. وبيتنا الجديد ..
يجاور البيوت .. كالوحيد ..
اذ ليس في رحابه ضياء ...

يستقبل الضيوف .. في المساء ..
كم اورقت .. في بيتنا الاماني ..
تستقبل الشروق في تفاؤل ..
تودع الغيب .. في تساؤل ..
عن عودة الصباح ...
والان لا شروق يا حزينه ..
لاشيء .. غير طارق السكينة ..
والزائر الملثم .. الرهيب
من جاءنا .. من غير ما عيون
«يا سارق العيون في الصباح .
في بيتنا خفاشك الكئيب ..
يكفن الطيور .. بالجناح ..
ويغسل الدموع بالجراح ..
ويغلق النوافذ المضيئه ..
يطير .. قبل موعد الغروب ..
في بهو بيتنا ..
اذهب .. الى خرائب الاطلال ..
ودع لنا بقية الظلال ..
فلم تعد .. في بيتنا .. حياه ..
ولم يعد يزورنا .. ضيوف ..

✶

حبيبتي .. وشرفة الاحلام ...
والمقعدان .. نكسا الظلال ..
في غربة الظلام ..
فمقعد .. عليه .. ترتمي ..
تعاسة الغريب ..
ومقعد .. في الليل قد خلا ..
من وجهك الحبيب ..
ولا تزال ترقص الامواج ...
في النيل من بعيد ...
من يوم أن جرت .. مع الهواء ..
ولا تزال هذه الشجيره ..
تهتز .. في حديقة الجيران ..

تميل .. في أنامل النسيـم
وخطوة الشرطي .. في الطريق
ولمحة السيارة السريعه ..
تضم عاشقين .. في الظلام ..
وصورة الترام .. من بعيد ..
يقل .. عائدين .. في المساء
وموكب النجوم .. في الفضاء ..
في الافق .. في مدارها .. تدور ..
بشقوتي .. بشقوتي .. تدور ..

★

وهذه الاستار .. يا حبيبه ..
علقتها .. بالامس .. في الشباك ..
زرقاء .. مثل .. طيبة السماء ..
خيوطها .. من مغزل العبير ..
ورقة الجناح ..
والليل يا حبيبتي .. طويل
والناس .. في الطريق .. يلغطون.
اما تكف هذه الاقدام ..؟
عن سيرها في موكب الزحام ؟
وكلما سمعت في الطريق عابرين .
اقول في ضراعة الامل ..
الم يعد يزورني صديق ؟
وكلما سمعت صاعدين.. في الدرج.
أقول في ابتهالة الحنين ..
« هل عدت يا حبيبتي الصغيره ؟
يا زهرة .. في فجرها .. عمياء..
والشمس .. لا .. تضن بالضياء ..
لكنها .. قد يتمت .. عيونك ..
واسبلت.. على الدجى .. جفونك .
في مشرب النهار ..
ونورها يسيل .. في السماء ..
على ربى البطاح
حتى على الرمال ...

★

أفديك .. بالنهار .. في عيوني
افديك .. يا بنية النهار ..
خذي مع المساء مقلتيا ..
واستقبلي الصباح .. في يديا ..
وانني والله ... يا حبيبه
ساقطع الطريق .. في ذراعك ..
والمس الورود .. في خشوع ..
واصطلي حرارة الشموع ..
في سهرة الشتاء ..
سأمسك الاضواء بالخيال ..
واعصر الصباح .. في دموعي ..
وارسل ابتسامة القناعه ...
لانني .. جوارك ...

★

الليل .. يا حبيبتي طويل ..
وها أنا أعود ... كي أنام ..
وصورة لوجهك الدفيء ..
في حجرتي .. جوار مخدعي..
لثمتها بنار أدمعي ..
« عينان .. بالسلام .. تهمسان ..
من منبع الشروق .. جدولان .. »
كم فتحا بوابة الصباح ..
وها هما .. في السجن .. طفلتان !
والطفل ليس يعرف الظلام ..
والدمع للاطفال .. راحتان ..
امتدتا .. لله .. في صلاه :
« يا واهب الضياء .. »
« الناس في مواسم الاعياد ... »
« والكل في ارتقابه السعيد ..
« لموعد جديد ..
« الورد في الغصون كالقبل ..
« اليائسون عانقوا الامل ..
« ونحن .. في الظلام .. خائفان ..
« نستحلف الحياة بالربيع ..
من جاءنا .. من غير أن نراه
الا على ملامح الشـفاه ..
بقية تنساب ..
من أدمع بريئه ..
لاتقس .. هكذا على الصغار ..
وعد بنا لملعب الانوار ...
فنحن لم نعذب الطيور ..
لم نخنق الزهور ..

★

حبيبتي .. يا طفلة الظلام ..
قد فاتنا الربيع .. يا حبيبه ..
واغرق السهول .. بالشذى ..
وتوج التلال بالندى
واهتز في الجذور ..
وابصرته اصغر الاشياء ..
وانت .. يا جميلة العينين ..
ما عدت للربيع تبصرين ؟؟
ما عدت للوجوه .. تعرفين .. ؟

★

يا طفلة الظلام .. هل علمت ؟؟
الامهات .. في الربيع قد ولدن ..
وجارة ببيتنا .. اتى ..
وليدها الجديد ..
لكن مقلتيك .. يا حبيبه ..
لن تبصر الاطفال .. في الربيع ..
سيرتمي الصباح فوق وجهك ..
وعندها .. احس بانتفاضه ...
يا شقوتي .. اذ المح الشعاع .
يعوم .. في .. غدير مقلتيك ..
يغوص .. في قرارها الصموت
ينساب .. في بحيرة الظلام ..
كباحث في الليل .. عن غريق ..
وانت تبحثين .. عن شعاع ..
الشمس في الزحام .. ابصرتك ..
في غربة الضياع .. ابصرتـك..
تمشين .. فوق شاطيء الضياء ..
في خطوة كسيره ..
تمشين .. كابتسامة الظلام ...
النور يا حبيبتي كم قال ...
كلامه للاعين الكثيره
وانت .. هل .. سمعت .. همستين
في محفل النهار ؟؟
أهكذا .. قد .. اخرس العينين ؟
من الهم العيون .. غنوتين ؟؟
واللحن في الصباح .. لم يتم ؟.

★

اخاف يا حبيبتي .. لو جاء ..
وليدنا .. في ليلة الشـتاء ..
اتبصرين وجهه البريء .؟.
أتعرفين لون مقلتيه ..؟؟
وبشرة الربيع .. في سماته ؟
فلتغمضي جفونه الصغيره
بقبلة المساء ..
ولتنحن النهود .. في امومه ...
في لمسة رحيمه ..
يسخون بالحياة للمحروم ..
يمنحن ما تبثه السماء ..
يسقين قطرتين من ضياء ..
عن موطن الضياء ..
رضيت بالظلام .. مستكينه ..
من غير ما حياه ...
من غير ما غناء ...
من غير ما أمل ...

محمد الجبار
القاهرة



ــ الليلة ايضا ، وفي نفس الوقت .

مرة ، حاولت ان ارى ما يحدث داخل الجدران الاربعة المتصالبة في كآبة ، وضعت عيني بكل بساطة في ثقب الباب ، ورحت افتش عنهما .

كانا غارقين في العتمة . وكان ضوء الطريق ينفذ عبر زجاج النافذة، فيسمح للاشياء القليلة المبعثرة في الغرفة القذرة ان تخلق ظلالا باهتة، ولكنها موحية ، وهكذا .. اصبح للغرفة ، كما خيل الي للوهلة الاولى، بهاء منقطع النظير ، لم اكتشفه من قبل. فتطامنت لحظة ، لحظتين ، الا ان جلستي تلك وعيني المفتوحة على ما يجري في الداخل .. كانتا تسممان كل شيء بالتدريج ، وتضيفان الى المشهد شخصا ثالثا غير مرغوب فيه.

ولم اكن ارى سوى عيني الفتاة المتقدتين في الغرفة كنجمتين ، ولا ادري لماذا استعادت ذاكرتي بسرعة كل العيون النسائية التي مرت بي. كنت اعجب بعيون النساء لاتساعها او لزرقتها ، ولكن هاتين العينين المضيئتين قد وضعتاني امام نوع جديد من الاعجاب ، نوع مشوب بالقلق يثير في اسى عميقا لا اعرف مصدره ، وهكذا .. وفي لمحة عين وجدت نفسي وجها لوجه امام عملية شائنة ، اشارك فيها مشاركة لا حدود لها .

وبدأ وخز صغير يتحرك في صدري، منذ تلك اللحظة، وهممت بان اطرق الباب فاستدعي سامي ، واسأله ان يكف ويمضي ، يأخذ الفتاة الصغيرة التي اثارت شفقتي ، ولكنني ترددت اذ سمعت صوته :

ــ هل تعجبك الغرفة ؟ نحن ها هنا بعيدان عن ماما وعن بابا ..

وسمعتها تجيب في استحياء :

ــ نعم .

وخيل الي ان هذا الصوت الرقيق .. قديم ، كأنه يخرج من بئر ، وتساءلت في نفسي : اهكذا تضعف البنات عادة امام الرجال ؟

كانت الفتاة جميلة ، بيضاء وصغيرة ، ولقد قدرت ، منذ رأيتها ، انها لم تتعد السابعة عشرة بكثير ، تلبس ثوبا مدرسيا خيط باناقة ، وتبتسم بروعة مذهلة لاتفه الاسباب ، ولم اظن بها ، للوهلة الاولى، ظنا سيئا مبالغا فيه ، فلقد قدرت ايضا انها واحدة من فتيات دمشق اللواتي يستجبن الى المغامرات الغرامية العابرة التي لا تترك اثارا ، وسرعان ما قطعت برأيي هذا ، حين رأيتها تنكمش في زاوية الغرفة خائفة مترددة .

كان سامي ، وقتئذ ، يقترب منها ، ولقد سمعته يقول :

ــ تستطيعين ان تتمددي ، ان تضعي رأسك على كتفي .

ولم تقل الصبية شيئا ، وانما لاذت بالصمت ، وكان للهاثها صوت مسموع . وفي لحظة خاطفة .. تمنيت لو انني كنت مكان هذا الشاب الذي يعرف ، على ما يبدو ، كيف يأسر قلوب الفتيات ، ولكنني كففت عن التمني في الحال .

ورأيت سامي يقترب منها ...

ورفعت عيني عن ثقب الباب كمن لسعه تيار كهربائي مفاجيء، واحسست بدوار حقيقي وبانني مذهول .

كنت احاول ، دائما ، ان اجتاز الايام بحذر متشبثا باشياء كثيرة عن الشرف والكرامة والمثل الرفيعة ، حفرت في عروقي ، منذ الصغر، حفرا.. بسبب من وجودي في وسط ريفي يقدس اشياء من هذا النوع ، ولكنني في تلك اللحظة بالذات ، شعرت بانني اقذف بنفسي في اعماق اللجة ، وانني اصبحت عرضة لخوف صغير ، بدأ يتسرب الى صدري بسبب من اشتراكي غير المباشر بهذه العملية القذرة التي يوشك ان يرتكبها سامي في غرفتي ، وهكذا .. واثر لحظة زمنية لا ابعاد لها ، مضت ثقيلة ، وجدت نفسي مدانا .

ولم ادر ماذا افعل ..

ونزلت الى الشارع سريعا ، واندسست بين الناس الذين خرجوا في تلك الامسية الصيفية المقمرة ، احمل بين جنبي الما لا حد له .

لماذا لم اتدخل ؟ انني متردد ، جبان ، منكمش ، منطو على قذارة عجيبة لا تعدلها اية قذارة في العالم ، فلقد افسح هذا الامل الصغير الذي انبته سامي في ، فجأة ، مكانه لجرثوم مخيف بدأ يغزوني بالتدريج ، فانا الساعة احمل شعورا جريحا وكبرياء مسحوقة ، ومثلا معرضة لان تبتلعها قرارة سحيقة .

كان الناس لا يعبأون بما في وجهي من مرارة، يسيرون، يتسكعون، واحيانا كانوا يقفون امام واجهات المحال يثرثرون اعجابا او سخطا ، ثم يعاودون المسير كأنما لا اهداف تنظم سيرهم ، وكأن لكل منهم مشكلة اخرى يحاول قتلها بهذا العبث الذي لن ينسى الحقيقة الرهيبة .

وتصورت صديق طفولتي الذي خلفته في الغرفة مع الصبية ، يلهثان وراء كل قبلة ، وكيف انه سيختلط بعد قليل بالناس ، هؤلاء الناس انفسهم وكيف انه سيلقي عليهم التحية :

ــ مساء الخير ..

ببراءة طفل ، ودون ان تختلج في وجهه عضلة ، كأن حرمة لم تنتهك، وغرفة لم تدنس ، وكرامة انسانية لم تبدل بامل ، مجرد امل زرع في صدر رجل صغير ، فيلقاه الناس هاشين باشين ، على وجوههم احترام قديم ، لا تزيله الخطايا المجهولة المصنوعة في غرفة صغيرة ، واطئة السقف صاحبها صديق معوز ، عاطل عن العمل .. مع فتاة طفلة ما تزال .

خيل الي انني اشم رائحة دم فاسد يجري خطأ في الشرايين والاوردة.. وانا اخترق الرصيف المزدحم بالناس ، وخيل الي ان هذه الرائحة تتكاثف في انفي كثافة جنونية ، تدفع الي ان اقوم بمحاولة انقاذ لنفسي .. على الاقل .

وهكذا ، وفي لحظة صغيرة ، تهيأ لدي من الاسباب ما جعلني اعود الى البيت .

ـ الليلة ايضا ، وفي نفس الوقت .

منذ هبط المساء ، وانا انتظر ..

جدران الغرفة الكئيبة باردة ، ومع ذلك .. فا[illegible] لم يكن قد هطل هذا الشتاء بعد . ان شهرين شتائيين قد يمران قبل ان ارى النتف البيضاء تتساقط من وراء زجاج الشباك المطل على الزقاق ، وها انذا ملقى دونما حركة ، ينفذ البرد الى عظامي ، ويذبحني هذا الانتظار المخجل الغريب ، لقد مات في كل حس ، ولكن عيني ظلتا تتألقان في العتمة كنجمة الصباح التي تبرق على اخر حدود الليل ، ولعل من الغريب حقا ان اتخيل عيني هاتين ، وقد انفصلتا ببطء عن جسدي ، وحومتا حول جثتي الملقاة على البساط .

واصخت بمسمعي جهة الباب ..

كان من عادة سامي ان يطرق الباب قبل ان يدخل ، وكان علي ان افتح بسرعة ، وان ابتسم للصبية ابتسامة مطمئنة ، ومن ثم اتناول بضع ليرات من الكف المبسوطة في وجهي ، واذهب بها الى السوق ، واعود مسرعا بسلة ملأى بالفواكه ، واحيانا بقنينة نبيذ معتق .

قلت لنفسي : لسوف يأتيان بعد لحظة ، وسيتكرر التمزق في داخلي . بت اكره القيام بهذه المهمة غير المشرفة ، ولكنني كنت مشدودا الى الامل الغريب المعقد الذي نماه سامي في مع الايام :

ـ غدا .. اجد لك عملا يا احمد .

ستدخل بعد قليل بقدها المشوق ، ستحييني بادب جم ، وببراءة طفل صغير :

ـ مساء الخير .

وسأرد :

ـ مساء الخير .

وانسحب ، كالعادة ، الى الخارج ، وعلى فمي ملامح ابتسامة ذليلة ، متكلفة ، وفي عيني بقايا نظراتها الحزينة ..

لشد ما تقلقني عيناها . لقد خيل الي ، منذ رأيتها ، انهما حياديتان ، ولكنني اكتشفت فيهما حزنا ملونا وحيرة بدائية تشبه الى حد كبير حيرتي ، ولطالما تساءلت : ترى ، هل احست هي الاحساس نفسه بالنسبة لي ، هل اكتشفت عيني كما اكتشفت عينيها ؟

كنت احلم بان اقول لها كلمة واحدة صريحة في هذا الشأن ، ولكنني .. كنت اكف دائما ، اذ لم يساورني الشك قط في انها تأخذ الامر مع هذا الصديق على انه جد : حب حقيقي ينتهي بالزواج .

سأتركهما في الغرفة وحيدين ، كالعادة ، وسأمضي الساعة الاولى في التسكع ، وسألبس الموقف كله ، كالعادة ايضا ، غلالة شفافة من عدم الاكتراث ، ومن ثم اعود لاقعي ككلب حراسة مدرب امام الباب .

سانصت الى حديثهما ، وفي بعض الاحيان سأضع عيني في ثقب الباب لثانية او لثانيتين ، ومن ثم .. سأرفع رأسي مبتسما ابتسامة ما زالت تكبر في اسى على شفتي .

ولست واثقا من ان الخجل القديم قد تبدد ، ولكنني على ثقة من ان لطخة قد وضحت اثارها في عيني ، انني ، الان ، اقل شعورا بفداحة ما يجري في الغرفة ، وحتى السؤال الذي كنت اوجهه الى نفسي باستمرار : « لماذا سمحت لهما بالدخول ، هذه المرة ؟ » قد مات ، واحتل مكانه السؤال المألوف : « هل طرأ جديد في موضوع العمل يا سامي ؟ »

لقد كنت اعتقد ، في البداية ، ان من الخطأ .. ان آتي بهما الى الغرفة ، وكان هذا الوعد المهدور الملآن بالكلمات الرنانة :

ـ غدا .. اجد لك عملا يا احمد .

لا يمنحني تبريرا كافيا بان ادفع الثمن خجلا مستمرا ، وكرامة مهدورة دونما رأفة ، ولكن الامر .. حدث على نحو مفاجيء وسريع ، فقد جاءني سامي الى مقهاي على عجل ، وهمس في اذني :

ـ اعرف انك تعيش وحدك .

قلت :

ـ نعم .

قال :

ـ اريد ان ازورك .. زيارة خاصة .

ولم اتردد قط في ان اضع شيئا من الاهتمام على وجهي . كان سامي صديق طفولة قديما ، زاملته سنة ثم نبذته ، بسبب من تباين طريقتينا في العيش ، او بسبب من عدم انسجام ثيابه الجديدة الجميلة مع ثيابي البالية الباهتة الالوان باستمرار . وكنت اذا اجتمعت به .. بادلته تحية مقتضبة بتحية مترفعة من جانبي .

قلت :

ـ منذ متى وانت تهتم باصدقائك القدامى ؟ انت في واد ، وانا في اخر ، وان شئت الصدق فانا اخشى ان تتقزز من مظهر غرفتي .

قال :

ـ ترفض اذن ؟

قلت :

ـ اردت ان اقول ان الغرفة ليست مما يناسب المقام .

قال :

ـ انت صديقي ، والصديق خير من يقدر الظروف ، انني لا اريد قصرا وانما مكانا امينا ومجهولا .

وضحك بعصبية ، حتى بدت اسنانه المكسوة بطبقة من الفلح صفراء بفيضة ، ولم اضحك ، وانما حدقت في وجهه الناعم القسمات كوجوه البنات ... كمن يرى من بعيد الى معالم جزيرة نائية مجهولة . كان انيقا الى درجة تبعث على الضحك ، وكاملا .. حتى انني حاولت لمدة دقيقة ان اكتشف فيه نقصا فاضحا ، ومع ذلك .. فان رائحته لم ترق لي على الاطلاق ، ولو ان لهفة حديثه معي .. كانت اقل قليلا ، لصددته بكبرياء .

وسرنا معا ، اجتزنا « سوق الخجة » الرطب المعتم الى « السنجقدار » كان الهواء ساكنا ثقيلا ، والارض تلتهب من وهج شمس الظهيرة ، والحوانيت مغلقة الابواب ، والناس يحثون الخطى نحو الظلال ، يحملون وجوها قلقة متعبة كوجهي ، والباعة الصغار يتثاءبون من النعاس ولا يتحركون ، وقضيبا الترام يلمعان في الضوء كافعيين دفع بهما القيظ الى التمدد على قارعة الطريق ، وكنت افكر ، وقتئذ ، في تعذيبه على طريقتي : ان نسير دونما حديث على الاطلاق .

وحين وصلنا الى « ساحة المرجة » سألني :

ـ هل الغرفة بعيدة ؟

كان لهفا ، تقفز عيناه وراء معالم الطريق الذي يؤدي الى غرفتي .

قلت ساخرا :

ـ هل تعبت ؟ نسيت انك لا تسير كثيرا على قدميك .

وقال متجاهلا سخريتي :

ـ اين تسكن ؟

ـ في « البحصة »

ـ ماذا تفعل الان يا احمد ؟ اما زلت تعمل معلما وكيلا ؟

ـ كلا . انني افتش عن عمل منذ خرجت من الجندية .

ـ هل وجدت ؟

ـ ابدا .

ـ لماذا لا تعود الى القرية؟

ـ اعتدت على سكنى دمشق

ـ ولكن السكنى في دمشق تكلف كثيرا

ـ وهل يهمك انت ؟

ـ انا اقصدك انت

ـ هل يرضيك اذن ان اقول : ان حالي لا تسر على الاطلاق

ونظر الي ، وقال بسرعة .. كمن هبطت عليه فكرة مفاجئة :

ـ اسمع يا أحمد . سأجد لك عملا خلال يومين او ثلاثة .

وشعرت ان هذا الوعد لم يكن صلبا ، كان اشبه بماء سفح على بلاط ساخن فتبخر بعد لحظات ، ولكنني تشبثت به فجأة .. لعل وعسى .

وقلت لسامي بكلمات منتقاة :

ـ هل تجد لي عملا .. حقا ؟ انا اعرف ان اباك رجل قادر ، اما انت فما ازال اذكر كذباتك الصغيرة ، وقت كنا في المدرسة ..

كنت ، وانا اقول هذا ، في اشد حالات ضعفي واستسلامي ، فانا امضغ كل يوم مرارة التفكير في توضيب اللقمة ، واحيانا مرارة الصبر على الجوع.. ريثما يمدني اخي المقيم في القرية بنجدة صغيرة لا تقدم ولا تؤخر

وقال سامي معاتبا :

ـ الله الله يا احمد . كنا في المدرسة صغارا ، اما الان ..

وغرقت في نعمة الامل الذي زرعه سامي في صدري. كنت قد امضيت عقب خروجي من الجندية الاجبارية خمسة شهور طوال دون ان اجد عملا، وكانت كل دقيقة تنضاف الى هذه الشهور الخمسة تحفر في اعصابي يأسا جديدا وشعورا بالانهزام في هذه المدينة الكبيرة التي يسير الاقدار فيها عفريت اعمى متعصب لسطوته وجبروته ، ويوزع بخيره وشره ، حبه وبغضاءه ، على الناس دونما عدل ، وجاء هذا الوعد :

ـ غدا ، اجد لك عملا .

وفرحت . غدا يا احمد تجد عملا ، غدا تمر في الشارع رافع الرأس، باذخ الجبهة ، تحدث الباعة الصغار سادة الشوارع ، تشتري دمية رخيصة لفاطمة الصغيرة ابنة الجيران التي تتعلق بذراعك كلما تسللت الى الغرفة هربا من امها الطيبة ، غدا تتابع بنظراتك النسوة الجميلات اللواتي يأتين باولادهن الى مخزن «باتا» لشراء احذية لهم ، جارَّات وراءهن روائح ذكية ، تضحك في وجوههن ، تفتش عن صبية تتزوجها لتعيش الى جانبك مذهولة بدأبك وانت فخور بما تصنع ، تجيل طرفك بالغرفة التي عشت فيها ، بالاشياء التي اذبت عمرك لتحصل عليها . غدا تدخر مالا كثيرا يا احمد . غدا تضحك الدنيا في وجهك ، فلماذا انت كئيب هكذا ، مطفأ التعبير ، تحمل عينين تتحركان بسرعة ، دونما هدف ؟.

ولاول مرة ، منذ جاء سامي ، ضحكت .

وعندما وصلنا الى الغرفة ، دفعت به الى داخلها ، وانا اقول مازحا :

ـ هذا هو قصر « الاوريان بالاس » يا عزيزي !

وضحك ، ومر ببصره على الغرفة مرا سريعا ، وخصني بنظرة ، خيل الي انها نظرة امتنان ، فشعرت بشيء من السعادة وبشيء من الزهو .

ـ الليلة ايضا ، وفي نفس الوقت

ستة اشهر مضت وانا اسمع طرقا على الباب ذا نغمة واحدة لا تتبدل مما افقدني الشعور باهمية ما يجري في الغرفة . لقد تبلدت حواسي، وغدوت سجين كلمة واحدة ، تخرج من بين شفتي هذا الصديق الذي دس الذل بين ثنايا وعده المكروه المؤلم :

ـ غدا ، اجد لك عملا.

وعلى الرغم من ان زياراته الكثيرة المستمرة الى غرفتي في الليل ، قد اظهرتني ، بالتدريج ، على مضمون هذا الوعد ، فعرفت انه ثمن لم يدفع بعد ، لسكوتي عن الاهانة التي تلحقني كلما اضطجع جسدان في غرفتي، فقد كنت مستعدا للسكوت مدة اخرى، ما دام الامل المزروع قائما.

وسمعت الطرق على الباب فجأة ، ولم أشك قط في صعوبة الطارق ، وقمت متخاذلا :

ـ مساء الخير يا احمد .

ـ مساء الخير .

وجمدت تحية المساء على شفتي . كان سامي يمسك بيد فتاة اخرى ، غير تلك الجميلة البيضاء الصغيرة ، فتاة شقراء نحيفة ، قلبت شفتيها اذ رأتني بذقني غير الحليقة ، وشعري غير المرجل ، ولا اعرف كيف استقبلتهما ، ولكنني واثق من ان حقدا اسود أطل من عيني ، لقد شعرت بشوق كبير الى تلك الصبية التي تبتسم باستمرار ، والتي قاسمتني ، بالتدريج ، حيرة وحزنا دون ان نتبادل كلمة عزاء واحدة . كان وجودها في غرفتي كافيا لاخماد ثورتي المكبوتة ، أما الان ، وقد زالت الاسباب ....

واحس سامي بكل شيء ، وقال لها ملطفا الجو :

ـ هذا هو احمد ، صديقي العظيم الذي حدثتك عنه .

وضحك ، ولم يشأ ان يضع عينيه في عيني ، كان يعرف حقيقة ما يجول في صدري ، اما انا ، فلقد كنت مهيأ للانفجار في اية لحظة ، ولعله ادرك ذلك .. اذ لم يدفع في وجهي كالعادة ليراته الوسخة ، لاذهب بها الى السوق ، واعود بالفاكهة والنبيذ المعتق ..

ودخلا ..

وبدا سامي مترددا لاول مرة كمن يخشى غضبة ما يتوقع ان تقذف في وجهه في لحظة قريبة قادمة ، كان يبتسم بين حين وآخر ، ابتسامة متكلفة ، ومن ثم يعابث الصبية الجديدة عبثا لا روح فيه ، وكانت الصبية تحدق في بعينين خائفتين ، حزينتين كعين مسيح مصلوب ، ولست ادري لماذا شعرت بموجة من الرثاء تغمرنا جميعا في تلك اللحظة .

كنا مشدودين ، أنا وسامي والصبيتين ، الى حاجات غامضة غائصة في أعماقنا ، تنظم علاقة كل منا بالاخر ، وكان احدنا يخشى ان يفقد هذه الحاجة فيمسي خارج الدائرة التي فرضت عليه فأصبحت قدره ، ولم أكن ، أنا نفسي واثقا من ان اعصابي تستطيع ان تتحمل تبدلا طارئا في نوعية الذل الذي روضني عليه سامي البدء وبالتدريج ، وهكذا ، بدوت تلك اللحظة مستعدا لان ادق براسي الجدار الصلب دقات عنيفة حتى يتحطم .

ساقعي كالكلب من جديد اذن ، لارى الى العملية تمثل على النحو نفسه مع فتاة اخرى ، مبتدئة ، تفكر بقسوة في ان تبذل كل ما تملك من امكانيات لترضي هذا الشاب الانيق ، الطيب في الظاهر ، الذي يستطيع أن يشتري لها ثوبا كل يوم .

وحاول سامي ، ثانية ، ان يلطف الجو . اخرج من صدره الخدر المألوف الذي اعتاد على ان يخدرني به ، وقال بلهجة ساخنة فيها وجل حقيقي :

ــ بشراك يا احمد . لقد وجدت لك العمل الذي تريد .

وسكت لحظة ليرى وقع كلماته ، ثم قال :

ــ بعد قليل سأسرد لك كل التفاصيل .

ولم اعد ارى بعيني شيئا واضحا . كانت هذه هي فرصتي الوحيدة لاتخلص من هذا الذل ، او اخمد الى الابد ، وكان علي أن اجري موازنة دقيقة بسرعة ، أن أضع في كفة ميزان ذلا جديدا مستمرا ، وفي كفة اخرى العمل المعروض علي ، وخيل الي أن عيني سامي تتابعان المعركة التي تدور في داخلي بتحفز لا حدود له ، كنت أعرف ان القرار الذي ساتخذه سيحدد الى امد قصير هذه الرقبة التي روضت على الانحناء ، لذلك وقفت وسط الغرفة مشدوها ، كأبله حاسر الرأس يعرض نفسه لشمس الظهيرة .

هل أصرخ في وجهه :

ــ اخرج ، لقد لوثت كل شيء .

ام ارضخ كشاة وقفت بين يدي الجزار ، ومن ثم اضطجع على الباب ، حالما بالغد المثقل بالخبز والادام ؟

وبسط سامي كفه ، في محاولة لمنعي من الاستمرار في التفكير ، وقال :

ــ خذ .

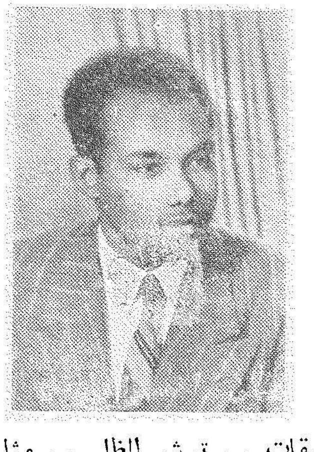
ودونما أية كلمة اعتراض ، أخذت المبلغ بيد ترتجف ، ونزلت ..

كان المساء مخيفا ، وكانت قبضة يدي ملأى بالثمن .. ثمن الفاكهة والنبيذ والاشياء الاخرى ، وفي هذه الساعة الشتائية المليئة بكل ما تحتويه ساعة مماثلة من عذوبة وحب متبادلين بين الناس ، ومن امال والام مشتركة .. كانت أحزان الرجل الصغير المختزنة في صدري تدق الباب دقا ملحاحا دونما جواب على الاطلاق ، وكنت اغيب في عتمة الشارع شيئا فشيئا .

دمشق　　　　　　عادل ابو شنب



عيون من ساحل الذهب



« مهداة الى تلك الانسة التي اعاشتني
معها لحظة حارة ، في افريقيا الاستوائية »

العيون الساحليات اللواتي
حدثتني .. لم تقل حرفا .. سوى امطار تلك النظرات
دخلت بي الف درب ، عبرت الف قناة
تركتني .. افتح الباب .. ولكن دون مفتاح مُوات
وانا .. ارنو ... وارنو .. لمغاليق الحياة
نارها تأكل مني .. من بقيات الرئات !!
ولقد ابصرت فيها نهر ذاتي
ولمست القاع ... لكن راوغتني صدفاتي !!!
ورأيت الخوف تلا من دخان .. في فلاة
بعثرته قدم الريح .. فأضحى قبره ... كل الجهات
لم يزل ربا ... أجل رب العقول الساذجات
العقول اللولبيات .. صناديق بخور .. مقفلات !
كان في الغاية تنينا .. خرافى السمات ...
وتلففتُ بصمتي .. والتفاتات حياتي
أعين كليَ ترنو .. لم تذق طعم السُبات
أعين مثل المجرات .. ترى ذرَّ الرفات
والغد الآتي .. وافراح الليالي المقمرات
وجواد الفجر لهّاثا .. يصب النور .. عبر الظلمات !
ورأيت الكلمات
قبل أن تولد .. خلف النظرات
رب معنى لم تلده .. شفة .. خلف الرئات
أحتوته نظرتي .. وهو جنين في طوايا الظلمات !
وتعلمت من الاعين .. لون الكلمات
وشربت الصوت .. لم تنبس به .. تلك العيون الناطقات
يا لتلك النظرات
حملت باللون ، والايقاع ، والشكل .. مرايا النظرات
عكست من حجرات النفس لون الرغبات
ومن النظرة ما يفتح القلب شبابيك الحياة !
نظرة .. ذات يد .. وردية .. تحمل عنا المروحات
والمظلات الانيقات .. ترش الظل .. مثل القبلات
عندما تحترق الانسام في فرن الحياة
يا لها ! اكواخنا الصيفية الخضراء في درب الحياة
رحمتنا من هجير الطرقات !
ما وراء النظرات ؟
عمق أفريقيا ... وأسرار اساطير الرواة ...
وينابيع الجبال الشاردات ...
لم تزل تحمل سيمفونية النبع الى قلب الصحاري الملحدات
رددتها شفة الغاب .. الى أذن الجذوع الظامئات
والعصافير .. مليكات الغصون المثقلات
أرجحتها نسمة .. مرت مرور الخطرات
غابة اللون .. جناحاها .. واشتات الزهور الصاحيات!
ألف ينبوع يغني .. ألف ينبوع يهاتي
ورأيت الكلمات
قبل أن تولد .. خلف النظرات
كحبال الزبد الهائج فوق الصخرات
مثل صياد وحيد .. ضاع بين الظلمات
لا شراع .. لا فوانيس .. سوى عصف الاعاصير العواتي
كلمات قلقات
وأربت أهدابها .. ترنو .. وراء النظرات
تارة تبدو .. وطورا .. تختفي في لحظات
مثلما جفت من القاع .. بقايا القطرات !!
يا لها !! اوعية الاعماق .. سمر النظرات !

القاهرة — **محيي الدين فارس**



ـ ١ ـ

تواجه العلوم الاجتماعية صعوبة في البحث ناتجة عن كون السببية متصلة ، الامر الذي يجعل عملية التحليل معقدة صعبة الاستعمال كأداة لتكوين المعرفة . فمن المعروف عن الاوضاع الاجتماعية ان العوامل المتفاعلة بها متقابلة بالتأثير ، والنتائج تختلط بالاسباب مما يجعل الوصول لمعرفة صحيحة عن الظاهرة المدروسة صعبا . ومصدر هذه الصعوبة هي ان موضوع البحث هو الانسان نفسه ، والانسان كائن معقد يصعب ضبط سلوكه بقانون معين .

وتتوضح هذه الصعوبة في السببية عندما نحاول بحث قضية التطور الاجتماعي ، التي هي موضوع هذه المقالة . السؤال المركزي هو كيف نفسر التطور الاجتماعي ؟ في التاريخ اندفاعات حضارية معروفة ، فما هو تعليل ظهورها، في حين بقيت اجزاء اخرى من العالم متخلفة ؟ في العالم اليوم تفاوت كبير في التقدم الاقتصادي ، فكيف نستطيع تفسيره ؟ لماذا حدثت النهضات في بعض الاقطار ولم تحدث في اقطار اخرى ؟ المجتمع العربي الحاضر متخلف بشكل عام ، فكيف يمكننا ان نحدث نهضة شاملة فيه ؟

نحن نعرف بشكل بدائي ان في التطور الاجتماعي عنصرين: الانسان بكل قواه والطبيعة كمادة تحيط به ، وان الانسان يعيش ضمن اوضاع اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية بينه وبينها علاقة ما، وان مادة الطبيعة مترابطة بفعل قوانين معينة تنظمها وتعين العلاقة بينها ، وان بين الطبيعة كمادة منظمة بقوانين وبين الانسان ضمن مجتمعه ومحيطه علاقة ما ، ومن مجموع هذه العلاقات تنتج اوضاع معينة تقرر المرحلة الحضارية للانسان بصورة عامة ،أي ان درجة التقدم ونوعيته تتوقف على نوعية هذه العلاقات . ولكن كل هذه المعرفة عامة لدرجة لا يمكن ان نستخلص منها حكما مفيدا عن قضية التطور ، اذ لا بد من اعتماد التخصيص وتحديد العوامل الداخلة في الموضوع والعلاقات القائمة بينها ، اي تحليل القضية لعناصرها الاولية ، وتوضيح طريقة تفاعلها من خلال التشابك والتقابل في التأثير .

هذا هو موضوع البحث : محاولة ايجاد تفسير للتطور الاجتماعي بصورة عامة والوصول عن طريق ذلك لتفسير التطور في المجتمع العربي .

ـ ٢ ـ

كخطوة اولى في التحليل يمكننا ان نفصل القوى المتفاعلة في التطور الى ثلاثة : الفرد والمجتمع والطبيعة ، هذا التقسيم كيفي اخترناه لا لشيء الا لانه يساعد على توضيح نقاط تهمنا في البحث .

الانسان كفرد يشكل بما لديه من فكر وقوى عقلية وجسمية وارادة وحاجيات ورغبات وامال تعمل كحوافز للنشاط ، وحدة فاعلة ذات علاقة بما حولها . ويمكن ان نقول عن هذا الانسان كفرد انه الانسان بحالته الطبيعية، بصفاته وخصائصه الاولى ، ليس به غير ما يعود له في الاصل . اي انه الانسان بوضعه المجرد عن كل ما هو دخيل عليه من الخارج سواء اكان ذلك المجتمع ام الطبيعة . يجب الانتباه الى ان هذا الانسان لا يطابق الانسان الحقيقي الموجود لان الانسان بوضعه الموجود متفاعل مع قوى اخرى، لذا فصفاته وقواه تختلف عن الانسان الذي لا يملك الا ما يعود له ، اي صفاته الاصيلة البدائية .

ثانيا : هناك الاوضاع الاجتماعية التي تشكل الاطار الذي يعيش بداخله الانسان كفرد . والمقصود بالاوضاع الاجتماعية مجموعة النظم والقوانين والتقاليد والعادات والمؤسسات وكل ما تفرضه العلاقات بين الناس وضرورات العيش بمجتمع . واصل هذه الاوضاع محاولة الناس تنظيم العيش وتسييره ضمن ضوابط وقوانين . وتشكل هذه الاوضاع الناتجة عن تصرف الافراد ونشاطهم قوة تنظيمية تؤثر في الفرد نفسه وتضع حدودا لنشاطه . واخيرا هناك الطبيعة بكل ما فيها من قوى ومواد اولية وتفاعلات . كذلك الطبيعة تتكون من مادة خام مرتبطة بقوانين معينة . فهي بمواردها وعوارضها وقواها تشكل قوة تؤثر في الفرد والمجتمع وتترك اثرا في نوعية التطور .

هذه القوى الثلاث : الانسان كفرد والمجتمع والطبيعة تتفاعل ويؤثر بعضها في الاخر وترتبط بدائرة مغلقة من التأثير والتقابل في التأثير . ومن ذلك ينتج التطور .

بين الانسان كفرد والقوى المحيطة به ، الاجتماعية والطبيعية ، تقابل في التأثير ، فالانسان هو الذي اقام المجتمعات في الاصل وصاغ النظم والقوانين وطور بالتدريج العادات والتقاليد واقام المؤسسات . كل هذه التنظيمات الاجتماعية لا يمكن ان ترجع لغير الانسان

بمصدرها الاول . لو اخذنا اي جزء من الاوضاع الاجتماعية وحاولنا ارجاعه الى اصله لما وجدنا غير انه من صنع الانسان ، بصرف النظرعن الدوافع والاساليب، ولا يمكن ان يكون من صنع اي شيء اخر . ولكن هذه الاوضاع الاجتماعية لا توجد الا لتنظيم نشاط الانسان ، وهي بذلك لا يمكن الا ان يكون لها اثر فيه . النظم والقوانين والمؤسسات تطبع الانسان باتجاهها وتساهم في قولبة تفكيره ونشاطه . والبحوث الاستقرائية الحديثة في علم تطور الحضارات قد ابتت هذا التقابل بالتأثير بين الفرد والاوضاع الاجتماعية التي يعيش داخلها ، وبين الانسان والطبيعة تقابل في التأثير ايضا . فاثر الانسان في الطبيعة واضح بالمجهود العلمي المتواصل لتعديلها وتسخيرها لخدمته. فجهود الانسان في النمو الاقتصادي قد غيرت شكل الطبيعة وتضاريس الارض وتوزيع النباتات والحيوانات ، وتغلبت على كثير من العقبات الطبيعية . ولكن من الناحية الاخرى نجد ان للطبيعة اثرا واضحا على الانسان يتوضح باثر الحرارة والرطوبة وتوزيع الامطار عن الزراعة مثلا واثر كمية الموارد الطبيعية على درجة النمو الاقتصادي ونوعيته واثر المناخ على نشاط الانسان وحتى تركيبه الفسيولوجي . هناك تقابل في التأثير بين هذه العوامل الثلاثة ، اي ان السببية في التطور متصلة على هذا الصعيد من التحليل والفهم . واذا ما جمعنا القوى الاجتماعية والطبيعية وسمينا المجموع الظروف اصبح بالامكان وضع المسألة على الصورة التالية : هناك الانسان وهناك الظروف ، كل منهما قوة متفاعلة مؤثرة بالاخرى ، والتطور نتيجة تقابل هاتين القوتين ونوعية العلاقة القائمة بينهما . وبفحص وتحليل هذه العلاقة نجد ان السببية المتصلة موجودة وواضحة .

ولكن ذلك لا يعني ان التطور الاجتماعي لا منطق له اي لا اسس فكرية يسير عليها ، ولا تعني بالتالي انه من المستحيل او العبث محاولة تكوين معرفة مفيدة عن طبيعته اي ارجاعه لاسباب ونتائج .

والان نحاول وضع فكرة اولية عن القوة المركزية في التطور ونحاول تطويرها كلما تقدمنا في المناقشة .

يبدو ان الانسان يحتل المركز الرئيسي في عملية التطور فهو الجهة الاولى التي تصدر منها قوة موجهة للظروف المحيطة . قوة الانسان ايجابية بمعنى انها تخلق اثرا جديدا ملموسا في الظروف لا ينحصر في الوقاية والتخفيف والتقليل . لقوة الانسان اثر مباشر حقيقي بالاضافة لمقدرته على اتقاء اثار الظروف المحيطة به او تخفيف حدتها . ففي الاقتصاد مثلا كان من نتائج هذا الاثر الايجابي تغير مفهوم الموارد من فيزياوي جامد لمرن متطور . فكمية الموارد الان لا تعتمد على الكمية الفيزياوية للمادة الاولية فقط بل على العلم المطبق المنصب عليها لا بل اصبح مفهوم الموارد اليوم اقرب للعلم المطبق منه للفيزياء وطبقات الارض.

اي ان العامل البشري لا الطبيعي هو الذي اصبح يقرر كمية الموارد الاقتصادية . والامثلة على اثر الانسان الايجابي في الطبيعة كثيرة ومتعددة كلها توضح ان الانسان هو القوة المركزية الكبرى في التطور ومنه تبدأ حلقة التأثير. ولكن هذا المبدأ يحتاج لبعض التطوير . والان ننتقل لتحليل نشاط الانسان بتقسيمه لمركباته الاساسية .

يمكننا ان نقسم نشاط الانسان الى قسمين نسميهما خاصا وعاما . فالنشاط الخاص هو ما يقوم به الانسان عادة لمواجهة الظروف الجارية من يوم لاخر. انه الفعاليات التي يقوم بها اتجاه العوامل المحيطة به المتعلقة بالجوانب الاعتيادية في حياته ككسب العيش واتقاء العوارض الطبيعية والمشاكل والازمات والعقد الاجتماعية ، وتكون بمجوعها التفاعل مع تفاصيل الحياة اليومية. ومن صفات هذا النشاط انه مشتق من الظروف المحيطة ومنسجم معها من حيث انه دائما استجابة او تكيف او رد فعل لها . ففي الاقتصاد هناك البناء الاقتصادي العام بنظمه وقوانينه ومؤسساته وتقاليده وظروفه من حيث الموارد ودرجة استغلالها ومستوى الانتاج وطريقة التوزيع والاستهلاك وغيرها مما يكون بمجموعه ما يسمى بالنظام الاقتصادي الراهن . والفرد الموجود بضمن هذا الاطار العام يقوم بنشاط معين بحدود الاطار والاوضاع ومتصل بها لانه رد فعل لها . هناك المنافسة بين الافراد للحصول على اكبر ربح ممكن ، او بين البائعين للحصول على اعلى سعر ممكن وبين المشترين للحصول على اقلها وسعي الفرد لتبديل عمله او استثماراته او مهنته لزيادة دخله او تحسين شروط عمله الاخرى، وكل محاولات زيادة الربح وتجنب الخسارة وما يتعلق بذلك من العمل لكسب العيش . كذلك العمل السياسي بضمن الوضع السياسي الراهن والنشاط الفكري بمستوى الاحوال المحيطة من حرية وحصانة وتقدير وتوفر الامكانيات المادية ووجود الرأي العام المثقف المقدر ، والاجتماعي الصرف بقدر ما تسمح به التقاليد والعادات ومفاهيم الخطأ والصواب المتداولة بين الناس . كل هذا النشاط المتعلق بالاوضاع الراهنة والعاكس لضروورياتها والهادف لتكييف الانسان لها قدر الامكان خاص ينصب على العلاقة العادية الظاهرة الممتدة من يوم ليوم بين الفرد وظروفه المحيطة به . ويمكننا ان نقول ان المحرك لهذا النشاط هو المحافظة على الحياة بمفهومها الضيق المقتصر على المحافظة على النفس والسعي لتحسين الشؤون الخاصة وتجنب كل ما من شأنه تهديدها. اي ان الانسان بنشاطه اليومي الجاري مدفوع بالرغبة للمحافظة على النفس والحياة وكل ما يتضمنه ذلك من سعي وراء العيش وزيادة الرفاه وتحسين الحال وتجنب الاذى والمخاطر وتقليل الالم وزيادة السعادة قدر الامكان وما الى ذلك مما نسميه بالامور الخاصة . وكون هذا النشاط متعلقا بالنفس لا يعني ان ممارسته تكون فردية منعزلة عن الاخرين ، فالفرد بعمله اليومي يدخل بعلاقات اجتماعية عديدة وضمن منظمات ويتشابك مع المجتمع

بسلسلة من الالتزامات والمصالح والعلاقات المتقابلة . كذلك لا يشترط ان يكون السعي للمصلحة الخاصة مباشرا حادا اذ قد يأتي ذلك خلال اعمال اخرى وبطريق متسلسل غير مباشر وغير واضح لاول وهلة . فنحن عندما نقول ان الحافز وراء هذا النشاط هو الصالح الخاص نعني انه الذي يرقد في جذور الاعمال حتى ولو لم يكن مباشرا او ظاهرا ملموسا . وبمعنى اخر نحن نريد ايجاد تفسير نهائي لهذا النشاط لا ان نعرف السببية المباشرة التي تربطه. وبحث العلاقات المتعددة القائمة بين اجزائه قد تظهر اسبابا يصعب القول عنها بانها فردية خاصة مقصودة . كثير من الاعمال والتصرفات اليومية يقوم بها الفرد بفعل العادة والصدف والاعتبارات الاجتماعية والالتزامات نحو الغير والمجاملات . وكلها اذا ما اخذت بذاتها يصعب القول بان وراءها سعيا واعيا المصلحة الخاصة . الخلاصة هي ان هذا الرأي يهدف للتعرف على الدوافع العميقة النهائية وراء مجموع التصرف اليومي بصورة عامة ولامد طويل من الزمن .

والان ننتقل لمناقشة الاساس الاخلاقي لهذا النشاط . السؤل المطروح للبحث هو علام يدل هذا النشاط من الناحية الاخلاقية ؟ هل يدل على طبع شرير اصيل في الانسان كما قال هوبز ؟

والمناقشة يمكننا ان نصنف هذا النشاط لثلاثة انواع حسب علاقته بالجانب الاخلاقي . قلنا ان النشاط الخاص هذا يهدف اخيرا للمحافظة على استمرارية حياة الفرد ولكنه في تحقيق ذلك يختلف في اثره على الاخرين ، فهو اما ان يكون مفيدا للفرد وللاخرين معا، او ان يكون مفيدا للفرد ومحايدا بالنسبة للاخرين ، اي انه لا يجلب لهم نفعا ولا يلحق بهم ضررا ، او ان يكون مفيدا للفرد ومضرا بالاخرين . النوع الاول من النشاط ممكن ويمكن ايرادا ادلة على وجوده . فالفرد الذي يستثمر ادخاراته في تأسيس مشروع صناعي مربح قد يقدم نفعا لنفسه والمجتمع بنفس الوقت . كثير من المهن والاعمال اذا ما مورست بصورة طبيعية اعتيادية وحسبما تقتضيه اصولها يمكن أن تخدم الصالح العام والخاص معا. في هذا الصنف من النشاط يتوفر الجانب الاخلاقي او على الاقل لا يوجد ما ينفيه . النوع الثاني من النشاط هو الذي يعود بالنفع على الذات ولا يؤثر على المجتمع لا سلبا ولا ايجابا . صحيح انه من الصعب تصور اعمال لا ترتبط بمصلحة المجموع اذ لا بد ان يكون لها اثر ما ولو بشكل بعيد ، ولكن لفرض المناقشة سنترك الاثار البعيدة ونفترض وجود اعمال **لا اثر اجتماعي مباشر لها** . هذه الاعمال الموجهة لخدمة الصالح الخاص اقل ما يمكن ان يقال عن اخلاقيتها هو انها ليست منافية للصالح العام ولذلك تنتفي عنها اللااخلاقية . وبجانب هذه الاخلاقية السلبية يمكننا ان نقول انها اخلاقية ايجابية ولكن بنطاق محدود جدا هو ذلك الفرد بالذات باعتباره جزءا من المجموع . اذن فهذه الاعمال اخلاقية بمعنى انها لا تناقض مصلحة المجموع من جهة وتخدم مصلحة جزء صغير منه من جهة اخرى .

الصنف الثالث من النشاط الفردي هو الذي يخدم الصالح الخاص ويضر الصالح العام . انه الحالة التي ينطلق منها الاختلاف الاساسي في الحكم على الطبيعة البشرية . والامثلة على هذا الصنف كثيرة . فقد يستطيع الفرد خدمة نفسه عن طريق خرق القانون والاعتداء على حقوق الاخرين والحاق الضرر بالمجتمع . والضرر بالمجتمع قد لا يكون مباشرا انيا بل غير مباشر وبالامد الطويل وقد لا يأتي عن وعي وتصميم بل نتيجة منساقة مع عمل معين. في الاقتصاد امثلة كثيرة منها سعي مستأجر الارض للحصول على اكبر مردود منها خلال فترة التعاقد حتى ولو ادى ذلك لارهاقها واستهلاك خصوبتها . ورغبة صائد السمك باخراج اكبر كمية ممكنة من هذا المورد الحيواني الان ولو ادى ذلك لتقليل كميته في المستقبل او افناء جنسه نهائيا ، ورغبة المزارعين في رفع اسعار محصولاتهم الى اقصى ما يمكن بصرف النظر عما يلحقه ذلك من ضرر في مستوى معيشة العمال وسكان المدن من الفقراء ، وميل صاحب رأس المال لاستثمار ماله في المشاريع التي تدر اكبر ربح مضمون حتى ولو لم تكن تلك المشاريع من النوع الذي يحتاجه النمو الاقتصادي في مرحلته الحاضرة . ولنأخذ مثلا من نوع اخر هو اهتمام البعض بمصالحهم وانصرافهم لشؤونهم

الخاصة في وقت تجتاز به البلاد محنة خطيرة تتطلب التضحية والعمل من كل فرد ، وتحتاج أن يضحي الجميع بقسط من راحتهم واموالهم وجهودهم وسعادتهم في سبيل انقاذ مستقبل اجيالهم . في مثل هذه الحالة يكون الفرد ساعيا وراء مصلحته الانية على حساب مصلحة المجموع في المستقبل . في كل هذه الحالات تناقض بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، والنشاط الخاص لخدمة النفس لا يمكن الا ان يلحق ضررا بالاخرين في الحاضر او في المستقبل .

ولتقييم هذا الصنف من النشاط التفصيلي يمكن تقديم ملاحظتين . تتعلق الاولى بقضية الدافع . والدافع ، كما قلنا في بحث النشاط الخاص ، هو المحافظة على الحياة . ويجب الا ينظر لقضية المحافظة على الحياة على انها توفير الحد الادنى من الضروريات اللازمة لبقائها بل يجب ان تؤخذ بشكل أوسع وعام يصدر عن مجموع النشاط لا جزء معين منه ، اي اننا عندما نقول ان المحافظة على الحياة هي الدافع وراء النشاط الخاص ـ بنوعه الثالث ـ نقصد استنتاجا عاما ولامد طويل من الزمن لا من خلال حادثة معينة او حالة خاصة او مثل واحد او بعض الامثال القليلة . صحيح ان في كثير من حالات النشاط الخاص يعمل الانسان لا فقط للحصول على الحد الادنى من الضروريات لبقاء حياته بل للجمع والتكديس والزيادة التي لا يحتاجها للمحافظة على حياته . وان كثيرا من اعمال الشر والظلم وما هو مضر بمصلحة الاخرين دافعها الحقد والانتقام والسيطرة اذا ما اتخذنا نظرة قياسية تقارن مقدار الحاجة ومقدار ما يقوم به الانسان لتأمين تلك الحاجة ، واذا ما حكمنا بطريق استقرائي خلال حوادث معينة بالذات ولامد قصير . صحيح ان في النشاط الخاص المناقض للمصلحة العامة كثيرا من الزيادة فوق ما هو ضروري للمحافظة على الحياة ، وان بعضه غير مرتبط بهذا الدافع مباشرة وبشكل حاد ، ولكننا في الوقت الذي نرى كل ذلك لا يمكن ان نغفل ان الانسان الذي قد يكون مبالغا ومخطئا بالتقدير ، وقد يكون دافعه المباشر القريب غير المحافظة على الحياة كالثأر والحقد وحب السيطرة وما شابه ولكنه يقوم بكل ذلك بدافع رئيسي عام هو المحافظة على حياته وتحصينها ضد الاخطار ورفع مستواها . وكون انه في هذه العملية يبالغ ويخطيء وينحرف وينفعل لا يغير من الجوهر الاساسي للدافع .

الملاحظة الثانية هي أن الانسان المدفوع للمحافظة على حياته والذي يقوم بنشاط ضار للمجتمع لا يقوم بذلك وسط فراغ بل بتفاعل مع الاطار الاجتماعي العام ـ مع النظم والاوضاع الراهنة من سياسية واجتماعية واقتصادية ، هذه الاوضاع بمجموعها تكون جهازا يحدد بصورة عامة نشاط الافراد ويقولب اعمالهم . لذلك فنوعية هذا الجهاز الاجتماعي لا بد وان تكون ذات علاقة وثيقة بنوعية النشاط الخاص للفرد . فالجهاز السليم المتماسك المؤسس على مباديء من خدمة المجموع بشكل نير متمدن يؤثر في النشاط الخاص للفرد بناحيتين . فهو من جهة لا يسمح للفرد بالقيام بنشاط يضر الصالح العام ويوجد له طرقا اخرى لتحقيق المصلحة الخاصة دونما ضرر بالمصلحة العامة . اي انه يعمل على تنظيم النشاط الخاص وقولبته بالشكل الذي يؤدي لخدمة الصالح الخاص والعام بنفس الوقت . والجهاز الاجتماعي السليم يعمل على تعويد الفرد على خدمة نفسه بطرق سليمة ، كأن يعوده على التضحية بالمصلحة الخاصة الحاضرة في سبيل خدمة المجموع والذي يؤدي في النهاية وبالامد الطويل لخدمة مصلحته ، ومن جهة اخرى يعمل الجهاز الاجتماعي السليم على تغيير عقلية الفرد نفسه وقولبة طبعه بشكل يلائم المصلحة العامة ، اي تطوير موقف وذهنية تخدم الصالح العام ولا يصدر عنها ما هو نقيض ذلك . فالتربية والتعليم والجمعيات والفكر والثقافة ومظاهر الحياة الاخرى ونشاط المؤسسات كالحكومة والدين والعائلة والتقاليد والعادات والمنظمات الكبيرة كلها يمكن ان تنمي عقلية الشعب وتطور سلوكه بشكل يخدم الصالح العام .

وبالعكس الجهاز الاجتماعي الفاسد المتأخر يعمل على تنمية الاتجاه المعكوس وتعميق النظرة المنفعية الضيقة في الفرد وتوسيع التناقض بين تحقيق مصلحته ومصلحة المجموع وتطوير عقلية تدفع في اتجاه واحد هو النفع الخاص عن اي طريق . وعلى ذلك فالنشاط الخاص يعتمد في اثره الاجتماعي على نوعية الجهاز الذي يدور بضمنه لذا فهو بهذا المعنى مفروض لا طوعي . فالفرد في محاولته المحافظة على الحياة تأخذ اعماله طابعا واتجاها منسجما مع الاوضاع الاجتماعية السائدة ونوعية سلوكه تعكس تفاعله مع المحيط والضرر الاجتماعي نتيجة منطقية لنوعية المحيط . الانسان بنشاطه الخاص من يوم لاخر والملتصق بالذات للمحافظة عليها لا ينتظر منه الا ان يتكيف لاوضاعه الاجتماعية . واذا ما استعملنا التصنيف الذي شرحناه سابقا نقول ان العامل او القوة الثانية (المجتمع) تقرر العامل او القوة الاولى (الفرد) . كذلك تبقى العلاقة بين النشاط الخاص وبين الطبيعة (العامل او القوة الثالثة) علاقة تكيف يتضمن معنى الخضوع . فالفرد بنشاطه العادي وسعية اليومي للعيش لا يستطيع ان يغير من الطبيعة شيئا مهما ولا يقدر ان يقولبها حسب رغباته بل يبقى يعمل ضمن النطاق الذي تبيحه الطبيعة بالمستوى العلمي الدارج الموجود ، اي اننا اذا فرضنا مستوى علميا وفنيا معينا ، فنشاط الانسان الخاص يتكيف بالنسبة لاحوال الطبيعة ويكون متناسبا معها . فمثلا الفلاح الذي يزرع الارض في العراق بدون تصريف المياه تتناقص غلته على مرور الزمن بسبب تراكم الاملاح . وضعف الانتاجية هذا يمثل سيطرة الطبيعة ، والنشاط الخاص لذلك الفلاح يعتبر خضوعا لها وانسجاما مع مقتضياتها وشروطها .

والان يمكننا ان نستنتج مما فات من البحث ما يلي : للانسان نشاط خاص دافعه العام المحافظة على الحياة ونوعيته من حيث انسجامه او تناقضه مع الصالح العام

(اي اخلاقيته) تتوقف عن الظروف المحيطة بذلك الانسان: الاجتماعية والطبيعية . وبصورة تخصيصية اكثر يمكننا ان نقول ان الاوضاع الاجتماعية هي التي تقرر بشكل اساسي نوعية نشاط الفرد . وعلى ذلك فسلوك الفرد بهذا المجال مفروض من الخارج لا اختياري صادر من الداخل .

— ٣ —

ولكن نشاط الانسان لا ينحصر بالخاص العادي ، فهناك العمل التوجيهي العام في التطور يقوم به الانسان بين اونة واخرى في التاريخ . وسنطلق على هذا النوع اسم النشاط التوجيهي . وسنتناول الان بحث مضمونه .

من خصائص هذا النشاط انه يتناول المحيط بشكل عام ، اي الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يجري ضمنها النشاط الخاص ، وهو يحدد لا كيفية التفاعل مع الظروف المحيطة بل نوعيتها . موضوع هذا النشاط هو النظم السياسية والاقتصادية القائمة والبناء الاجتماعي والتقاليد والعادات والمؤسسات الفكرية والدينية والمستوى العلمي والفني العام ، لا الظواهر الجزئية الناتجة عن سعي الفرد اليومي للمحافظة على الحياة . ومن صفاته انه يأخذ شكل تغيرات حادة في مجرى التاريخ بعكس النشاط الخاص الذي هو تفاعل مستمر مع الظروف متقارب الوتيرة . والنشاط التوجيهي يتمثل بانبثاقات عميقة الاثر وواسعة النطاق تقطع الجريان الهادىء للتطور الاجتماعي . صحيح ان بذور الانبثاق تكمن في ذلك الجريان الهادىء الذي يسبقه وان القوى المحركة تتراكم وتتجمع تدريجيا خلال مدة طويلة سابقة ، ولكن التغيير الواسع النطاق يأخذ شكلا حادا بارزا في خط التطور الاجتماعي يمكن تمييزه بسهولة .

ومن خصائص هذا النشاط ايضا ان الانبثاقات الكبرى هذه تفصلها فترات زمنية طويلة نسبيا ، اي انها لا تحدث من يوم لاخر او من شهر لاخر او من سنة لاخرى بل غالبا ما تحدث خلال فترات طويلة الامد . لذلك فحوادث هذا النشاط البشري في التاريخ قليلة نسبيا .

ومن اهم ما يتميز به النشاط التوجيهي هو انه صادر عن ارادة الانسان ويمثل نزعته للسيطرة على الظروف . والدافع العميق لذلك اخلاقي مصدره نزعة الخير في الانسان التي هي جزء من ارادة الحق المطلق المجرد في الكون . يعيش الانسان ضمن ظروف اجتماعية وطبيعية قررها هو ، تمثل درجة تنبه ارادة الخير فيه . وبمرور الزمن تزداد تلك الارادة افصاحا عن نفسها ويقظة عن ذاتها فتتحرك ويبدأ التناقض بين متطلباتها الجديدة والاوضاع الاجتماعية والطبيعية الراهنة ، ويظهر بالتدريج الفارق بين ما هو كائن وما يجب ان يكون والذي يعني جمود وتخلف الاوضاع الراهنة . وبتحرك ارادة الخير في الانسان يبدأ القلق والشك بالقيم والاوضاع الدارجة وبتوضح التخلف والانحطاط تدريجيا يزداد القلق والشك . عندها يبدأ الانسان يحاول الخروج من الظروف وتخطيها والتصرف بما لا ينسجم معها فتصده وتمنعه وتلحق الضرر به بل تحطمه احيانا اي انها تبغى مصرة على مقاومة التجديد والاستمرار بما هو موجود . وبهذه العملية يتولد التذمر والمقاومة والمناوشات وبالتدريج تتراكم القوى الجديدة وتتجمع وسط نصر وفشل وبناء وتهديم وامل ويأس حتى تتقوى وتتماسك وتبدأ الاوضاع الفاسدة المتخلفة بالانحلال والتفسخ التدريجي . عندها تحدث الانبثاقة ويجري التغيير العميق وتظهر القوة الجديدة فتضع اسسا جديدة للحياة وتنظم علاقة الفرد بالمجتمع وبالطبيعة من جديد . فيزداد الانسجام بين النشاط الخاص ومصلحة المجموع اي بين الصالح الخاص والصالح العام وتزداد سيطرة الانسان على قوى الطبيعة فتقل قسوتها وتحكمها فيه . وباتمام وضع الاسس الجديدة للمجتمع وتكوين الاطار العام يأخذ الانسان بنشاطه الخاص بالتكييف للوضع الجديد بسلوكه اولا وبالتالي بتفكيره وعاداته ويستمر المجتمع بوضعه الجديد حيث الانسجام بين اتجاه الفرد واتجاه المجتمع وبين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة فتتدفق الامكانيات وتتفتح طاقات الابداع والنمو وتزدهر الحضارة ويعم الانسجام والاستقرار حتى تستنفد المرحلة الجديدة ما بها من حيوية وامكانية للتقدم . وبينما الاطار الاجتماعي العام ثابت لا يتغير طيلة هذه الفترة تزداد ارادة الخير تنبها ويقظة فيبدأ التطلع الى الاحسن والاكمل مما هو موجود وما تسمح به المرحلة الحاضرة . وبذلك تغرس بذور الازمة الجديدة وينمو التناقض بين ارادة الحق المتقدمة وبين الاطار الاجتماعي الثابت الجامد فتبدأ الاوضاع باتخاذ صفة التخلف الذي يزداد بمرور الزمن بازدياد يقظة ارادة الحق وتتكلس ، وتبدأ بالدفاع عن نفسها والاصطدام مع الروح الجديدة المتفتحة عند بعض الافراد . وهكذا ينمو الصداع الاجتماعي من جديد . والجهاز الاجتماعي ، الذي اصبح متخلفا الان ، يعكس اثره على الافراد الذين يعيشون بظله فتبدأ عملية تكييف الفرد — عن طريق نشاطه الخاص — للاوضاع المتخلفة بسلوكه وتفكيره وبذلك ينفذ التخلف لاعماق المجتمع ويمد جذوره في تفكير وعادات الناس الامر الذي يجعل عملية التجديد والنهضة اصعب . وبنمو الاختلاف والانشقاق وتجميع القوى والمناوشات والمعارك تحدث انبثاقه جديدة تقوم بتغيير جذري يقوم به قسم من الناس تنبهت واتسقت بهم ارادة الحق قبل غيرهم ، وعن طريق هذا النشاط التوجيهي يستطيع الانسان تغيير اسس المجتمع والسيطرة على ظروفه من جديد وهكذا .

من ذلك يتوضح ان النشاط التوجيهي طوعي صادر عن ارادة الانسان واخلاقي تحركه ارادة الخير المستيقظة فيه . وليس به من الجبرية اكثر مما تقتضيه حتمية تحقيق ارادة الخير لنفسها في الكون خلال التاريخ . فالتقدم الحضاري

أغنيتان

١ ـ لمسة يد

« مهداة الى الصديق الفنان بدر نشأت
تقديرا لمحاولاته في الادب المصري »

★

ضع يدك على جرحي يبرد
لا تتردد !
يكفي لشفائي لمسة يد ..
يا سيد قلبي ، يا أوحد !

★

قال الاصحاب عليك بخيل !
هل يبخل من يشرب من ماء النيل ؟
قال الاصحاب عليك جحود !
هل نظروا لصفاء العينين السود ؟
يا سيد قلبي .. يا معبود !
لا تشمت فيَّ الاصحاب
فانا اقسمت لهم ستعود
وستشفى جرحى لمسة يد
واقول لهم طاب المجروح

٢ ـ سلّم عليَّ

« عندما تنتهي قصة حب .. ويغمض القلب
عيونه فان عيون الاخرين لا تنام »

سلم علي ان تلاقت العيون
فالناس ينظرون .. يهمسون
كانت وكان ثم امسى الان
وحاله يقطع القلوب !
سلم علي لا اطيق ان ارى عيونهم تجوب
وتقرأ الاسرار في ارتعاشة الشفاه
ان فجأة نطقت : آه ،
وخانني تماسكي العجيب !

★

سلم علي اننا لسنا هنا اغراب
فهكذا تقول لي :
عيوننا التي لوحها العذاب
وقلبنا الذي يدق تحت هذه الثياب
ورعشة اليدين في اضطراب

★

ولتبتسم ونحن نصنع السلام
حتى نسد في وجوههم بوابة الكلام !
فلا يقال قعدت .. ولا يقال قام !

★

سلم علي لن يضرك السلام
فربما والكف فوق الكف
تذكر الفؤاد .. فارتجف .. ،
واستيقظت اشواقنا النيام !

القاهرة

كمال عمار

العام للبشرية محتم ولكن الشكل الذي يتحقق به ذلك طوعي يصوغه الفكر . الانسان لا يختار ان يكون نزاعا للخير تواقا للحق محبا للتقدم ، وليس من معنى الحرية ان يختار ذلك لان الحرية الحقيقية لا تتوفر بشذوذ الانسان بل انسجامه مع حقيقة الكون وجوهرها . ومهما يكن من امر الحرية في هذا المجال يبقى الانسان حرا في اختيار شكل المجتمع الذي تتحقق به ارادة الحق .

في مجال النشاط التوجيهي تنعكس السببية ، فالانسان قوة مسببة والاوضاع الاجتماعية والطبيعية قوى متكيفة.

ناقشنا فيما فات النشاط الخاص والنشاط التوجيهي العام ووصفنا نوعية السببية في كل منهما . بقي علينا مناقشة العلاقة بين الاثنين لنخلص بنتيجة عن السببية في التطور الاجتماعي بصورة عامة .

قلنا ان النشاط الخاص هو ذلك الذي يتكيف به الانسان بسلوكه وتفكيره للاطار الاجتماعي العام الذي يعيش ضمنه. ولكننا وضحنا كذلك بان للانسان نشاطا توجيهيا يغير به الاطار الاجتماعي نفسه بين فترة واخرى من التاريخ،وعندها يبدأ الانسان بتكييف سلوكه وتفكيره بشكل جديد يلائم الاوضاع الجديدة . من ذلك يتوضح ان النشاط التوجيهي يحتل المركز الاساسي في التطور الاجتماعي لانه عملية تجديد عميقة وواسعة النطاق يقوم بها الانسان نفسه بين اونة واخرى . وبالرغم من انه بعد ان يقوم بذلك يصبح تحت تأثير ما صنعه لفترة من الزمن الا انه اثبت بمرور التاريخ قدرته على التحرر ثانية وتبديل نظمه وقوانينه واوضاعه كلية . صحيح ان الانسان في تطوره يتراوح بين خضوع للظروف مرة وسيطرة عليها اخرى ، الا ان هذا الازدواج ليس من النوع الذي يجعل السببية تحتمل الاتجاهين . بين النشاطين : الخاص والتوجيهي اتحاد جوهري وان اختلفا في التعبير . الحقيقة الاصيلة في الحياة هي نزعة الحق (المتمثلة بحب المحافظة على الحياة وشروط استمرارها وتحسينها ما امكن) ولكن الانسان قد يسلك لتحقيق ذلك طرقا مختلفة ، تارة عن طريق تغيير اسس المجتمع الراهنة وتارة بالتكيّف لها . ولكن لاختياره مغزى يوضح الاتحاد في الجوهر . انه يريد المحافظة على الحياة وتحسينها ولكنه في الامد القصير

ـ التتمة على الصفحة ٨٦ ـ

قصيدتان ...

في بداية الصيف

لم يبق من الايام سوى حفنه
عدد الاعياد وأوتار العود ،
وتذوب مرائرنا كالشمعة في الكوخ المنكود
والسد امام السيل العربيد .
ويهب العمدة .. هاجر قريتنا للايام السود
لبنان سيؤويه
لبنان سيسقيه
ومراقص بيروت ستسليه
وستنسيه
حتى نخلات القرية ذات الاشواك
واللؤلؤ واللحن الباكي ،
والريف الخالي من شباك
او مروحة الفولاذ او الحاكي .
وسيبقى منزله تسعين صباح
قفرا ، يمضي فيه الفلاح
يستغفر نحو حقول التفاح
ويغني اغنية حمراء ذات جراح
وسيبقى منزله تسعين ضحى
قفرا ، فتطل منى
وعصام من بوابته ومؤيد الاعمى
سيحاول كالمعتاد لعل يرى
ويدقون البوابه ثم يفرون
يخشون الساحر والمجنون
وسيبقى منزله تسعين مساء
قفرا ، يؤوي رعيان الشاء ،
ويعود العامل في اعياء
من مصنعه والخبز بكفيه
والجبنة ، والاضواء بعينيه
كاعاصير هوجاء في تيه
ستظل القرية تصرخ حر
الصخر ينادي حر
الكلب يولول حر
الطفل سيبكى حر
وستجتمع الاصوات لدى الباب
كالانياب
وتحاول تقضم حتى الاخشاب
والعمدة يشرب بنت الاعناب
ويغني على الباب الباب
الليل نهود يانعة وشراب
ومصير الناس تراب

★

انشودة عبد العزيز

لن اغمض الجفن ... أريد ان اراك
اريد ان أحيا مع الورود والاراك
اريد ان لا التجي الى سواك
اريد ان أرى صفات فيك من سواك
فقلمي اظفارك البيض او اصبغيها
ونفضي الورد على الشفاه واشتليها
ولمعي الضفائر الشقر وسرحيها
وسائليني أي اثوابك اشتهيها
وهللي ، وصفقي ، وانشدي
وحالي سوار ساعتي ، وقطعي بشعري الندي
ومزقي قصائدي ، وانقدي
تغنجي .. تمنعي .. تمردي
مللت من سيادتي ، فلا تقولي : سيدي
اريد من يهيج لي عواطفي
... التي تجمدت ومن يزيل لي مخاوفي .
اينتهي الاغراء في تبادل الخواتم ؟
اخاف ان يبدأ موسم الشتائم
وموسم المحاكم
وموسم المظالم
تميعي ، وحاربي وسالمي
اريد ان احيا بافق حالم
« أريد ان تصبي نهدك الاسمر في دنيا فمي »
لن اغمض الجفن .. اريد ان اراك
كما ارى سواك
طائشة ، غريرة ، جميلة ، يسحرني هواك
اريد ان انظر للنجوم في سماك
اريد ان تهربي ـ يا أنت ـ من شباكي
أريد ان اتبع في حرارة خطاك
اريد ان التجي الى سواك
وان احب طفلي الصغير
محبة العدل ودورق العبير
اريد ان افرغ من مسائل الهوى الى الكثير
الى الكثير من مشاكل الحياه
مشاكل الحفاة والعراه
اريد ان احارب الجناه
واصنع الوجود من جديد
اريد ...
اريد ..

عبد الجبار داود البصري
العراق البصره

الرقصة الثنائية

قصة بقلم غي دي موباسان
ترجمة ابتهاج احمد الاوقاتي

ترجمت هذه القصة من اجل هؤلاء الذين اصبحوا غير قادرين على اداء مهمتهم ، مهما كانوا واينما وجدوا ، ومع ذلك يحاولون ويحاولون .. ترجمت لهم على ضوء حبي وحناني .

«المترجمة»

قال جان بريديل وهو كهل اعزب عرف بشكه في كل شيء : ان المصائب الكبيرة لا تحزنني قط ، لقد شاهدت الحرب عن كثب ، وتخطيت الجثث غير راث لها . بامكان قسوة الطبيعة او الانسان ان تنتزع منا صيحات ارتياع او استنكار ، لكنها لا تسبب لنا تلك الوخزة في القلب ، تلك القشعريرة التي تسري في ظهرنا عندما نشاهد بعض اشياء صغيرة مؤلمة . طبعا ان افجع الم يمكن ان يشعر به الانسان هو فقدان الطفل بالنسبة للام وفقدان الام بالنسبة للرجل ، وهذا الشعور عاصف ، فظيع ، يهدم ويمزق، على ان الانسان يشفى من هذه الكوارث كما يشفى من جراحات واسعة دامية .

لكن ثمة بعض المقابلات ، بعض الامور الملحوظة ، بعض الاحزان المكتومة وبعض خيانات القدر تحرك فينا عالما بكامله من الافكار وتترك في نفسنا مسحة من الحزن ، وطعما بالمرارة ، واحساسا بانقباض لا نتخلص منه الا بعد مدة طويلة ، وتفتح فجأة امامنا بابا سريا لالام نفسية معقدة لا تبرأ ، الام تكاد تبدو تافهة لشدة عمقها ، وغير ملموسة لقوة حرقتها ، وغير طبيعية لشدة يأسها .

تتراءى لي دائما نصب عيني حادثتان او ثلاث من المؤكد ان احدا لم يلحظها ، لكنها تسللت الى نفسي كما تتسلل وخزات طويلة ، دقيقة لا تندمل .

لعلكم لا تفهمون التأثر الذي بقي لدي من هذه الانطباعات السريعة . لن احدثكم الا عن واحدة منها . انها قديمة جدا ، لكنها حية كما لو كانت بنت البارحة ، ومن المحتمل ان خيالي هو الذي اثار وحده اشفاقي .

لي من العمر خمسون عاما . كنت وقتئذ شابا ادرس الحقوق ، حالما يشوبني بعض الحزن ومغمورا بفلسفة كئيبة . لم اكن احب المقاهي الضاجة ، ولا الرفقاء الصاخبين ، ولا البنات الغبيات .. كنت انهض باكرا ، ومن اعز لذاتي ان اتنزه وحيدا حوالي الساعة الثامنة صباحا في حديقة « اللوكسمبورغ » . هذه الحديقة ، الا تعرفونها ، انتم ؟ كانت وكأنها نسيت من القرن الماضي ، جميلة كابتسامة عجوز عذبة . كان السياج الكث يفصل بين الممرات الضيقة ، المستقيمة ، ممرات هادئة بين جدارين من الشجيرات المقصوصة قصا منظما ، اذ ان مقص البستاني كان يعمل دون انقطاع الحواجز المؤلفة من الاغصان . وهنا وهناك يجد المرء فسحات من الارض موردة وصفوفا من الاشجار رتبت وكأنها طلاب خرجوا في نزهة ، ومجموعة من شجيرات الورد الفاخر ، او فرقا من الاشجار المثمرة . كان ركن بكامله من هذه الغابة الصغيرة مأهولا بالنحل ، والخليات الموزعة بحكمة تفتح للشمس ابوابها التي كانت بسعة فتحة الكشتبان ، وعلى طول الطريق يلقى المرء الذباب المطنطن المذهب الذي كان هو السيد الحقيقي لهذه البقعة الهادئة والمتنزه الحقيقي في هذه الممرات .

كنت اذهب هناك في كل صباح فاجلس على مقعد واقرأ ، كنت ادع الكتاب احيانا يسقط على ركبتي لاحلم ، لاستمع الى باريس وهي تحيا واستمتع بالراحة اللانهائية التي تغمر هذه الحديقة العتيقة .

ولكن سرعان ما لاحظت انني لم اكن الوحيد الذي يؤم هذه البقعة عند افتتاحها ، اذ كنت في بعض الاحيان، التقي وجها لوجه بعجوز غريب ، قصير القامة ، يحتذي جزاءا ذا قطع فضية ويلبس سروالا وسترة « رادنكوت » ودانتيلة مشدودة الى رقبته بدلا من رباط العنق ويضع على رأسه قبعة خيالية عريضة ترجع بفكر الناظر اليها الى عهد الطوفان .

كان هزيلا ، جد هزيل ، معروقا ، يغمز ويبتسم ، وعيناه الملوءتان حياة تخفق متأثرة بحركة اجفانه المتواصلة . كان دائما يحمل بيده عصا ذات مقبض ذهبي من المحقق انها كانت بالنسبة له رمز ذكرى جميلة .

لقد اثار دهشتي في باديء الامر ، هذا الرجل الصغير ، ثم اخذت اهتم به اهتماما بالغا ، فصرت اراقبه من خلال اوراق الشجر واتبعه عن بعد ، متوقفا في منعطفات الغابة كي لا يراني .

في صباح يوم اخذ يقوم بحركات غريبة ظنا منه انه وحده . قفز اولا قفزات صغيرة ، ثم انحنى ، ثم قفز في الهواء وضرب ساقه الدقيقة بالاخرى بحركة ما زالت خفيفة ، ثم اخذ يدور على نفسه بطريقة محببة، قافزا ، مهتزا بشكل مضحك، مبتسما كما لو كان جمهور امامه ، مادا يديه بحركة دائرية ، لاويا جسمه الضئيل كجسم الاراجواز ، موجها في الفراغ تحيات خفيفة ، مضحكة ومبكية .

بقيت مصعوقا من الدهشة ، متسائلا من كان منا المجنون ، هو ام انا ؟ لكنه توقف فجأة وتقدم كما يفصل الممثلون على المسرح ، ثم انحني وهو يتراجع مبتسما ومرسلا بيد مرتعشة قبلات تشبه قبلات ممثلة الى صفين من الاشجار . وتابع نزهته بوقار ..

من ذلك اليوم لم ادعه يغيب عن ناظري . في كل صباح كان يعيد تمرينه الخيالي ، واجتاحتني رغبة جنونية الى محادثته ، فجازفت وحييته ثم قلت :

ـ الطقس جميل اليوم يا سيدي !

فانحنى وقال :

ـ نعم يا سيدي ، انه يوم من الايام الخوالي !

بعد ثمانية ايام كنا اصدقاء وعرفت قصته : كان مدير الرقص في الاوبرا ، ايام الملك لويس الخامس عشر ، وعصاه الجميلة كانت هدية من الكونت « كلارمون » . لم يكن يتوقف عن الثرثرة اذا ما حدثته عن الرقص .

في احد الايام اسر لي قائلا « لقد تزوجت « الكاستريس » يا سيدي، ساقدمك اليها اذا رغبت في ذلك ، لكنها لا تأتي هنا الا بعد الظهر . هذه

عملاق

(الى علم الجمهورية العربية المتحدة الجديد)

.. فلتخفق ..
حرا .. وكريما .. فلتخفق
من اقصى المغرب للمشرق
.. فلتخفق ،
يا نبت الحرية
انمته سواعد عربيه
يا علمي الامجد
.. يا اوحد
فلتخفق
...
.. فلتصمد ..
حرا .. وعزيزا .. ومبارك
يا رمزا نسجته معارك
وضحايا ... اعواد ، وسنابك
نقشوا الحريه

نقشوا احرفها الناريه
في الارض .. هنا ،
.. وهنالك ...
في وطني .. مصر .. وسوريه
.. فأضاء الدرب .. الصاعد
للشعب العربي الصامد
... في وجه الريح الغربيه
.. وتسامق صرح القومية
يا علمي الامجد
يا اوحد ..
...
عملاقا .. عملاقا سترفرف
عربيا .. قومي الموقف
.. يا خفق الثوريه
في قلب بلادي العربيه
رغم الرجعيه

رغم الاسوار المرتفعه
رغم الاوضاع المصطنعه
.. وشعار ملايين تزحف
كالمارد تزحف .. منطلقه
لذرى الحريه ..
.. للقمه ،
لتفر تهاويل الظلمه
وتموت الاصنام المتقعه
ويخر نظام المرتزقه
.. يا علمي الامجد
.. يا اوحد ..
فلتخفق .

محمد مهران السيد
القاهرة

الحديقة هي سرورنا وحياتنا وكل ما بقي لدينا من الماضي . يخيل الينا اننا لا نستطيع العيش بدونها ، انها قديمة ونبيلة ، اليس كذلك ؟ يلوح لي انني انتشق فيها هواء لم يتغير قط منذ حداثتي . اننا نمضي فيها ، انا وامراتي ، كل عصرياتنا . اما انا فأفدها صباحا لانني انهض مبكرا

ما ان انهيت غدائي حتى عدت الى « اللوكسمبورغ » فشاهدت صديقي متأبطا بشكل تقليدي ذراع امرأة عجوز ضئيلة جدا متشحة بالسواد . قدمني اليها : كانت الكاستريس الراقصة الكبيرة التي احبها الامراء ، واحبها الملك ، واحبها كل ذلك العصر المغرم الذي مضى وكأنه ترك وراءه عبير الحب .

جلسنا على مقعد . كنا وقتئذ في شهر مايس ، وكانت رائحة الاوراد تتطاير في الممرات النظيفة ، والشمس تتسلل خلال اوراق الشجر ، تنشر علينا قطرات كبيرة من الضياء ، ولاح ثوب « الكاستريس » الاسود وكأنه مندى بالنور .

كانت الحديقة خالية وصوت تدحرج العربات يأتي الينا من بعيد .

قلت للراقص القديم :

ـ اشرح لي اذا ما هي الرقصة الثنائية ؟

فارتعش وقال:

ـ الرقصة الثنائية يا سيدي هي ملكة الرقصات ورقصة الملكات ، اتسمعني ؟ ومنذ اليوم الذي لم يبق فيه ملوك ، لم تبق فيه رقصة ثنائية .

وبأسلوب فخم بدأ مديحه الفني الذي لم افهمه قط . لذلك رغبت في ان يصف لي الخطوات وكل الحركات وكل الاوضاع . تلعثم واهتاج لعدم مقدرته على ذلك وبان عليه الاسى ، والتفت فجأة نحو رفيقته القديمة الدائمة الصمت والجلال وقال :

ـ ليز ، اتريدين ، قولي ، اتريدين ان ترى السيد ما هي تلك الرقصة ؟ اتريدين ؟ سيكون ذلك لطفا كبيرا منك !

فادارت عينيها القلقتين في كل النواحي ، ثم نهضت بدون ان تنبس ببنت شفه ، ووقفت امامه وجها لوجه . عند ذلك شاهدت ما لست انساه: كانا يروحان ويجيئان بحركات طفولية مفتعلة ، يبتسمان ويتمايلان وينحنيان ويقفزان وكأنهما دميتان قديمتان تحركهما الة عتيقة معطوبة ، صنعها في القديم صانع ماهر جدا ، حسب الطرق المتبعة وقتئذ .

كنت انظر اليهما وقلبي يجيش بالاحاسيس العجيبة ، وعلى روحي تطفي كآبة لا توصف . خيل الي انني امام رؤيا يرثى لها ويضحك منها، امام ظل جيل فات وقته . فشعرت برغبة في الضحك وبحاجة الى البكاء

توقفا فجأة . لقد انهيا كل ضروب الرقصة وبقيا واقفين ، الواحد تجاه الاخر لمدة ثوان معدودات ، بوجهيهما المنفعلين ، ثم احتضن الواحد الاخر واجشها بالبكاء .

ذهبت بعد ثلاثة ايام الى الريف ولم اشاهدهما مرة ثانية ، وعندما رجعت الى باريس بعد سنتين ، الفيت الحديقة قد هدمت . ماذا جرى لهما بدون حديقة الماضي العزيزة ، بممراتها المتعددة ، وعبيرها المنبثق الماضي ، ومنعطفاتها الجميلة ؟ هل ماتا ؟ ايهيمان في الطرقات الحديثة كمنفيين بدون امل ؟ هل يرقصان كشبحين باهتين رقصة ثنائية خيالية ، في ضوء القمر ، بين اشجار مقبرة ، على ممرات محفوفة بالقبور ؟..

ان ذكراهما تراودني ، تسيطر على ذهني وتعذبني . انها ما زالت باقية في كجرح . لماذا ؟ لست ادري ..

اتجدون ذلك مضحكا ،ولاريب ؟..

ترجمة ابتهاج احمد الاوفاتي
بغداد

من طلائع الفن الانساني

بقلم شاكر حسن سعيد

منذ اوائل القرن العشرين ، والفن التشكيلي يمر بأزمة لم تحل بعد . وفي باريس — وهي العاصمة الروحية للفن العالمي في هذا الوقت — تظهر بوادر محاولات حلول جديدة دونما هوادة . ولكن حضور الازمة هو من حضور التطور الفني نفسه ، وكلما ظهرت اتجاهات ومحاولات (وهي بلا شك محاولات لا مفر منها) ظهرت ازاءها انحرافات وردود فعل .

وان هذه الازمة في الواقع ليست دخيلة على الفن الراهن فاذا كان العمل الفني نفسه كيانا متطورا فما أحفله بها اذن! واذا كان الاسلوب الفني عند الفنان نفسه مقياسا لحيوية العمل فما اشد انطواءه على الازمة ذاتها !

ومع ذلك ، فبمجهود خارق للعادة — يبطل المستحيل — تدور العجلة : عجلة التطور الفني . وانها لاشبه شيء بتيار جارف من السيل . يسير في الوادي وقد يتلاشى خلال الروافد (الوديان المعلقة) . ويظل يسير ويسير دون ان يجد له مصبا واحدا ينتهي اليه .

وقد يوصف الفن الحديث ، عبثا ، بانه فن هو وليد العصر الحديث :

اذ تحدد له فترة زمنية تبدأ على الاغلب بمطلع الفن الانطباعي ، الى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر ولكن ، مهما تكن من نسبة او تحديدات ، فان مثل هذا الفن لا يمكن ان يمتلك تسميته لمجرد كونه يبدأ فترة فنية معينة — ولو كانت فترة فاصلة في سياق تاريخ الفن العالمي . فليس ثمة فترة في الواقع ، لان السلسلة محكمة منذ العصر البدائي طالما ان هناك تطورا (تكنيكيا ومضمونيا معا) ومع ذلك فانه منذ الفن الانطباعي وحضور الازمة لدى النقاد يكاد ان يكون حضورا طبيعيا ، وهو يفسر على الاغلب بالحاجة الى قيم جديدة ، تستبدل بها قيم قديمة بالية — اول قيم تصبح تقليدية .

والواقع ، ان الازمة هي اكثر من كونها استبدال قيم باخرى . انها ظاهرة طبيعية يقترن بها اي عمل حي . انها المؤثر الديناميتي وذروة التوتر التطوري . فهي قمة الجبل وليس خط التفرغ في ودیانه . ومن هنا ، فان معناها الحقيقي يكمن في قدرتها على ان تكون حاضرة باستمرار .

ان حقنة من جراثيم نصف حيه لمرض السل مثلا كفيلة بان تظهر بقعة حمراء على الساعد ، وان مدى صمود ومناعة الجسم السليم يقترن بطول مدة ظهور البقعة . وهكذا . فطالما كانت هناك ابدا دملة طويلة الامد ، فانما هناك محاولات جديدة ومتشعبة ، سريعة وعميقة ، وهو ما يتميز به النتاج الفني الراهن .

ودملة الفن التشكيلي هي التي تصف ازمته بكونها لم تحل بعد . .

وغاية الفن التشكيلي بابسط مظاهرها هي خلق التشكيل وبالتالي التمثيل ، فمهما يغمز الفنان الشكل من شتى زواياه ، فسيظل غير واضح للعيان . ذلك ان وضوح الشكل، او بالاحرى التشكيل ، هو في اساسه انهياره . ومنذ ان انتبه الانسان الى هذه الحقيقة ، منذ ان اكتشف ذلك ، بدأ يخترع وسائل تنويع التشكيل اختراعا . ان شجرة ترسم في العصور البدائية ليست هي الشجرة التي تنمو مهما رسمت . وحينما كانت سترسم نفس الشجرة في عصور الحضارات القديمة — بابل ، اشور ، الحضارة الفرعونية الخ . . . فانها ستظل مع ذلك شجرة لا تشكيلية ستظل المحاولة الاولى والاخيرة لرسم الشجرة . وحينما سترسم بعد ذلك هي نفسها خلال العصور المتأخرة ، فانها مهما تتعدد ملامحها ومهما تتنوع ستظل نفس المحاولة الاولى .

ورغم هذا ، فان هذه الشجرة المرسومة سوف تنمو بصفاتها وملامحها : ذلك انه لولا هذا النمو الازلي فانها ستكون جذعا يابسا فحسب — كأي شجرة موجودة في الطبيعية ، مهما اورقت وازهرت واثمرت ، ومهما انبتت بذورا صغيرة جميلة كحبات اللؤلؤ . وهكذا فان الغاية في خلق التشكيل في سياق تاريخ الفن هو تحقيق اللاتشكيل . او بمعنى اخر ، هو استمرار الازمة .

غير انه يجدر بنا ان نتساءل الان ما اذا كانت هذه الازمة السرمدية عرضة للاختفاء ، وبالتالي التلاشي خلال المنجزات الفذة ذاتها ، وباي دوافع ستكون على افدح قيمتها . . ؟

وفي بحر خمسين عاما تبدو اثار الورم وفترات اختفائه .

كادت البقعة الحمراء ان تخبو في مطلع القرن العشرين بوفاة (سيزان) وما بين ١٩٠٧ — ١٩٢٥ ظهر الورم التكعيبي بشكل جارف . وظهرت ثمار وردية اللون لازهار لم تخلق ابدا : فالتكعيبية ظلت تغلب المشكلة بروح العلم دون ان تصل الى حل ناجع نهائي . ثم تجدد الورم خلال السوريالية وكان كما يبدو ورما طبيعيا : انه المحاولة المستميتة للقضاء على التقاليد الفنية العقلية « الدادائية وهي المتاخمة للسوريالية» ثم توحيد عالم اللاشعور واللاوعي بعالم الشعور والوعي

وفي غضون ذلك تجددت المشكلة — كما تتكون سحائب الربيع الراعدة — من طرفها البعيد : ذلك انه على النقيض من

الفن التكعيبي سيظهر الفن المجرد، أيمكن اذن ان يوصف بانه عملية جراحية داخلية لتجسيد ما هو لا عقلي ؟

ومع ذلك فانه يبدو أن سياق هذا الاتجاه كان ينمو في نفس قانون البقعة الوردية . فقد ظلت أزمة الفن المجرد ثم اوشكت على الاختفاء ، في الوقت الذي تبدأ به طلائع ازمة الفن الانساني

وهنا يجدر بنا ان نربط بين هذه الظاهرات الفنية الثلاث . ثلاث بقع على جسد حي : انها مراحل تطوره : الفن التكعيبي والسوريالية والفن المجرد . ولكن السلسلة تنمو باستمرار تستطيل ، والطفح الوردي ينتشر من جديد . وان الطلائع تبدو متبرعمة من اصولها البعيدة ، انها طلائع الفن الانساني الراهن . فالدملة تنمو من جديد .

لم تحل التسمية بعد في الصالونات . ولكن فنا انسانيا هو الذي يحدو رساماً ك تامايو وهو مكسيكي الجنسية ازاء رسام اخر هندي ـ رزا ـ لكي يقول كل منهما : ـ انما نحاول فنا انسانيا ـ (١)

ومنذ دوميه والاتجاه الانساني ينمو : فما بين عدة ملامح (مضمونيه وشكليه في آن واحد) لركاب عربة الدرجة الثالثة ومرأى العوام ودون كيشوت وبرجوازيين الخ ..(٢) كان يلوح مطلع هذه النزعة الراهنة ، كانت تلوح بوادر مضمون ما : فالناس هم لب الموضوع ، ولكن اناس دوميه هم مواضيع فحسب . اما اناسه ـ الاراء ـ فقد كمنوا خلال بضعة الوان ولم يتحرروا وقتئذ من نطاق الاسلوب الانطباعي . ومع ذلك فقد بقي ـ اناس ـ دوميه احياء خلال لوحاته المتعددة في المتاحف ، لانهم ينطوون على الحقيقة : انها اللطخات والالوان المتلاشية ، وحينما ستخبو الالوان أمام الاسلوب المطبعي فانها سوف تستحيل الى قيمة .

ومع ذلك فان تطرف خطوط (دون كيشوت) هي من نفس الوان ركاب (عربة الدرجة الثالثة) وهي من المواضيع الرائعة التي انجزها . انها رثاء وسخرية : فتحة ندبات على القلب لم تندمل بعد .

ومنذ غياب ـ دوميه ـ الانسان وليس الاسلوب ، كان حضور كل التراث العلمي للطبقة الوسطى . وكان ثمة بحث مشبع بالروح العلمية ، فالكلاسيكية فالعالمية يطغى على جميع المدارس الحديثة فالمعاصرة . اما بالنسبة لمدرسة باريس ، فقد ظلت بضع محاولات تعبيرية ـ روول ، برنارد بوفيه ـ تخدش النزعة الانسانية ومن دون ان تتغلغل فيها ـ ان هروب روول المسيحي هو من هروب بوفيه البورجوازي ـ وحينما ستمتنع (باريس) كعالم وليس كموضوع أمام جميع الرسامين الغرباء في مطلع القرن العشرين فذلك لكي تستقبلهم وتنفتح لهم في منتصفه

وكان المثال الوحيد الشاذ لقبول الفنان الاجنبي هو ـ تمايو ـ ولكن تمايو هو مثال حضارة ـ مكسيكية ـ اوربية ـ : انه طفل سليمان الحكيم المتنازع عليه . ثم سيكون حضور بينيو الفرنسي وكيتو الياباني و (رزا) الهندي مطلع فجر انسانية حقه . سيكونون الامثلة المقبولة لانسانية عالمية . الينبوع للشعور بالانسان (الحي) وليس (الجثة) ، بالانسان (الانسان) وليس (الذات) .

ومن الامثلة الثرة على هذه النزعة التي تمتاز بالتأكيد على الوعي العفوي ـ الشامل بالانسان سواء في الموضوع والشكل الفنان المكسيكي (تمايو) (٣)

أن عالما راهنا سيلوح لنا في منجزاته . وان عالما ناميا هو الذي لا يفتأ يصنعه . والواقع أن أهميته ليست في أن يرسم لنا خلال لوحاته أشخاصا او اشياء فحسب ، ولكن في ان تتواشج هذه الاشخاص والاشياء ببعضها البعض بحيث تظل ازاءنا قريبة وبعيدة في نفس الوقت . انها في متناول ايدينا (بواسطة الملامح ورموزها) ولكنها مفقودة خلالنا (بواسطة غياب مكانها وزمانها) وانها لتلوح الطبيعة

---

(١) تسنى لي ان اتعرف بكلا الرسامين وذلك خلال زيارتي لمعرضيهما القامين في فترة معاصرة للشهر الماضي ، مما اتاح لي فرصة مناقشتهما حول ارائهما في فن الرسم .

(٢) لا يزال معرض دوميه مستمرا في المكتبة الوطنية بباريس ويشتمل على بعض اللوحات الفنية الزيتية والمطبوعات (كرافور)

(٣) ـ رافينو تمايوه ومجمل حياته كما يلي :
١٨٩٩ ـ ولد في كاكساوا ، بالمكسيك
١٩١٦ ـ ابتدأ بدراسة الرسم في اكاديمية الفنون الجميلة بمدينة (سان ـ كارلوا)
١٩١٨ ـ ترك الاكاديمية وانهمك بدراسة التأثيرات الفرنسية ، الانطباعية فالتكعيبية .
١٩٢١ ـ بدأ بتدريس الرسم في بعض المدارس بالمكسيك . انجز اول معرض شخصي له . ظهور التأثيرات السابقة للفن الكولومبي . ظهور التأثيرات الحديثة (مدرسة باريس) .
١٩٢٦ ـ سفرة الى الولايات المتحدة
١٩٢٩ ـ عين استاذا في معهد الفنون الجميلة في مكسيكو
١٩٣٣ ـ انجز رسوم الفريسك في المعهد الوطني في المكسيك .
١٩٣٩ ـ عين استاذا في مدرسة دلتون في نيويورك .
١٩٤٣ ـ ١٩٤٨ ـ تنقل ما بين التدريس والسفر ما بين المكسيك والولايات المتحدة الامريكية .
١٩٤٩ ـ سفره الى اوروبا
١٩٥٠ ـ اشتراكه في معرض فينيس
١٩٥٠ ـ اشتراكه في معارض ـ صالون الفنون الجميلة ـ بباريس . و ـ باليه دي بوزار ـ في بروكسل . تقريظه من قبل النقاد الفرنسيين (جان كاسو) و (اندريه بريتون) و (ريموند كونيا)
١٩٥١ ـ انجز (فريسك) معرض الفن المكسيكي في اوربا
١٩٥٢ ـ استمر في انجاز (الفريسك) في بلاده والمساهمة بمعارض في اوربا وامريكا .
١٩٥٥ ـ نال جائزة الرسم بالاشتراك مع مانيسيه في معرض ساوباولو
١٩٥٥ ـ نال الجائزة الثانية لمعرض بتسبرغ الاممي
١٩٥٨ ـ انجاز معرض شخصي في (صالون دي فرانس) بباريس ان اعماله موزعة في عدة متاحف هامة . امريكية ومكسيكية . ومتحف الفن الحديث بباريس . ومتاحف روما وبروكسل وريودي جانيرو

فيها على اجلى نواحيها المفطورة ، فالشجرة خلاله ليست شجرة ولا الانسان انسانا . ولا الحجارة ولكنها جميعهـا معا . ومن هنا مغزى ان يكون تمايو فنانا انسانيا او على الاقل المبشر بهذا الفن في عصرنا الحالي . واذا جاز لنا ان نعين بعض قيمه الهامة الاخرى فليكن في نزعته الديناميه . والواقع ان شعورا بالحركة هو الذي يملأ جوه البلاستيكي . فلا يفتأ اللون لديه بالظهور حتى يتلاشى ويفنى خلال الشكل ولا يكاد الشكل يتكون امامنا (ولو خلال حضور زخرفي) حتى يتناثر ويضيع خلال الجو العام . ان انسانا ما في اللوحة المرسومة ليس هو الانسان : فاذا رسم لنا جالسـا او مضطجعا او واقفا فانما لكي يكون امامنا في الوهلة الاولى فحسب ، اما بعد ذلك فانه سوف يتطور حينما نستقصيه فالجالس سيقف والواقف سيجلس والمضطجع سيقف . انه في سلسلة من المخلفات التشيكيلية (وهي في اساسها من سياق الفن التكعيبي من هذه الزاوية) تنمو الحـركة باستمرار : حركة عامة شكلية ومضمونيه .

ولكن انسان تمايو الدينامي يظل هو نفسه الانسان المعبر، وانه ليستمد تعبيره لا من ينبوعه الداخلي فحسب كما يمكن ان يفعل ذلك اي (فان خوخ) بل من وعيه العام . ذلك ان الملامح البشرية ستمتزج خلاله بالملامح الحيوانية والالية معا وسترسم لنا عيون اشخاصه جاحظة متأملة ، ولكنها ستاوي في نفس الوقت وكانها اضواء كهربائية او عيون آسـاد جائعة . وفي لوحة ما سنجد ان اقماره التي يصنعهـا تتجاوز افلاكها الكونية كيما تقترب من الانسان . بل يلوح لنا انه يكاد يرسم لنا (اقمارا انسانية) فهذا (الثدي) ان هو الا انجمة ضائعة . وتلك (الساق) ان هي الا شعورا بالعالم النباتي . وهكذا فان وعيه التعبيري لن يظل وعيا انسانيا مجردا بل وعي انساني كوني ، انه التعبير الابعد مما هـو بشري .

وازاء (تمايو) المكسيكي يقف (رزا) الهندي(٤) . وانـه لبحث انساني آخر هو الذي يستحوذ على كل منجزاته الطبيعية .

ولكن وسائل (رزا) الانسانية لا تزال في ميدانها المجرد اكثر من مجالها المشكل ، فهو على الرغم من اتخاذه الطبيعة نقطة انطلاق ـ على حد قوله ـ فان الطبيعة ستظل مـع ذلك غائبه في اعماله : ان هذه المنازل المتنا... والاشجار المبعثرة . وحتى هذه الارض الممتدة والسماء الداهمة او البعيدة هي في الواقع ليست اكثر من (طقوس) سحرية وايحاءات دينية لخلق التعويذة او الشعور الديني، ومن هنا فان جذوره الاساسية والبعيدة تظل من فلسفة بلاده ، وان ... المعنوي (وليس (المادة) سيظل عالما غايبا : يبدأ في منازل فرنسية مبعثرة ومن ليل ازرق كيما يهوم بنـا خلال منازل وليالي لا مكان لها . ولكنها منازل وليالي الممرات الجبلية والكهوف المنقطعة والغابات الكثيفة . وسيكون غياب الوانه وقيمه من غياب عوالمه بأجمعها : فليس اللون لديـه



تامايو : وجه ازاء الشمس ـ من مقياس ٨٠ × ١٠٠ ١٩٥٧

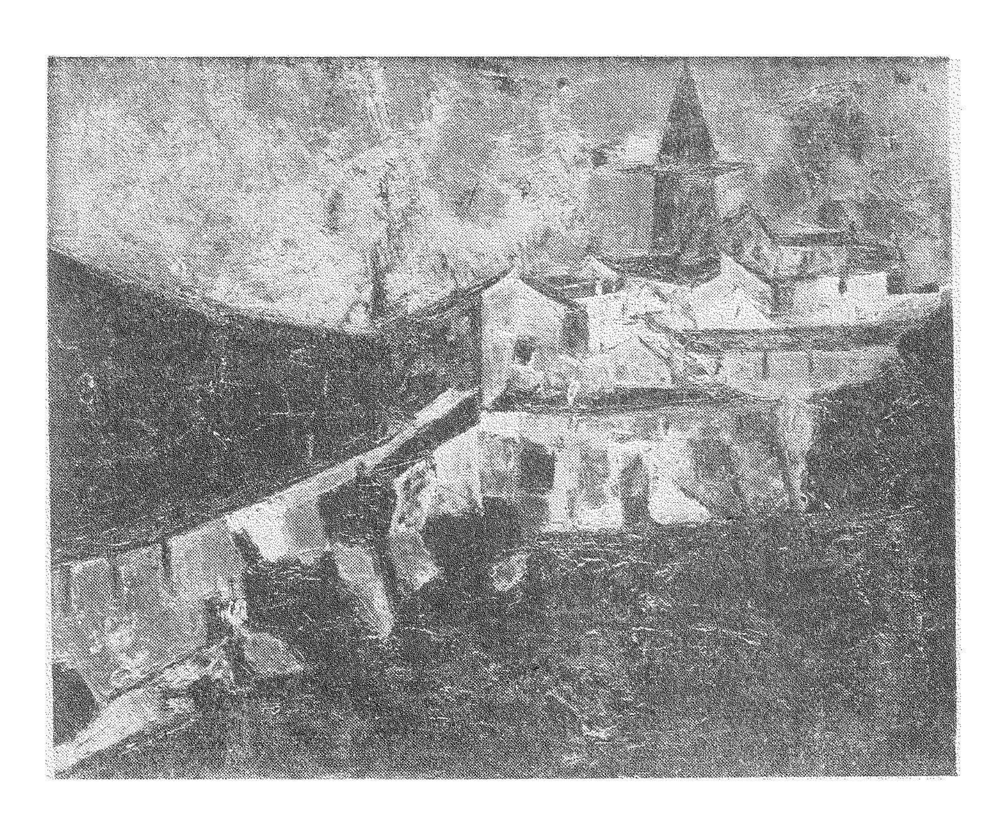
---

(٤) سيد حيدر رزا . ولد عام ١٩٢٢ في مدينة باباريا في احدى مقاطعات الهند الوسطى . وفي عام ١٩٣٩ دخل معهد الفنون الجميـلة في نجبور ثم انتمى الى مدرسة الفنون في بومباي . واتبع ذلك بالاشتراك في عدة معارض في الهند ثم منحته الحكومة الفرنسية زمالة دراسية جاء على اساسها الى باريس ١٩٥٠ ليتم دراسته في معهد الفنون الجميـلة ومن ثم بدأ بالاشتراك في عدة معارض في فرنسا وغيرها من البلاد واخيرا في صالون لارافنسي . ومما يجدر ذكره هو انه عام ١٩٥٦ نال جائزة النقد . ومن ثم ذاع صيته بين اقرانه من مدرسة باريس .

المعارض التي اشترك بها والجماعات التي ينتمي اليها :

اشترك في (جمعية الفن في الهند) ، و (جمعية الفن في بومباي) . واقتسم نصيبه في (معرض الفن الهندي) المقام في لندن عام ١٩٤٧ : كما اشترك في معارض اخرى هامة في بلاده بدلهي وبارودا ونجبور وكلكتا الخ .. وفي عام ١٩٥٢ نال جائزة نويل وعرض في عدة صالونات فـي باريس ، وفـي نيويورك عـام ١٩٥٥ ، وفي زرويخ عام ١٩٥٦ ، وفي شارل في معرض فينيسيا وفي المعرض الامي عام ١٩٥٧ ، ومعرض المستقلين في باريس . واخيرا في معرض (اساهي) في طوكيو باليابان عام ١٩٥٧ .

اما المتاحف التي تقتسم لوحاته فهي ـ متحف جرينوبل ـ ومتحـف الفن الحديث ـ في فرنسا و ـ المتحف المركزي ـ في نجبور و ـ متحف بارودا ـ في الهند وغيرها . كما يمتلك بعض لوحاته هواة من جميع انحاء العالم (مقتبسة من دليل المعرض)



رزا قرية ... وهي من معروضات معرض فنيسيا لعام ١٩٥٦

هو الدليل على مساء ازرق او ارض رمادية ولكنه شعور الانسان ازاء المساء والارض . ومن هنا فقد تبدو أحيانا سماواته صفراء او حمراء : والواقع ان انسانية اسلوبه تنحصر من هذه الزاوية الجديدة للنظر . وهي التي تكسبه اثناء ذلك (عفوية) التعبير و (شموله) ، وان توازنا عجيبا سيتحقق خلاله مقتربا شيئا فشيئا نحو ما يمكن انتدعوه (بالتجريد ــ الانساني) فالنزعة الانسانية كما تنحصر في لوحاته هي نزعة لا لرسم الانسان بل لتثبيت الوعي الانساني

وقد يصح القول بانه ينهل من نفس ينبوع (فان خوخ الخالد ولكنه أعظم من فان خوخ: انه يتجاوزه . وانسانيتهمر ثم هي الاخرى كانسانية (تمايو) لا تستقي الوعي الفردي بل الشعور الانساني . وان ما ستنطوي عليه لوحاته ليس ما يعبر عن (حب) أو (جنون) أو (رغبة) . بل (حب الناس) و (الشعور بالطبيعة) و (الكون) .

ولتوضيح ذلك يمكن لنا مقارنة اي منظر طبيعي (لفان خوخ) بمناظره هو . فالشعور (بالتعدد) يتميز لديه بوضوح في حين انمنازل فان خوخ لا تنطوي الا على وحدة المنزل ازاء الجسر ووحدة (الحي) ازاء (الحقل) . وهو في الوقت الذي يصر فيه على وجوب ممارسة فن (ينبع من القلب) يعترف بلهفة بان رسومه تظل تنطوي على مطلع بحثه الهندي خلال منجزاته القديمة بمادة (الجواش) وهو مهما سيعبر عن حبه لفن (دي بوفيه) (٥) فان اساسا روحيا وليس ادائيا سيملي عليه انسانيته التعبيرية . ان الوانه وسطوحه ان هي الا علامات متناثرة موسيقية لخلق لحن حزين وعميق يصهر النفس البشرية وينطلق بهما عبر الاجيال .

وفيما عدا (تمايو) (رزا) يبدأ (كيتو) الياباني بحثه من زاوية اخرى انسانية :

---

(٥) رسام فرنسي معاصر يعتبر نقطة انطلاق جديدة في الفن المعاصر . وله اراء قيمة في ذلك جمعها في مؤلفه المتواضع بعنوان (مشروعات الهواة لكل جيل) . وهو بالطبع غير الرسام الذائع الصيت (برنارد بوفيه) .

فهو على الرغم من ممارسته فنا تشكيليا كفن الرسم الا انه سوف يبدأ فيه بداية (شاعر) ، والواقع ان هذه الظاهرة واضحة في الفن الياباني المعاصر . ومن هنا فان انسانيته المعاصرة ستكون انسانية (انسان) يترجم خلال لوحاته الحياه في مقطوعات شعرية تنقل المشاهد الى اجواء (حلميه) او (طفوليه) عميقة . وهو دون ان يعتمد اعتمادا اساسيا على الطبيعة ، ولو كان لم يتعد نطاق الشكلية نحو ما هو (لا شكلي) ، فانه سيبلور في اذهاننا اخر الامر شعورا طبيعيا خلال وسائله الادائية الحادة . فمن لمساته العفوية التي تعدم انسياب الصبغة وهدوء التسطيح ومن خطوطه المحفورة وسطوحه البارزة يختلط في النهاية حاجة المضموني بيقظته الشكلية ، وكيتو بعد ذلك لا ينى يبسط لنا رؤياه اللونية والشكلية لكي يباغتنا ببساطة وبصورة مباشرة بما يريد ان يقوله . شأنه في ذلك شأن اختياره لعناوين مواضيعه ، فهي تتعدد في اطار (الوداع) من كلمة (اله) .. اله الجندي واله الفارس واله الاتجاه وهكذاتستمر (الالهة)خلال مواضعيه التي تأخذ اشكالا هي على الاغلب مجردة الابعاد (ولو كانت هندسية) وخلال الملامح التي يرسمها مفعمة بالرموز الشكلية الدفينة . اما اداؤه الزخرفي



كيتو : اله الفارس ـ لوحة زيتية مقياس ٤٠ لعام ١٩٥٨

(بواسطة التنقيط) والتناظري (بواسطة تحقيق التناظر) فانه ينطوي خلال ذلك على نظرة مستقرة للعالم العياني .

والواقع أن كيتو(٦)الاول وهلةفنانلا انساني . غير أن التعمق في وعيه ينقل المشاهد شيئا فشيئا من الرمز نحو الحقيقة ومن المجرد نحو التشكلي مستخلصا من تجاربه مشاعر نسبية نحو (العفوي) و (البسيط) . الا ان ذروة بحثه الانساني ستنجلي هي الاخرى خلال الوانه . والحق ان الوانه تعبيرية الى حد يمكننا خلالها ان نقرأ جميع (شهواته) او (احزانه) او (آماله) مجسدة ومحسوسة .

واخيرا فما كان لاي اداء فني الا أن يلبس انسانيته في كل زمان ومكان . الا ان تطور المفاهيم والقيم هو الذي سيطور المفهوم الانساني بدوره . ومن هنا فان طلائع (الفن الانساني) الذي نحن بصدده هو ما يسم ويعرف المفهوم الانساني المعاصر : (انسانية) النصف التالي من القرن العشرين .

باريس — **شاكر حسن سعيد**

(٦) اكيراكينو : ولد في طوكيو عام ١٩٢٥ (اول يناير) وهو من عائلة تناقلت فن الرسم بصورة تقليدية (فأبوه رسام ياباني تقليدي) وجده رسام ديني شهير . وبعد ان انهى دراسة البكالوريا انتمى الى (معهد الفنون الجميلة الوطني العالي) في طوكيو ، وذلك ما بين ١٩٤٢ ــ ١٩٤٨ . كما اشترك في عدة معارض في بلاده وفي ١٩٥٣ قدم باريس حيث وجد له جوا ملائما للاستمرار في بحثه ــ متلما مارس الرسم في (معهد الفنون الجميلة) بباريس ما بين ١٩٥٣ ــ ١٩٥٧ ، مواصلا انجازاته الشخصية في نفس الوقت . وفي عام ١٩٥٤ اشترك في (معرض شباب الرسامين) والواقع ان كيتو لم يتعمق في دراسة الرسم الكلاسيكي الاوروبي تعمقه في احساسه بالفن البدائي : عصر ما قبل التاريخ للفن الادبي وعصر ماقبل ــ الكولومبي للفن الامريكي وان لاطلاعه الواسع علىمعروضات المتحف الانساني اثرا في اقتناص الشعور الانساني البدائي والاسلوب العفوي . اما وعيه الشامل والعميق للفن الياباني القديم (المجرد) فلا بد انه قد نما باسلوبه الشخصي نحو التبلور والمتحقق .

يوميات الثورة في لبنان

ـ تتمة الصفحة ٦ ـ

والواقع ان اخطر ما كان يهدد استقلال لبنان،منذ قام هذا الاستقلال عام ١٩٤٣ ، هو وجود هذا الطابور الخامس الذي ما فتىء يعيث في البلاد فسادا ، ويعمل على ان تنحرف سياسة لبنان عن الخط الذي رسمه ضمير الشعب . منذ ان تكون هذا الضمير . ومع ذلك ، فقد كان من اكبر هموم الحاكمين ،في مختلف العهود ، ان يتحاشوا اخطار هذا الطابور الخامس بالتربيت على ظهره ومراعاة خاطره والتغاضي عن فساده ، حتى تمكن هذا الطابور الاخطبوط من مد ارجله في شتى الاتجاهات ، يدعمه الاستعمار الاجنبي ويغذيه .. ومن اجل هذا استطاع في اول مناسبة ان ينقض على الشعب محاولا التقهقر به دون متابعة طريقة الذي رسمها في الحرية والاستقلال والسيادة .

ان الثورة مدعوة اذن ، حين تباشر عهدها في الحكم ، ان تخلص لنفسها اي ان تظل ثورة .. لا ان تنكمش فتصبح اداة تسيير للاعمال «وتمشية» للاحوال ... ان هؤلاء الثوار الذين قاموا بها ، فقدموا لها القرابين بالمئات وتعرضوا لاعنف الاخطار ، وبذلوا مختلف التضحيات ـ انهم يريدونها ثورة انقلابية تطيح بكل الوان الفساد ، وتبتر جميع صنوف المفسدين ... يريدونها ثورة تطهيرية تزيل عن وجه لبنان كل انواع الزيف الذي طلاه به الخونة والمستثمرون والتجار !..

ولا شك في ان هؤلاء الثوار ـ جميع الثوار ـ مستعدون لمتابعة ثورتهم ومواصلة نضالهم ، اذا لم يكن هذا النضال وتلك الثورة كافيين بعد لجعل حركتهم انقلابية جذرية ...

وكم سيخيب امل الثوار اذا فتحوا اعينهم ، بعد ان يأخذوا لانفسهم نصيبا من الراحة والنوم ، فاذا هم يجدون ان ثورتهم الشريفة قد ابقت الحال كما كان ،فبرزت من جديد تلك الوجوه نفسها التي عرفوها حربا عليهم وعلى ثورتهم ، وارتفعت من جديد تلك الاصوات نفسها التي كانت تنادي بافنائهم ، وامتدت من جديد ، في الدوائر والمراكز الهامة ، تلك الايدي نفسها التي كانت تعمل على البطش بهم !

ان من اهم اعمال الثورة ، في المستقبل القريب ، ان تقضي على هذه « الحربائية » المجرمة التي حالت حتى الان دون ان يصبح لبنان وطنا حقيقيا ودولة حقيقية !

١٢ تموز ١٩٥٨

★

مساعدة للانقاذ ...

في انباء امس ان الولايات المتحدة قررت تقديم مساعدة طارئة الى لبنان تتراوح بين عشرين واربعين مليون دولار .

ولا حاجة للمرء بان يكون فيلسوفا ليدرك بان هذه المساعدة تأتي لتدعم الحكومة الحالية ماليا ، بعد ان تعذر ، على ما يبدو ، ارسال مساعدة عسكرية عاجلة للقضاء على الثورة في لبنان .

ولا نستطيع ان نفهم من ذلك الا ان الولايات المتحدة ما تزال تؤيد حكم شمعون ، بالرغم من ان هذا الحكم صائر حتما الى الانهيار .

ولن تستطيع الولايات المتحدة ولا سفيرها في لبنان ان تضللنا اذ تدعى بان هذا المبلغ ليس هو لشخص معين ، وانما هو « مساعدة انقاذ » للبنان. فاذا كان صحيحا انها تود ان تساعد لبنان للخروج من الازمة الاقتصادية المريعة ، فما معنى ان تقدم هذه المساعدة في هذا الوقت بالذات ؟. وهل هي واثقة من ان هذا المبلغ حين تتسلمه حكومة كميل شمعون ستخصصه للانقاذ ، لانقاذ لبنان ، لا لانقاذ اشخاص شمعون وحكومته ؟ بل ما هي الضمانة في الا يوزع شمعون هذه المبالغ (او معظمها ... لانه لا يجوز الا يحتفظ لنفسه بنصيب منها !) على مؤيديه وازلامه ليستمروا في تأييده والاستزلام له ، وليحاولوا ان يعرقلوا ما قد يأتي من حلول للازمة ، وان يضعوا العصي في الدواليب ليطيلوا امد هذا العهد المنهار ؟

ان الولايات المتحدة تفخر بانها ليست دولة استعمارية ، فهي ليس لها مستعمرات ، وهي لا تغزو ولا تحتل ولا ترسل جيوشها الى اي مكان ..

ولكن الحقيقة ان الولايات المتحدة هي التي خلقت استعمارا مخيفا من نوع جديد ، هو الاستعمار الاقتصادي ، اذا صح التعبير .. وهي تستطيع بواسطة تقديم المساعدات الاقتصادية والمالية والفنية ان تفرض نفوذها وسيطرتها وان توجه سياسة البلاد التي تساعدها الوجهة التي تريدها ، وهذا استعمار اخطر من الاستعمار العسكري من غير شك .

والحق ان سياسة الدولار بدأت منذ حين تنتشر في عدد من بلاد العالم ومن بلاد الشرق بصورة خاصة . وان اهم اخطار هذه السياسة ، بالنسبة للشعور القومي ، انها تحاول افساد الضمائر والذمم بالاغراء المادي ، وانها بذلك تحطم كثيرا من المثل العليا والقيم الاخلاقية التي هي رأسمال الانسان كانسان ، وكفرد في مجتمع ، وكعضو في قومية . وفي هذه السياسة تشجيع للرجعية والاقطاعية وتخدير للضعف البشري واستعباد للانسان بواسطة المال يلغي لديه حواس العزة والشرف والكرامة .

لقد قيل بان شارل مالك لن يعود الى لبنان الا وقد ارسل هذا المبلغ ، فهل هناك دليل انصع من هذا الدليل على ان حكومة الولايات المتحدة لا تود الا ان تنقذ حكومة شارل مالك الذي استعطى هذا المبلغ ، وانفق الاسابيع الطوال في واشنطن ونيويورك ليحاول انقاذ رأسه ورأس سيده بشراء المزيد من الضمائر وافساد الذمم والعقول ؟.

ولكن هل هناك انسان عاقل يشك في ان الثورة عندنا ، هذه الثورة التي تهدف الى تحرير لبنان من الاستعمار والرجعية والطائفية والفساد ، ستعرف ان « تنقذه » ايضا من الاستعطاء ومن اراقة ماء الوجه والعزة ، ومن سياسة الدولار بوجه عام ؟.

١٣ تموز ١٩٥٨

★

الثورتان الشقيقتان ...

ما اغباهم اولئك الذين يريدون ان يؤخروا سير الزحف الكبير !

وما اشد اجرامهم اولئك الذين يحاولون ان يوقفوا تدفق التيار الجامح !

وما اتفههم واحقرهم اولئك الذين يعملون على ان يصدوا تقدم الشعب العربي في جميع انحاء الوطن العربي!

ان الثورة طاقة كامنة في ضمير الشعب العربي منذ ان ذر الاستعمار قرنه بينهم ، وان هذه الثورة حقد جامح عنيف على تلك الطغمة من الخونة العرب الذين نصبوا انفسهم عملاء للاستعمار ينفثون السموم بين صفوف

الشعب ويسخرون الضمائر ويضطهدون الاحرار ، فلا يفتون في عضد الشعب ، بل يدفعونه الى حشد طاقاته وتجميع قواه ، حتى اذا رفع في وجههم قبضته ، كانت ضربته قاصمة حاسمة تنطلق بكل ما في النفوس من ذل الاضطهاد وكرامة التحرر !..

وكذلك كانت ضربة الشعب العراقي العظيم الذي عاش السنوات الطوال في سجن كبير بنى لبناته وشبك حديده محترفون حقيرون على رأسهم عبد الاله ونوري السعيد وفاضل الجمالي ..

ولقد عرف هذا الشعب المناضل الصابر ان يختار اللحظة المناسبة لضربته . فقد ظل طويلا يعاني الارهاب والضغط . وظل يحترق شوقا اذ يرى اخوانه الذين شاركهم الطريق يسبقونه فيتحررون قبله وينادونه للحاق به ، فاذا هو مكبل لا يقوى على المسير ، ولكنه مع ذلك يظل يشعر بالعزاء من ان يوم تحريره قريب ما دام رفاقه قد مهدوا له الطريق ...

ويتطلع الشعب العربي في العراق منذ شهرين الى ثورة اخيه الشعب العربي في لبنان فتستخف به الفرحة ، ويدرك ان قيدا جديدا يتحطم امامه ، ويتحفز هو ايضا للوثبة ..

ولكنه يفاجأ بان حكامه الخونة يتنادون مع عملاء الاستعمار في البلاد التي تحيط به الى التشاور للقضاء على وثبة الشعب في لبنان ، فيفتح جيش الشعب عينيه ليرى انه سيدعى الى قتال اخوته في العروبة ارضاء لشهوة حكامه عبيد الاستعمار ، فاذا هو يشهر قبضته التي كانت مغلولة ويضرب ضربته المنتظرة وهو واثق من انه سيحرر بها نفسه وسيدعم بها الشعب العربي في لبنان في نضاله الشريف .

وهكذا كانت انتفاضة الشعب العربي في العراق ، ردة فعل نبيلة تتيح لثورتنا في لبنان سبيل الاستمرار والقوة والنصر ، وسوف يكون لانتصار ثورتنا كذلك تدعيم لانتفاضة العراق الابي .. وهكذا تتبادل الثورتان الغذاء والقوة ، وتتوجان نضال العرب في هذا الجزء من الشرق وتشقان الطريق امام سائر الاجزاء المبتلاة بالاستعمار .

ومع ذلك ، فان كميل شمعون وشارل مالك وسامي الصلح يودون ان يوقفوا سير التاريخ الصاعد ، ويحاولون ان يؤخروا زحف القومية العربية التي اعترف بها حتى اكبر اعدائها ! ثلاثة اشخاص يودون ان يقفوا في وجه الملايين من العرب الذين يسعون منذ عشرات السنين الى التحرر والاستقلال والوحدة ، ويستعدون الاجانب طالبين تدخلهم بدعوى ان كيانهم مهدد .. وهو ليس مهددا الا بالحرية !..

فلينسجوا مؤامراتهم ، وليحبكوا دسائسهم مع اسيادهم المستعمرين وسيعرف الشعب العربي ان يحطمهم كما حطم قبلهم كثيرين من الخونة والطغاة .

ان الشعب العربي يتأبط اليوم ذراع التاريخ ...

والتاريخ لا يرجع الى الوراء...!

١٥ تموز ١٩٥٨

★

حرية الخيانة !

تغنى كميل شمعون وسامي الصلح في بيانيهما الاخيرين بالحريات التي يتمتع بها لبنان ، كما يتغنى كثيرون .. والواقع انه ليس هناك حد ولا مدى لحريات التي يتمتع بها اللبنانيون ، فهم احرار في كل شيء بلا استثناء ، بحيث ان كميل شمعون وسامي الصلح وشارل مالك وغيرهم من المسؤولين احرار في ان يرتكبوا الخيانة العظمى ! وذلك بدعوة الاجنبي الى احتلال البلاد والتمركز فيها ليفقدها استقلالها من جهة ويهدد استقلال الدول العربية المجاورة من جهة اخرى ..

انها حرية الخيانة ، تدخل اليوم في عداد الحريات التي يتمتع بها بنو الانسان ، وخصوصا المسؤولون في لبنان !

ولكن يبدو ان هذا المفهوم للحرية لا يقتصر على شمعون وحده ، بل ان مصدره على ما يبدو الولايات المتحدة الاميركية التي تؤمن به بضاعة للتصدير لا بضاعة للاستهلاك .. فهي تدفع بعض عملائها الى ارتكاب هذه الخيانة وتحثهم عليها .. وهي لن تقصر في الوقت المناسب بدعم هذه الحرية والدفاع عنها بحجة انها زعيمة « العالم الحر » وراس الدول الديمقراطية !

فليس هناك ما يمنع من الاعتقاد بان الولايات المتحدة هي التي طلبت من كميل شمعون ان يطلب منها ان تنزل جيوشها في ارض لبنان ... وهي تستطيع ان تبرر ذلك بعدد من التبريرات لن يصعب عليها ايجادها .

فهي ، مثلا ، ترسل الجيوش للمحافظة على الرعايا الاميركيين ، كأن هؤلاء الرعايا معرضون في كل لحظة للاضطهاد او القتل ، او كأن احدا منهم اصيب حتى الان بخدش ..

وهي ، مثلا اخر ، تود ان تساعد كميل شمعون للمحافظة على استقلال لبنان ، كان الثورة القائمة هدفها افقاد لبنان استقلاله ، او كأن زعيما واحدا من زعماء هذه الثورة يشك لحظة بوطنيته وايمانه باستقلال لبنان وحريته ..

ان الولايات المتحدة تستطيع ان تجد التبريرات الكثيرة ، ويستطيع مندوبها في مجلس الامن ان يلقي خطابا طويلا عريضا يتحدث فيه . عن لبنان الصغير الذي يجب حمايته من ابنائه الثوار ، والذي يتعشق الحرية ابعد حدود التعشق .. وما دامت اميركا هي حامية الحريات في العالم فلا بد من ان تحمي حريته ...

لقد تكشفت الولايات المتحدة في هذين اليومين عن انها اصبحت اليوم اكبر دولة استعمارية في العالم ، وان استعمارها اخطر استعمار عرفه البشر ، لانه يحاول دائما ان يبرر نفسه بعدد من المثل والقيم ، فيوهم الناس انه تحرير وهو في الحقيقة استعباد ،وانه انتصار للمثل العليا وهو في الحقيقة تزييف لها ..

ولعل لبنان الحقيقي ، لبنان الشعب الواعي ، هو البلد الاول الذي يتاح له ان يواجه الاستعمار الاميركي مواجهة صريحة ، فيفضح هذه الدولة الكبرى التي تزعم لنفسها قيادة العالم الحر ، وهي تتستر بالاكاذيب والمطامع والاضاليل !

لقد اوشك العرب ، في مختلف اقطارهم ، ان يتخلصوا من الاستعماريين البريطاني والفرنسي ، ولكنهم اليوم مدعوون الى مكافحة هذا الشيطان الجديد الذي يطلع عليهم من بلاد تزعم انها مقر الديمقراطية ، ومبعث الحريات !

ترى ، الم ينكس تمثال الحرية في وشنطن راسه اذ بلغته انباء نزول الجيش الاميركي في لبنان ليؤيد الحريات المهددة بالزوال ، بما في ذلك حرية الخيانة العظمى ؟

١٨ تموز ١٩٥٨

منطق الاستعمار ...

القت الطائرات الاميركية امس منشورات فوق بيروت فيها مقتطفات من نداء الرئيس ايزنهاور « الى المواطنين اللبنانيين الكرام » وقد جاء في هذه المنشورات ان قوات الولايات المتحدة « موجودة هنا لكي تساعدكم في مجهوداتكم الرامية الى المحافظة على استقلال لبنان في وجه اولئك الذين يرغبون في التدخل بشؤونكم والذين عرضوا سلم بلدكم وامنه للخطر . »

ولا شك في ان سلطات « الاحتلال » تستخف باللبنانيين وبعقولهم حين تزعم لهم ، او يزعم الرئيس ايزنهاور ، ان هناك من يعرض سلم بلدنا وامنه للخطر ، غير القوات الاميركية التي داست على استقلالنا حين داست اقدامها ارضنا ولطخته بعار الاحتلال ..

اننا لا نفهم قيمة استقلال تحرسه قوات احتلال .. ولا ندري كيف يمكن لبلد ان يحافظ على استقلاله حين يطلب من قوات اجنبية ان تحتله حتى لا تحتله قوات اخرى مزعومة ...

اليس في هذه الاقوال استهزاء بعقول اللبنانيين الذين يحترم الاميركيون عقولهم ؟ الم يخطر ببال ايزنهاور ان الحكام الذين طلبوا منه ان يحتل بلادهم (اذا كان صحيحا انهم هم الذين طلبوا ...) لا يفهمون معنى الاستقلال الحقيقي ، وانما هم يخونون البلاد بمجرد تفكيرهم بطلب الاحتلال ؟..

ومن هم الذين عرضوا سلم بلادنا وامنها للخطر غير الاميركيين الذين عرضوا سلم العالم كله وامنه حتى بتنا على قاب قوس من الحرب الذرية الرهيبة ، حين انزلوا قواتهم في ارضنا ؟.

ان الولايات المتحدة الاميركية لم يفقد منطقها في اية قضية من القضايا كما فقدته في القضية اللبنانية !.

لقد « اذهلتها » الثورة العراقية المظفرة ، فضربت ضربتها على غير وعي، ثم راحت تلتمس لها التبريرات والمعاذير ... وكان اخطر ما فعلته انها تجاوزت الامم المتحدة فأتمت عملية الاحتلال ، ثم وضعت العالم امام الامر الواقع ، فاثبتت انها لا تقيم للامم المتحدة وزنا الا بمقدار ما تحقق لها هذه المؤسسة اغراضها ومطامعها . والاعجب من ذلك الان انها تتردد كثيرا بل لعلها ترفض دعوة خروتشيف لمؤتمر الاقطاب ، بدعوى انها لا تريد ان تفعل شيئا خارج نطاق الامم المتحدة ...

اليس في هذا تناقض غريب لا يقع فيه الاطفال في السياسة ؟ انها ترسل جيوشها للاحتلال من غير ان تهتم بالامم المتحدة ، ثم تتعلق باهداب الامم المتحدة حين تدعى الى بحث امر هذا الاحتلال !.

ولكن مقاصد الولايات المتحدة تنكشف في العبارة التالية التي جاءت في نداء ايزنهاور الموزع بالطائرات على اللبنانيين « لقد غادر الضباط والجنود الاميركيون بيوتهم لكي يساعدوا في الدفاع عن منهجكم في الحياة .. » فهل يسمح لنا جنود الاحتلال الاذكياء ان يوضحوا لنا ما هو « منهجنا في الحياة » ؟ وهل هناك منهج واحد لجميع اللبنانيين ؟ وما هو هذا المنهج ؟ وهل يكون هو منهج الحاكم الخائن الذي طلب من قوات اجنبية ان تحتل بلاده ؟.

الحقيقة ان الولايات المتحدة لا تود ان تدافع عن منهجنا في الحياة ، بل هي تريد ان تفرض علينا منهجا معينا في الحياة ، هو المنهج الذي يوافق منهجها الاستعماري الذي وجدت له عملاء في ارضنا ..

ولقد قرر الشعب اللبناني ان يدافع هو وحده عن منهجه في الحياة ... وهذا المنهج يتلخص في كلمتين او ثلاث : ان يحارب الاستعمار وعملاءه الخونة !.

٢٢ تموز ١٩٥٨

الى الثائر العربي الكبير ...

اكتب هذه الكلمة ، وانا استمع الى خطابك الرائع بمناسبة العيد السادس للثورة المصرية .

وانا على يقين بان ما لا يقل عن مئة مليون من العرب جالسون الان الى اجهزتهم ليستمعوا اليك ياجمال..

اسمح لي الا اناديك : « يا سيدي » فمنذ اطللت في دنيانا وخطوت على ارضنا زال شعورنا بالعبودية والاستعمار . انك لست سيدا فينا وانما انت الانسان العربي الذي بحثنا عنه ليأخذ بيدنا الى دروب الحرية.

انك الرائد الهادي ، لانك من الشعب انبثقت ، فلا عجب ان تجسد اعظم اماني الشعب العربي،وان تحقق له الحلم الذي كان يغسله بالدماء والدموع

لقد كان هناك الوف وعشرات الوف يسيرون ويسيرون منذ قرون طويلة بحثا عن النور الذي اطفأه الاستعمار منذ ان حل الاستعمار في وطننا ، وانتظارا للفجر الذي يترقبون انبثاقه مرة اخرى من هذا الشرق العظيم.

ولما طلعت يا جمال ، صافحوا النور بين عينيك ، وقبلوا الفجر على جبينك الاسمر ...

لقد كان سلاحك في هذا الانبعاث الكبير الذي اطلقت شرارته بثورتك المظفرة اقوى السلاح واشرفه : الايمان بقدر هذا الشعب وهذه الامة التي خيل للاستعمار ان بوسعه القضاء عليهم فاذا انت ترد لها ايمانها بنفسها وبقدرها ، وبانهامرصودة لاعظم الاعمال من اجل خير البشرية .

ولكنك كنت ترفد الايمان الصادق بالعمل الجاد العميق ، فاذا انت تنفض عن كاهل هذه الامة غبار الاستسلام والتواكل والخرافات والاساطير لتبني على اساس من حديد ، مؤمنا بان ما يملكهالشعب العربي من ثروة طبيعية يكفل له ان يكون من اغنى الشعوب في العالم اذا عرف ان يستغل موارده بنفسه ، وان يضع حدا لاستغلال الاخرين لها .

وكان يدعم الايمان الصادق والعمل الجاد جرأة واخلاص ليس مثلهما جرأة ولا اخلاص ، فاذا انت تحمل روحك الكبيرة على كفك لتحارب الاستعمار بجيوشه واساطيله ومؤامراته ، ولكنك لا تغفل عن ان اعوان الاستعمار من الخونة العرب هم اشد خطرا على القومية العربية من الاستعمار نفسه ، فاذا انت تكشف مؤامراتهم وتفضح خططهم وتمزق غشاوات التقديس التي كانوا ينسجونها حول انفسهم ليخفوا ما في انفسهم من حقارة وحقد وضغينة . واذا انت تعلو كالطود الشامخ ، واذا هؤلاء الخونة من الحكام والملوك ينهارون ويتساقطون كاوراق الخريف ، يلعنهم الشعب الذي خدعوه واستغلوه ويقسم ان يتحرر منهم مهما كلفه ذلك من تضحيات .

ان الشعب العربي يهتف لك يا جمال ، في عيد ثورتك السادس ، لانك كنت من القادة القلائل الذين لم يحاولوا خداعه ، ولم يتلبسوا لباس التقوى والورع ليستروا الزيف الذي تنطوي عليه نفوسهم حفاظا على عروش يتظللون افياءها الناعمة ، بينما يموت شعبهم جوعا وجهلا ومرضا ، بل لقد التفت الى المواطن العربي العادي وهتفت به : ارفع رأسك يا اخي فان لك الحق بان تحيا عزيزا حرا كريما .. ورفع المواطن العربي رأسه، واصبح يحيا عزيزا حرا كريما لا يهاب العدو في الخارج ، ولا يؤمن الا بالحاكم المخلص الذي يضحي بكل شيء ، من اجل رفع مستواه وتطوير وضعه .

هذه كلمة مخلصة يحييك بها ثائر صغير من لبنان ، ايها الثائر العربي الكبير !

٢٣ تموز ١٩٥٨

نحن ... بين سياستين !

قال المسيو خروتشيف ، في خطاب له أخير « نحن نعلم ان العرب ليسوا من اتباع الماركسية ، بل انهم اليوم يؤمنون بالقومية التي تجمعهم وهم احرار في ذلك .. ولكن الذي يجب ان نساعدهم فيه ، هو الا يبقى في ارضهم جانب .»

وهذا الكلام ينم عن تفهم عميق ، وعن بعد نظر يدعمه التعقل والحكمة. واذا نحن ذكرنا ان الماركسية ، في اساسها ، تناهض القوميات ، ادركنا الى اي مدى يتطور معتنقوها ويتميزون بالروح الواقعية .

وهكذا يعترف بالقومية العربية حتى الذين يفرض فيهم ان يشجبوا القوميات . وقد يقال : ان مصلحة السوفيات هي التي تقضي عليهم باتخاذ هذا الموقف الان . وسوف يأتي يوم يتنكرون فيه للقومية العربية !

فنقول : قد يكون هذا صحيحا ، وقد لا يكون . فالمهم انهم الان يناصرون العرب ، ولا يستطيع العرب بالمقابل الا ان يحمدوا لهم هذه المناصرة ، ويطلبوا المزيد منها ، ويعترفوا بقيمتها في هذه الفترة من صراعهم ضد الاستعمار الغربي وكفاحهم كفاح الحياة والموت .

ولكن هل دفع هذا الموقف السوفياتي العرب الى اعتناق الماركسية والارتماء في احضان قادتها ؟

ان الوقائع كلها تجيب سلبا ، وهي تدل على ان العرب قد بلغوا الان من الوعي ، بفضل ما عانوا من التجارب طوال نصف قرن ، مبلغا يستطيعون معه ان يدركوا هم ايضا اين هي مصلحتهم ، ومصلحتهم فحسب . انهم لا يؤمنون الا بالقومية العربية مذهبا في الفكر والعمل ، وهم يمدون يدهم الى كل من يعينهم على نصرة قوميتهم ما دام يعينهم حقا .. وسيعرفون ان يقفوا الموقف الذي تمليه عليهم مصلحتهم اذا ما تنكر لهم هؤلاء الاصدقاء يوما ، وانقلبوا عليهم . ان العرب سيكونون ابدا في خدمة قوميتهم وحدها ، هذه القومية التي ثبت لهم نهائيا انها مرتكزهم وسبيل حياتهم وضمان مصيرهم .

والسؤال الان : اليس من مصلحة الدول الغربية ان تعترف هي ايضا بالقومية العربية ، ما دام العرب لا يكنون عداء طبيعيا للغرب ، كما لا يكنون صداقة طبيعية للماركسية ؟.

هنا يبدو الفرق بين سياسة السوفيات الحكيمة ، وسياسة الدول الغربية الخرقاء !

ان سياسة الغرب ، ولاسيما الولايات المتحدة ، كما ظهر في ازمتنا اللبنانية ، هي سياسة الاستعمار الاعمى الذي لا يلقى بالا الى سير التاريخ، ولا يهتم بتطور الشعوب ، ولا يكترث للوعي الصاعد . انه يود ان يرجع بالتاريخ القهقرى ، ويوقف عجلة التطور ، ويخنق الوعي ، وهو في ذلك يتنكر لمعطيات الواقع ويرتكب من الحماقات ما يكون في مصلحة هذا الوعي بالذات ، اذ يساعده ذلك على تحقيق اهدافه في التحرر والاستقلال والسيادة .

وهكذا تجنى القومية العربية اليوم من ثمرات السياسة الحكيمة بمقدار ما تجنى من ثمرات السياسة الغربية الحمقاء، وهي الرابحة في الامرين جميعا !

وستعرف هذه القومية ، بفضل وعي قادتها الجدد ، ان تفيد ابدا من جميع المواقف ...

وسيظل مشعلها في توهج ، وستظل رايتها في ارتفاع !

٢٤ تموز ١٩٥٨

« حقوق » الاستعمار الاميركي ..

كنا وما نزال نؤمن بان دعوة الجيوش الاميركية للنزول في لبنان هي اكبر طعنة توجه الى استقلال هذا البلد .. ذلك ان هذا النزول اوالاحتلال ستكون له في المستقبل القريب والبعيد عواقب وذيول لم يكن يقدرها الحكام الخونة ...

لقد كان النفوذ الاميركي في السياسة اللبنانية ، قبل ثورة الشعب ، امرا جليا واضحا ، ولا شك ان من اهم اسباب الثورة رغبة الشعب في ازاحة هذا النفوذ ــ الكابوس الذي يخنق نسمة الحرية في الصدور .. فما بالك الان وقد اتت الجيوش الاميركية تدعم هذا النفوذ بالقوة ، وتبدأ السلطة الاميركية تمارس « حقوقها » في بلادنا بصورة مكشوفة ؟.

ها هو « مورفي » يأتي الينا يعرض وساطته ويقوم باتصالاته ويبحث عما يسمونه « تسوية » .. وليس هناك من دعا « مورفي » الى ذلك.. ولكن دعوة الاسطول السادس تستتبع حتما تدخل اسياده واصحابه في السياسة التي قدم الاسطول لحمايتها .. لقد اصبح ذلك من حقه !.

وها هو الاميرال هولوواي قائد القوات الاميركية في لبنان يتحدث مطولا عن الازمة ويدلي برأيه في تطوراتها وحلولها ...

بل ها هو السفير الاميركي الذي يصرح ، جوابا على سؤال عن رأيه في اهداف المعارضة سياسيا ، بقوله :

« نعتقد ان المعارضة اذا جاءت الى الحكم ، فان في ذلك خطرا على الولايات المتحدة ، لاننا جئنا الى لبنان لنساعده على البقاء مستقلا . »

فهل هناك دليل انصع من هذا الدليل على ان حكومة الولايات المتحدة، صاحبة الجيوش التي دعيت للنزول في ارضنا ، عازمة على التدخل الفعلي في سياستنا الداخلية ، فضلا عن السياسة الخارجية ؟

ان هذا التصريح الذي ادلى به السفير الاميركي في السفارة ببيروت يفضح نية الولايات المتحدة بان ترسم سياسة لبنان العامة : ينبغي الا يأتي الى الحكم اشخاص يعارضون الولايات المتحدة ، او يشكلون اي خطر عليها .. اشخاص يضعون نصب اعينهم « مصلحة » الولايات المتحدة .. وهذه المصلحة هي ان يبقى لبنان مستقلا .. مستقلا عن الجميع الا عن اميركا ...

مستقلا عن الجمهورية العربية المتحدة خصوصا ، ولكن عبدا للولايات المتحدة يأتمر بامر اسطولها وقواتها المعسكرة في ارضه ، ولا يرفع الى سدة المحكم الا الاشخاص الذين ترضى عنهم ، ولا يشكلون خطرا عليها !.

اجل !. منذ وضع اول جندي اميركي قدمه على ارض الوطن ، اصبح من حق الولايات المتحدة ان تسير سياسة البلادوفق مصلحتها الخاصة ... واصبح من حق ايزنهاور ان يؤكد ان الحكومة اللبنانية حكومة دستورية، وان الانتخابات التي جاءت بمجلس النواب اللبناني انتخابات شرعية حرة.. واصبح من حق السفير ماكلنتوك ان يصرح بان بعض المعارضين يقاتلون لاسباب شخصية ، وان جميع المعارضين يتلقون مساعدة من الجمهورية العربية وانه يرجو عند انتهاء الازمة اعادة « انشاء العلاقات الودية مع الشطر المسلم من البلاد » ...

وبعد فهل يشك لبناني واحد، بعد دعوةالجيوش الاميركية لاحتلال البلاد وتصريف السياسة اللبنانية ، في الحاضر ، وفي المستقبل القريب والبعيد، هل يشك لبناني واحد بخيانة الحكام للبلاد ولاستقلال البلاد ؟.

٢٥ تموز ١٩٥٨

انتصار مبدئي ...

الحل الذي انتهت اليه الازمة اللبنانية امس ، بانتخاب اللواء شهاب رئيسا للجمهورية ، هو الحل المبدئي الذي ارادته الثورة في لبنان منذ نشأتها : ان يعتزل كميل شمعون ليحل محله رئيس محايد يحاول ان يعيد الامور الى نصابها في هذا البلد الذي ساسه بالطغيان والانحراف والانحياز والخروج عن الميثاق الوطني . فلماذا اقتنع كميل شمعون اخيرا، واوعز الى الموالين ان يؤيدوا ترشيح اللواء شهاب ، بعد ان كان قد رفض ذلك منذ زهاء عشرة اسابيع ؟..

امن اجل المحافظة على « الشرعية » قبل ان يغرق لبنان بالدماء ، وان يدول الازمة اللبنانية ، وان يغذي الانشقاق الطائفي ، وان يدنس ارض الوطن باقدام المحتلين ، طاعنا بذلك الاستقلال الذي يزعم انه وحكومته يدافعان عنه ؟

امن اجل ان يبقى شهرين يدفع بلبنان الى اعظم محنة عرفها تاريخه؟.

ان هذه اسئلة تخطر على بال لبناني في هذا الوقت ، ولكن الوعي الذي اصبح يتمتع به اللبناني يفسح له الاجابة بسهولة عن هذه الاسئلة، فيخرج بجواب واحد لا ثاني له : هو ان كميل شمعون لم يكن يملك من نفسه ان يقدر ويقرر ، والا لاختار الحل الذي يمليه الضمير النقي على كل رئيس وطني مخلص ، وانما هو عميل للاستعمار ، يتلقى اوامره من لندن وواشنطن ... وقد كان يأمل ان يظل الاستعمار على دعمه اياه حتى النهاية فضحى من اجل هذا الامل باستقلال بلاده وامنها وراحتها .. الى ان اشار له الاستعمار في الايام الاخيرة ، واومأ له باصبعه انه قد حان لك ان تتنحى ، فانك اصبحت شخصا « غير مرغوب فيه » لان ما كنت اعلقه ــ والكلام للاستعمار ــ على تدويل القضية اللبنانية وانزال جيوشي على الشاطيء اللبناني ، قد فشل وخاب ، ولا بد من ايجاد حل مناسب ... فتفضل وابتعد من الساحة ولا بأس في ان تلجأ الى الحل الذي كان قد نصحني به منذ العشرين من ايار الماضي ، عدوى اللدود جمال عبد الناصر !

اجل ، لعب الاستعمار الاميركي لعبته بواسطة الرجل ــ الدمية الذي يحتفظ به في لبنان ، ثم اشار اليه بان يلعب لعبته ، فاومأ الى النواب ــ الدمى ان انتخبوا من كنت الى حين اعارض في ترشيحه.. وهكذا جاءت الاوامر ولا بد من اطاعة الاوامر ، والا تركني اسياد واشنطن اتخبط في الظلام حتى الاقي مصيري الاسود !!

هذا ما يفكر به اللبناني المخلص اليوم ، فتتمثل له بشاعة الدور الذي لعبه رئيس الجمهورية السابق، ولا يتردد في ان ينعته باقبح نعوت الخيانة والاجرام!

وبعد ، فقد انتصر الشعب اللبناني انتصارا مبدئيا قريبا اذ حال دون شمعون ودون التجديد . ومن اليقين ان الثورة لو لم تقم لاتيح لشمعون ان يجدد . وان في منعه من هذا التجديد ضربة لسيده المستعمر الذي كان يود ان يتصرف بمصير هذا البلد بمعزل عن شعبه وارادة ساكنيه ..

ولكن الشعب اللبناني لم يحقق بعد كثيرا من الاهداف التي وضعها نصب عينيه حين قام بثورته : ان امامه بعد ان يسقط شمعون بالفعل ويبعده عن المقود ، وان يطرد جيوش الاحتلال فتغيب مع اسطولها في اعماق البحار ، وان يحقق التفاهم والوئام بين طوائفه وان يعود بلبنان الى السياسة العربية الصريحة ، وان.. وان .. اهداف كثيرة ليس هناك من يجعلها بعد.

واذا استعرض العربي الثائر في لبنان جميع هذه الاهداف ، فان النصر المبدئي القريب الذي حققه لن يخدره فيستسلم للنشوة ، بل سيجعله اكثر صمودا واعمق ايمانا بان نضاله لم ينته ، وبانه لن يقبل الا النصر التام الكامل ، لان النصر لا يجزأ ، ولان التضحيات التي قام بها تستحق اعظم اكاليل الغار .

١ آب ١٩٥٨

هل هذا صحيح ؟..

اذاعت وزارة الخارجية امس « ايضاحات » حول ترشيح شارل مالك لرئاسة الدورة القادمة لهيئة الامم المتحدة. وتنضح هذه الايضاحات بالتبجح والادعاء، فضلا عن الغرور الذي نعرفه في وزير الخارجية منذ زمن طويل..

غير اننا لاحظنا في هذه المعلومات ايضا اكذوبة صغيرة وقضية اخرى اثارت تساؤلنا ودهشتنا .

اما الاكذوبة الصغيرة التي تضاف الى سجل اكاذيب شارل مالك ، فهي ان معظم الدول العربية ومعظم دول باندونغ الاسيوية والافريقية تؤيد ترشيح وزير خارجيتنا لهذا المركز .. وقد كنا نود من هذه « الايضاحات » ان توضح هذا الامر بتعداد الدول التي تؤيد الترشيح. ونحن نعتقد ان عملية حسابية بسيطة في الجمع والطرح لا بد ان تثبت بان « الاكثرية » ستصبح « أقلية ».. والظاهر ان شارل مالك يعتمد على الوعود التي استقطها في السنة الماضية ، بعد ان اومأت له الولايات المتحدة ان ينسحب لصالح مندوب نيوزيلندا .. الظاهر انه لا يزال نائما على حرير تلك الوعود ... ولكنه نسى انه اصبح هو وحكومته ، منذ ثلاثة اشهر ، موضع الشك والريبة لدى جميع دول العالم ، ولاسيما الدول العربية ودول مؤتمر باندونغ ...

على اننا لا نستطيع ان ننكر ان هناك عدة دول يمكن ان تدعم ترشيح وزيرنا الفاضل ... لا لانه فيلسوف او بارع في ادارة جلسات الامم المتحدة، بل لان هذه الدول لا تزال مع الاسف الشديد تأتمر بامر واشنطن ولندن، ومنها عدد من الدول العربية.. غير ان عددها لن يشكل على اي حال اكثرية!

اما القضية الثانية التي اثارت تساؤلنا ودهشتنا ، فهي ما ورد في ايضاحات الخارجية من ان كميل شمعون والرئيس اللواء شهاب متفقان على دعم ترشيح مالك .. وليس ما يدهش او يدعو الى التساؤل ان يؤيد الرئيس الراحل وزير الخارجية الموقر ، فان هذا التأييد ينسجم مع خطة عمله في تحدي الشعب اللبناني او القسم الاكبر من هذا الشعب.. ولكن الذي يدهش ويحمل على التساؤل ان يكون امر دعم الرئيس الجديد لترشيح مالك صحيحا ..

فقد سبق للرئيس شهاب ان رفض اي تخطيط سياسي للمستقبل قبل ان تتألف الحكومة الجديدة ، وقد قدر الجميع انه لا يود ان يرتبط او يربط البلاد بخطوط حاسمة قد يثور حولها خلاف لدى الشعب .. فهل من الصحيح انه يؤيد ترشيح رجل لهذا المركز لا يقبل مفهومه السياسي القسم الاعظم من الشعب ، ويعتبره مسؤولا الى حد بعيد عن تدويل القضية اللبنانية وانزال جيوش الاحتلال على الارض اللبنانية ؟

اننا لا نعتقد ان الرئيس اللواء شهاب يساعد على اقرار هذا التحدي، وهو الذي ما قبل بالرئاسة الا ليعيد بناء الوحدة الوطنية ويزيل اسباب الخلاف الرئيسية بين فئات الشعب ، وشارل مالك احد هذه الاسباب من غير شك .. ونحن نميل الى الاعتقاد بان في ايضاح وزارة الخارجية ، حول تأييد اللواء الرئيس للترشيح ، اكذوبة صغيرة اخرى تفتح لها صفحة جديدة في سجل الوزير الصادق ..

اننا نرفض ان يترأس الدورة القادمة للامم المتحدة رجل من عملاء الاستعمار الاميركي ، او اي رجل من عملاء اي استعمار ... ونعتبر شارل مالك شخصا قد انتهى دوره في السياسة اللبنانية ، لانه ينتمي الى مدرسة سياسية عفى عليها الزمن في عهد انبعاث القومية العربية ... مدرسة نوري السعيد وفاضل الجمالي وسمير الرفاعي وسواهم ..

وقد يحسن بشارل مالك ان يفكر بالعودة الى تدريس الفلسفة في الجامعة الاميركية ببيروت .. ولكننا ، حتى في هذه الحالة ، سنعرف ان نحذر اولادنا وابناءنا من ان الفلسفة قد تستغل بحيث لا تعني دائما الصدق والاستقامة

٦ آب ١٩٥٨

الانسان والتقدم
– تتمة الصفحة ٧١ –

وبحياته العادية من يوم الى يوم وعندما يكون خلية في بناء اجتماعي متخلف لا يستطيع ان يقوم بذلك عن طريق تغيير كل المجتمع بل يضطر للرجوع لنفسه والارتداد نحو ذاته والاهتمام بالمحافظة عليها عن طريق الالتئام والتكييف للمحيط . والافراد يختلفون فيما بينهم ومن وقت لاخر بمقدار رجوعهم لانفسهم وارتدادهم من العام للخاص، من مصلحة الجماعة لمصلحة الذات . فبعضهم تكون رجعته قوية وتكيفه شديدا لدرجة تضعه في مكان معاكس لمصلحة المجموع ، وبعضهم يحاول الاعتدال وهكذا . اذن فالجوهر واحد وان اختلفت المسالك . في النشاط الخاص يحاول الانسان المحافظة على الحياة ولكن بنطاق ضيق محدود قد لا يتعدى نفسه . وفي النشاط التوجيهي يحاول ذلك على نطاق واسع عام يشمل الامة او حتى الجنس البشري. القوة الاصيلة في التطور هي ارادة الخير ، ما يقوم به الانسان لتجديد الحضارة كلما تحجرت اسسها وتخلف البناء الاجتماعي . هذا النشاط لا يمكن ان يحدث من يوم ليوم ولا يناسب تفاصيل العيش الخاص لفرد او عدة افراد بل هو عملية طويلة الامد عميقة الاثر واسعة النطاق تشمل المجتمع كله . انها القوة الايجابية الوحيدة في حين ان الظروف ، اي الاوضاع الاجتماعية ، قوة سلبية تفرض على الانسان التكييف في تأثيرها على سلوكه وتفكره انها تعمل كعائق وكصعوبة بوجه النزعة للمحافظة على الحياة وتحسينها التي هي الدافع وراء كل نشاط الانسان الخاص والعام. من ذلك يمكننا ان نستنتج ان الانسان هو القوة التي تخلق وتسيطر على التطور ، جوهره الاصيل نزعة الخير – هذا هو اتجاه السببية في التطور الاجتماعي.

والان لا بأس من اعطاء بعض الملاحظات عن بعض المدارس الفكرية المعينة في قضية التطور. فالاقتصاديون الكلاسيكيون (آدم سمث وبنتام مثلا) قد قصروا نشاط الانسان على الخاص واعطوا حكما على التطور الاجتماعي . هناك الطبيعة البشرية الثابتة القوانين وهي ان الانسان فردي يعمل لنفع ذاته ، وعاقل يحاول دائما زيادة السعادة وتقليل الالم لأقصى ما يستطيع وبفعل المنافسة يتحقق التوازن الاقتصادي وتصل الكفاءة حدها الاقصى والمجتمع ينمو كما تنمو الشجرة بشكل تدريجي طبيعي، فيزداد عدد السكان ويزداد الادخار وتكوين رأس المال . وهكذا يتصاعد النمو الاقتصادي ويزداد تقسيم العمل والانتاج بشكل مستمر . وفي كل هذا التطور يتصرف الانسان حسب ما تقتضيه قوى السوق الخارجة عن سيطرته ، وبفعل اليد الخفية يتطور المجتمع عن طريق تصرف الفرد اي السعي وراء مصلحته الخاصة . اذن فالتطور عملية تسيرها قوانين طبيعية تنبع من الطبيعة البشرية الثابتة وليس بمقدور الانسان تغيير ذلك . ولكن بجانب كل ذلك فالتطور الاجتماعي يصدر عن الانسان لانه اسس القانون الطبيعي وتكمن في الطبيعة البشرية .

اما الفلسفة الماركسية فبالرغم من تأكيدها على ما يشبه النشاط التوجيهي الذي هو عندها الصراع الطبقي والسير الحتمي للتاريخ نحو هدف اصلح الا انها قد اغفلت الاثنين معا وعزت التطور لقوة خارجة عن الانسان هي حركة المادة. ليس للانسان دور ارادي ذاتي في التطور ، بل ارادته وفكره انعكاس لتطور الاوضاع المادية – عوامل الانتاج – المحيطة به!

هناك بعض التقارب بين فكرة النشاط التوجيهي ونظرية شمبيتر المبنيه على دور المنظم في التجديد والاختراع وتحسين الانتاج . فقد اكد شمبيتر على دور الانسان في تغيير المجرى الهادىء لاقتصاد المنافسة الحرة الذي تصوره الكلاسيكيون واحداث رجة عميقة في التوازن الاقتصادي. فالتطور الاقتصادي عنده ليس الا حلقة متتابعة من التحسينات الكبرى التي يدخلها المنظمون والتي تعيد تنظيم الاقتصاد من جديد حتى اذا ما هضمت وتمثلت ظهر تحسين جديد بشكل انقلاب في طرق ووسائل الانتاج وهكذا . وبذلك اعطى للانسان دورا اراديا ذاتيا في عملية التطور الاقتصادي . ولكن هذه النظرية برغم كل هذا التقارب بينها وبين النشاط التوجيهي تبقى مقتصرة على تفسير النمو الاقتصادي فقط ومحصورة في نشاط الفرد المنظم . اي انها لم تتعرض للعمل الجماعي . كذلك لم تكن نظرية شمبيتر مرتبطة بمبدأ خلقي يشدها لحقيقة الكون كما هو الحال في ارتباط النشاط التوجيهي بنزعة الحق المطلقة .

– ٤ –

تم لنا الان توضيح الخصائص الاساسية للتطور الاجتماعي بشكل عام سنحاول في الجزء التالي من المناقشة استعمال ذلك في تفسير التطور في المجتمع العربي الحاضر.

يتميز المجتمع العربي الحاضر بانه متأخر يعمه الفساد والانحراف . فهو فاقد لوحدته السياسية ، وحريته في الداخل والخارج غير تامة بعد ، واقتصاده متخلف تسوده الفوضى في التنظيم والتوزيع . اي ان الاطار الاجتماعي العام متخلف متناقض مع ما يجب ان يكون . ولكن مشكلة التخلف لا تنحصر في الاطار الاجتماعي العام تجاوزته للفرد نفسه . الفرد العربي ، بنشاطه الخاص قد بدأ بالتفاعل مع الاطار الاجتماعي والتكيف له فنمت فيه عقلية وسلوك وعادات منسجمة مع فساد ذلك الاطار . وبالتدريج بدأ التقارب بين الاطار والمحتوى ، بين النظام والفرد يزداد. وبذلك تسرب الفساد للفرد نفسه . اي ان المشكلة اصبحت اجتماعية وفردية بنفس الوقت لانها تشمل الاوضاع الاجتماعية العاملة والافراد انفسهم . والمغزى المهم لذلك هو ان المشكلة اصبحت اعمق وحلها اصعب ، وان هذه الصعوبة تزداد بمرور الوقت . ولنأخذ مثلا وضع التجزئة الحاضر في الوطن العربي . نلاحظ ان هذا الوضع قد اخذ بالتجمد والتكلس بمرور الوقت وهو سائر في هذا السبيل ان لم يغير بشكل جذري . فقد اخذ التفكير يألف

الوضع ويتفاعل معه ويتكيف له . وظهرت حركات اقليمية وراء تمثل التجاوب معه ، وبدأ الفرد الاعتيادي يتصرف ويفكر على اساس التجزئة . وقامت مصالح واعتبارات اقتصادية وسياسية مرتبطة بهذا الواقع تتبناه وتدافع عنه. واصبح وضع التجزئة مستنِدا على قواعد مصلحية في الحكم والنفوذ والمال وتطورت له بعض العادات والاعتبارات، وانعكس في الفكر والفن والتقاليد الشعبية . اي انه حدث شيء من تكيف الفرد للاطار العام عن طريق النشاط الخاص.

في وسط هذه الظروف شهد هذا العام قيام الجمهورية العربية المتحدة بفعل ارادة تخطت الاوضاع والاعتبارات المصلحية والعقبات المادية . وكانت بذلك نشاطا توجيهيا يهدف لاعادة سلطة الانسان العربي على ظروفه ومحيطه، على اطاره الاجتماعي الذي عاش ضمنه لسنين . فهي تحول اساسي في مجرى التاريخ العربي ينشد اعادة تنظيم حياة العرب على اسس جديدة وهذا معنى ثوريتها . لذلك فهي اكثر من جمع فيزياوي لقطرين واوسع من قضية الوحدة بمفهومها اللغوي الاعتيادي لانها تضم في حناياها روحا استطاعت ان تعلو فوق المألوف المتعارف،فوق المصالح والاعتبارات والعرف السائد . الجمهورية العربية المتحدة هي البداية العملية للنهضة الشاملة والبعث العربي التام، لان وراءها نظرة تقدمية متطورة تريد السيطرة على الظروف لا التكيف لها،لذلك فعنصر التجديد بها لا يقتصر على الجانب السياسي الوحدوي بل يتعداه لنواحي الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية . كان الاسلام نشاطا توجيهيا مثل محاولة العرب للسيطرةعلى الظروف، وقيام الجمهورية العربية المتحدة اليوم يمثل تحركا توجيهيا جديدا يعيد العرب للتاريخ الحي من جديد .

قلنا ان مشكلة التخلف في المجتمع العربي الحاضر لاتنحصر في الاطار الاجتماعي بل تتعداه لشخصية الفرد ذاتها . وذلك يعني ان المشكلة اجتماعية وفردية بنفس الوقت . ولكن ماذا يترتب على هذا الحكم بعد ان وصلنا لتلك النتيجة عن السببية في التطور الاجتماعي ؟ يتضمن هذا الحكم الشيئين التاليين : اولا ان الحل لا يمكن ان يكون عن طريق اصلاح الفرد قبل اصلاح النظام . اي انه يجب ان يستهدف تغيير الاطار الاجتماعي العام الذي يعيش بضمنه الافراد عن طريق نشاط توجيهي يسيطر به الانسان على الظروف العامة ويغير اسس المجتمع ، وثانيا ان النشاط التوجيهي هذا يجب الا يقتصر على ذلك ، بل يتعداه لتغيير سلوك وتفكير الفرد نفسه . وبكلمات اخرى ان مهمة النهضة احداث نظام صالح للمجتمع وتربية صالحة لافراده . من ذلك يبدو ان القول بشعبية المشكلة لا يتضمن تحديدا لموضع حلها بل لنوعية الاجراءات الواجب اتخاذها بعد احداث التغير في الاطار الاجتماعي العام . ولنناقش هذه النقاط بشيء من التفصيل .

هناك ميل في الرأي العام وحتى عند بعض المثقفين لاغفال جانب الفرد في تحديد مشكلة المجتمع العربي وحصرها في فساد وتخلف النظم والقوانين والاوضاع العامة التي تشكل اطار المجتمع . ويبدو ان مبعث ذلك عاملان هما الضعف الفكري العام الذي سبب هذا الانحياز لجانب واحد لا لشيء الا لانه واضح ملموس لا يحتاج لعمق وامعن ، اذ من صفات الفكر الضعيف انه لا يستطيع الغوص في مضاعفات المشكلة والتعرف على اوجهها المتعددة ومتشابكاتها والنفوذ لجوانبها العميقة الخفية بل يقتصر على الظاهر منها الذي يقع تحت سيطرة الحواس الاعتيادية . وبجانب ذلك هناك ميل خفي للتخلص من المسؤولية وخوف من مجابهة الحقيقة يدفع لوضع اللوم كاملا على الاوضاع العامة التي تدعى الظروف كالاستعمار والاقطاع . هذه النظرة المنحازة في تشخيص الداء هي نتائج ضعف الجيل الحاضر وخوفه من مصارحة نفسه بحقيقة الواقع ليتسنى له وضع الحل الصحيح . الجيل الحاضر لا يريد ان يعترف بان الفرد نفسه قد وصل اليه الفساد والتخلف فانحرف خلقه ولانت شخصيته فاصبح سلوكه ودوافعه وتفكيره منسجما مع الواقع الفاسد . وازاء هذا الغموض في تحديد المشكلة اصبح من الصعب على الفرد العامي ان يتصور بانه بسلوكه وتفكيره الحاضر مساهم بالتخلف والفساد ومساعد له وانه بذلك سيصبح معرقلا للتقدم اذاما حدث تغير فجائي بالنظام القائم .

ولكن الاعتراف بتسرب الفساد لشخصية الفرد لا يعني تحديدا للحل . فاصلاح الفرد بنشاطه الخاص واقع تحت تأثير الاطار الاجتماعي ومسير به لحد بعيد . فاصلاح الفرد صعب ان لم يكن غير ممكن اذا بقي الاطار العام كما هو . هذا هو سر ضعف اثر الوعظ والنصح والارشاد والدعوات التي تخاطب الفرد وتحثه لتعديل سلوكه . وتتجسد هذه الفكرة في ظاهرة الصعوبة التي يجابهها البيت والمؤسسات الدينية في التربية وتقويم الاخلاق . اذ ان التربية البيتية والوعظ الديني يبتلعها المحيط الفاسد الذي يعيش فيه الفرد وتطغى عليها الاثار المعكوسة التي يفرضها الاطار المتخلف للمجتمع وبذلك يتضح خطأ الرأي الذي يردد احيانا بان مشكلة المجتمع تنحل اذا ما اصلح كل منا نفسه وقام بواجبه خير قيام .

اذن فحل مشكلة المجتمع العربي تحتاج لعمل توجيهي عام يصدر عن صميم ارادة الامة الحقيقية ليتغلب على الظروف الفاسدة . انه عمل غير منسجم مع الظروف الموجودة بل منفصل عنها ، مصدره واساسه ارادة الخير المتحركة في الامة لا قيم الواقع الفاسد .

وقوة هذه الارادة المتفتحة في بعض الافراد تحتاج لتجميع وتنظيم وبلورة مستمرة تحيلها من قطع متناثرة لكتلة متراصة منسجمة مترابطة عضويا بعضها ببعض، تبقى تعمل على هز اعماق الوجدان في الافراد الاخرين وتقاوم الفساد والتأخر حتى تستطيع تحريك العجلة واحداث تغيير اساسي في اطار المجتمع . وبكلمات اخرى يحتاج الحل الى عمل جماعي منظم .

ولكن هذا العمل التوجيهي يجب الا يقتصر على تغيير اطار المجتمع بل يتعداه لمحاولة احداث تغيير في الافراد انفسهم ليتم الانسجام . وكنا قد قررنا ان النشاط الخاص للافراد يعتمد على نوعية الاطار الاجتماعي وان الفرد في نشاطه الخاص يكيف لنوعية الاوضاع العامة الراهنة ، ولكن ذلك يجب الا يستنتج منه بان مجرد تغيير الاطار الاجتماعي والمؤسسات سيبدأ عملية تفاعل جديدة بين الفرد والاطار يتكيف بها الفرد للاوضاع الجديدة وبذلك يصلح سلوكه وتفكيره بشكل طبيعي هادىء . فالمحافظة على التغيير في الاطار الاجتماعي تعتمد على مدى النجاح في تغيير النشاط الخاص للافراد . وهذه مهمة واجهت الكثير من التغييرات السياسية الكبرى في التاريخ ، اذ لوحظ ان نجاحها في المرحلة الاولى يعقبه عادة دور صراع مع التخلف الداخلي تبدأ به العقلية الرجعية ورواسب الفساد في الافراد بالارتداد على الوضع الجديد كما هو واقع الان فعلا ازاء الاتجاه القومي المتحرر في الوطن العربي . وقد ادى هذا الميل للردة الى فشل بعض الثورات التي لم يستطع القائمون بها رؤية المدى الحقيقي للتغير الذي يجب ان يقوموا به عندما قصروه على احداث التغيير في الاطار فقط اي مجرد تمهيد الطريق . وقد مثل هذا الاتجاه في الثورة في مصر محمد نجيب ، وعارضه عبد الناصر . فالذي يقرأ « فلسفة الثورة » يرى ان الفكرة الاساسية فيه هي التأكيد على ضرورة توسيع اهداف الثورة لابعد من قضية تمهيد الطريق وازالة العقبات امام الشعب ازاء اكتشاف حقيقة ابعاد المشكلة وطبيعتها .

اذن فقضية النهضة لا تنحصر في تغيير الاطار الاجتماعي وحده بل تتعداه لمفهوم اعمق يتضمن تربية مستمرة شاملة للشعب تستهدف اقتلاع الرواسب والانحرافات في التفكير والسلوك ، وتنمية شخصية جديدة للفرد . ويبرز في هذا المجال دور التعليم الرئيسي في عملية التطور . كذلك توضح هذه النقطة ان دور الدولة ليس سلبيا ينحصر في تهيئة جو ملائم صديق للنشاط الفردي كما يقول آدم سمث بل هو ايجابي يساعد النهضة عن طريق تغيير النشاط الفردي نفسه . هذا هو الاساس الفكري للمفهوم الاشتراكي للدولة ، ويمثله في الوطن العربي اليوم تجربة الجمهورية العربية المتحدة الان . فقيامها يمثل نشاطا توجيهيا حقق تغيرا جذريا في الاطار العام في القطرين سوريا ومصر . ولكن هذا التغير لا يمكن المحافظة عليه وتثبيته والارتقاء منه لما هو اوسع واكثر الا اذا اخذت الجمهورية اتجاها انقلابيا وركزت جهودها على تحقيق تغير عميق في اوضاع الشعب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتبديل في شخصية الفرد ذاتها لتجعل نشاطه الخاص منسجمامع الصالح العام . ولتحقيق ذلك لا مناص من الاسلوب الثوري والمرحلة الانتقالية . اما اذا اقتصرت على التغيير في الاطار العام واهملت التناقض الموجود بين النشاط الخاص للفرد واطار المجتمع فهناك خطر تحرك الفسادالداخلي وارتداده عليها. وقد حققت القومية العربية الجمهورية بنظرتها الانقلابية لقضية النهضة ولا سبيل للمحافظة عليها وتثبيتها وجعلها متقدمة متطورة الا بالاستمرار بهذه النظرة .

وبنفس المنطق نتوصل لملاحظة مهمة على وضع بعض اجزاء الوطن العربي خارج الجمهورية . لا يزال الاطار الاجتماعي العام متخلفا في هذه الاجزاء . ويتفاوت التخلف من بعضها للاخر فهو في بعضها اخذ في التركز بينما هو في دور الاضمحلال في البعض الاخر . الاقطار التي يسير التخلفبها الىالتمركز معرضةلخطر يجب الالتفاتاليه يكمن في تكييف الفرد التدريجي له . فالفرد الذي يعيش ضمن اطار اجتماعي متخلف منقاد بسلوكه الخاص للتفاعل معه والانسجام مع نوعيته . ويؤدي ذلك بدوره لعرقلة النهضة في ذلك القطر وبالتالي في الاقطار الاخرى لما بينها من ترابط عضوي . وتوضح تطورات السياسة العربية في الخمس سنوات الاخيرة ذلك بكثير من الجلاء . ان ذلك لا يعني تغير مجرى التطور الحتمي وابعاد النهضة نهائيا عن ذلك القطر لان ذلك متناقض مع حقيقة الكون . ولكن هذا التفاعل يجب الا يؤخذ بشكل مبسط سطحي ، فالنهضة ليست عملية هادئة المجرى تسير حسب خطة حتمية بكل تفاصيلها . ان وراء النهضة العربية الحاضرة ارادة الحق في التاريخ ولكن تنبه هذه الارادة لا يجري بشكل ميكانيكي رياضي رتيب مستقل عن الظروف ، بل عملية بشرية يلعب الاختيار والتصميم والتنظيم دورا مهما بها ، وهي مرتبطة بالظروف باخذ ورد وجذب ودفع . ان النهضة التي تكون قواها مشتتة وغيرها خاضعة لجهاز تنظيمي ينسقها ويعتصر كل ما بها من طاقة والتي لا تتخذ دورا ايجابيا في اكتشاف وتطوير قوى جديدة في حين ان الواقع الفاسد الذي تريد التغلبعليهمتكلس متماسك القوىودائب على تطوير قوى واوضاع تساعده على البقاء ومصمم على الدفاع بل الهجوم ومصر على الانتصار ، ان نهضة هذه خصائصها قد لا تستطيع تحقيق اهدافها في الوقت المناسب ، اذ للزمن اهمية لا يمكن اغفالها . ولعل احسن من عبر عناهمية عامل الزمن هو كينز بقوله المعروف« في الامد الطويل سنكون كلنا امواتا . » ان الاطمئنان لحدوث النهضة ذات يوم من المستقبل في هذه الاجزاء من الوطن العبي لا يعني شيئا اذا لم يكن لذلك المستقبل حدود وارتباط بالحاجات . والخلاصة هي ان تكاثف الفساد وازدياد التخلف في بعض اجزاء الوطن العربي خارج الجمهورية قد يسبب تأجيل النهضة الشاملة وان لهذا التأجيل اهمية لا يمكن اغفالها . ان ازدياد التخلف ليس فيه بكاته ما يجعل النهضة كما يقول البعض بشكل سطحي بل على العكس تماما . والجمهورية العربية المتحدة مدعوة لاخذ ذلك بعين الاعتبار في رسم سياستها العامة . عليها ان تواجه خطر تحرك وارتداد التخلف والفساد والرجعية في بعض اجزاء الوطن العربي الاخرى (١) .

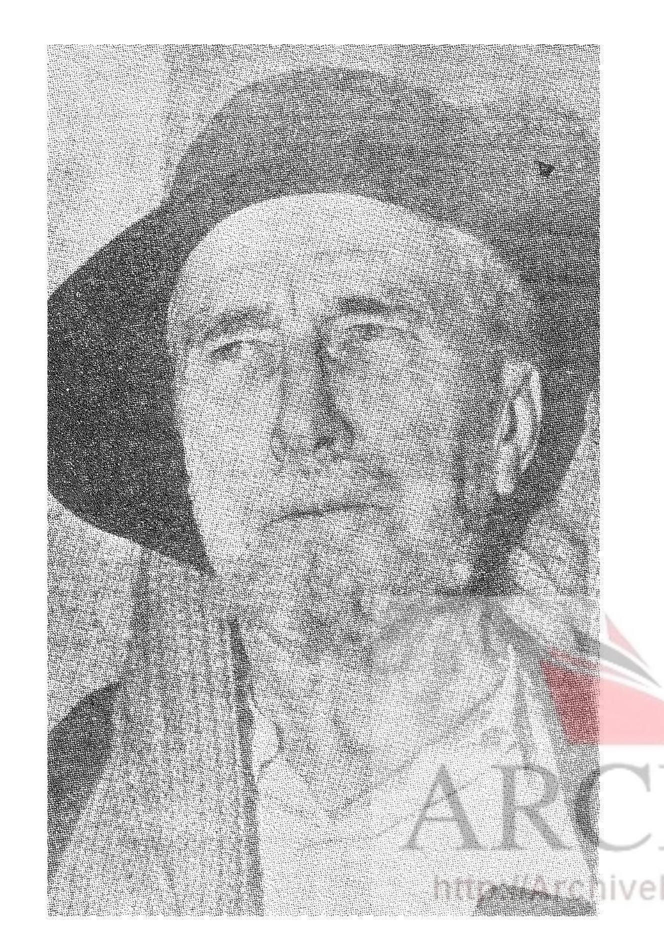
سعدون حمادي
كلية الزراعة – بغداد

---

(١) يود الكاتب تقديم الشكر للاخوان الذين ناقشوا هذه المقالة قبل نشرها وساعدوا بما قدموه من ملاحظات على تقويم بعض جوانبها .

الولايات المتحدة

قضية ازرا باوند



ازرا باوند

قضى الشاعر الاميركي الكبير ازرا باوند Ezra Pound ، اثنتي عشرة سنة محجورا عليه في مصح لعلم النفس بمدينة واشنطن .

وحين اطلق سراحه في الشهر الماضي ، وهو يبلغ الآن الثانية والسبعين من عمره ، غادر وطنه الولايات المتحدة وركب البحر الى مدينة نابولي . وحين وصلها ونزل الى البر رفع يده بالتحية الفاشستية .. ولعله لم يكن يعلم ان ايطاليا التي غادرها عام ١٩٤٥ قد غيرت عهدها .. وقد قذف في وجه الصحفيين الايطاليين الذين احاطوا به قوله : « ان مجموع الولايات المتحدة يشكل بيتا للمجانين ! »

واذ يعود ازرا باوند الى ايطاليا ، فانما هو يعود الى الارض التي اختارها للاقامة منذ عام ١٩٢٤ ، بعد ان قضى عدة سنوات في لندن ، ومثلها في باريس . وهو قد هجر بلاده منذ بلغ سن الرشد .

ويعتبر ازرا باوند ، في العالم كله ، احد كبار شعراء الدنيا الاحياء ، احد هؤلاء الذين وجدوا « رعشة » جديدة ، وقد قال همنغواي :

« ان كاتبا ولد حوالي عام ١٩٠٠ ولم يتأثر بازرا باوند يستحق شفقتنا اكثر مما يستحق ازدراءنا ! »

واضاف ت.س اليوت الحائز على جائزة نوبل للآداب قوله :

« ليس بين معاصرينا من يحسن الكتابة مثل باوند . وقليلون هم شعراؤنا المعاصرون الذين يستطيعون ان يقولوا ان آثارهم كانت تكون هي نفسها لو لم يعش باوند . »

ولكن ما الذي يؤخذ عليه في الولايات المتحدة ؟

ان اعجابه بالفاشستية وبموسوليني امر معروف . ولكن ما لا يغتفر له خطبه الدعاوية التي كان يطلقها في اثناء الحرب من الراديو الايطالي والتي اتخذ فيها موقفا حاسما ضد الحلفاء . وكان قد قال في احدى هذه الخطب : « ان روزفلت مجرم ، منحل عقليا ، وقد دفع بلاده الى حرب غير مشروعة . »

وكانت قد اقيمت عليه دعوى بتهمة الخيانة العظمى منذ عام ١٩٤٣ . وفي عام ١٩٤٥ سلم باوند نفسه الى الجيوش الاميركية التي كانت تتقدم في ايطاليا ،فاعتقل في سجن بالقرب من « بيز » . وهناك كتب مؤلفه الاخير : « الاغنية البيزية » ، وفيها يقول :

« ليس هناك رجل واحد عاش شهرا في زنزانة للمحكوم عليهم بالاعدام لا يؤمن بعد بالعقاب الاعظم .

« ليس هناك رجل واحد عاش شهرا في زنزانة للمحكوم عليهم بالاعدام لا يؤمن بعد بالاقفاص المخصصة للوحوش البرية ! »

ونقل باوند الى الولايات المتحدة لمحاكمته ، ولكن المحاكمة لم تتم قط . لان الاميركيين كانوا يتلكأون ويتزعجون ولا يفهمون ما دخل رجل « مفكر » بالسياسة . وقد كان « التعاون » في نظرهم ظاهرة اوروبية وفرها عليهم وضعهم الجغرافي .. ومن اجل هذا اعلنوا ان باوند كان مجنونا ، غير مسؤول عن اعماله ، وهكذا حجر عليه في مستشفى للمجاذيب !

ولكن قضية باوند لم تنته عند هذا الحد . ففي عام ١٩٤٨ ، منحت لجنة محكمة مؤلفة من اكبر شعراء اميركا جائزة «بولنجن» الى ازرا باوند . وكانت الفضيحة عظيمة ، اذ ان هذه الجائزة كانت برعاية الكونغرس الاميركي ... وهذا يعني ان الكونغرس يكافيء رجلا معتقلا ومتهما بالخيانة العظمى . وحاول بعض الكتاب المشهورين بعدائهم للفاشستية (ومنهم همنغواي نفسه) حاولوا عبثا ان يبرروا اختيار اللجنة المحكمة .. فقد عدل الكونغرس عن منح باوند الجائزة وحولها الى هيئة ادبية خاصة .

ولو ان ازرا باوند كان يعيش شاعرا في برج عاجي ، لكان من السهل العفو عنه . ولكنه منذ اغانيه الاولى Cantos (وقد كتب منها حتى اليوم خمسا وستين وينوي ان يتمها الى ١١٥) اتخذ موقفا سياسيا واضحا في الصراع السياسي ، والاصح ان يقال : الصراع الاقتصادي . فهو لم يكن ينى عن مهاجمة النظام المصرفي ويشجب بعنف حق تثمير المال عن طريق اخذ « الفائدة » . ويرى باوند ان جميع الآم العالم الحديث

تنبثق من « التثمير » وهي كلمة يكتبها بالحرف الكبير في جميع قصائده. وهو يعتقد بان العالم لا تحكمه الرأسمالية وانما يحكمه «التثمير» وقد كتب في « الاغنية » الخامسة والاربعين :

« التثمير .. انه الاثم الذي ينافي الطبيعة

« ويجعل الخبز الجاف كالورق .. »

وقد قاده هذا المفهوم البسيط للاقتصاد السياسي الى الفاشستية والى نزعة محاربة السامية . وله بضع اغان يهاجم فيها اليهودية وليون بلوم شخصيا .

على ان باوند كان يعبر عن هذا المضمون الهزيل بلغة رائعة معجزة . وقد اغتذى بالثقافة الغربية والشرقية عبر التاريخ الطويل ، فملأ قصائده بنصوص مقتبسة من حكماء الصين والعهود القديمة ، يتخلل ذلك مقاطع باللغات الاجنبية . من ذلك ان « اغاني بيز » مكتوبة باحدى عشرة لغة ..

وفي الوقت الذي كان باوند يكتشف فيه اراضي جديدة للشعر كان يهتم اهتماما بالغا بجميع الذين كانوا يلتمسون مثله دروبا جديدة . وقد اعان كثيرا من الكتاب والشعراء المعروفين امثال جويس وهمنغواي ورابندرات تاغور ووليم بتلرييتس وسواهم .

والذي يثير العجب هو : كيف استطاع هذا الرجل الذي كان يبحث لفنه عن كل ما هو جديد ومبتكر ان يكتفي ، في الميدان السياسي ، باخطر الحلول والنظريات واشدها فسادا ورجعية ؟

وليست قضية ازرا باوند فريدة . فهناك عدد من شعراء الطليعة، مثل غوتريد بن Benn الذي كان نازيا لفترة من الزمن ، خلطوا الفن بالسياسة، فنقلوا الى ميدان غريب عنهم معطيات فنهم، ولاسيما هذه « اللاعقلانية » التي تشكل عظمة شعرهم . وحين طبقوا هذه المعطيات تطبيقا صوريا على مسائل السياسة ، سقطوا في اقبح انواع الرجعية .

هذا ، ولم يعترض المدعي العام ، منذ شهرين ، على اخلاء سبيل ازرا باوند ، لانه كان يعلم ان القضية ليست قضية مجنون « عادي » ، بل هي قضية « مجنون عبقري »

وقد استقبل ازرا باوند امر اخلاء سبيله بعبارة بسيطة جدا :

« انا على يقين من انه كان في هذه البلاد ، خارج جدران المستشفى، ١٦٠ مليون حالة جنون اخطر من الحالات الموجودة داخل المستشفى ! »

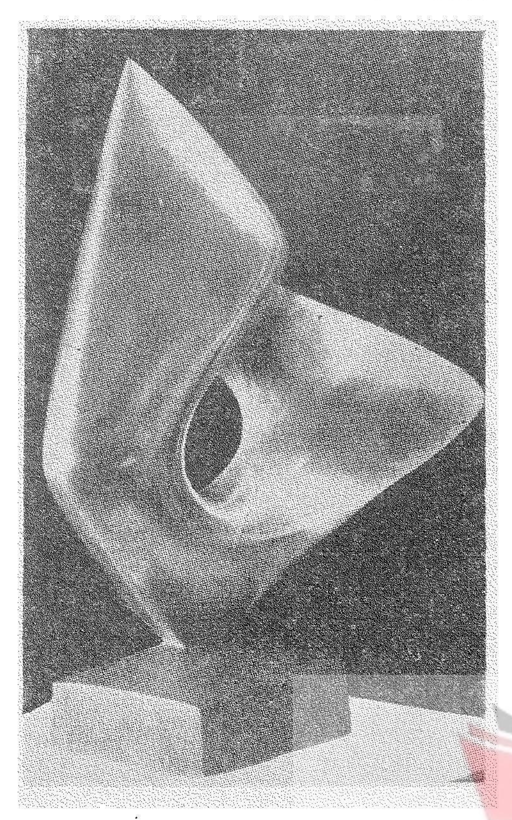


فرنسا

معارض هامة

لمراسل «الآداب» الخاص

يشترك في العرض بصالون واحد (صالون سانت اوغست) بباريس فنانان : رسام ، ونحات . اما الرسام « جيلين Gillen» فهو كما يلوح من الرسامين المجردين بالشكل والالوان . ولديه يصبح اللون جملة من الاشكال الهندسية والالوان البدائية الا ان من الواضح ان بحثه يظل في نطاق (التجريد الزخرفي) . وعوالمه لم تتعد باية حال من الاحوال عوالم (لانسكوى) او (بولياكوف) ولكن بصورة اقل اصالة .



(وركولبير) برونز : (٣٠×٧٠×٢٥)

واما النحات (لوسيان وركوليير Lucien Wercollier) فمن (لوكسمبورغ) وبعد دراسة في اكاديمية الفنون في بروكسل ومعهد الفنون الجميلة في باريس - وبعد اشتراك مستمر في معارض كوسمبورغ بروكسل ، ليون ، ساوباولو ، يحقق اول معارضه الشخصية في باريس .

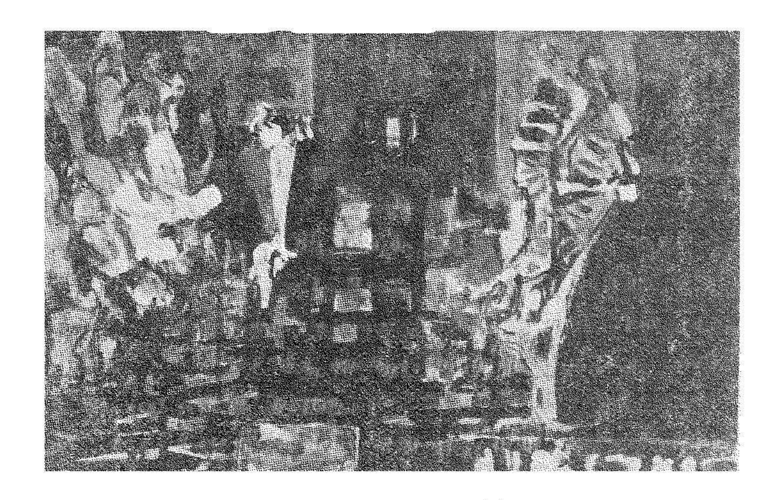
والواقع انه على الرغم من كونه من نفس موطن قرينه الرسام الا انه اكثر اصالة . وفي نحوته تلون روحية شاعرية متطوره عن (برنكوس) ومشابهه لروحيه (فياني : الرسام الايطالي) ، وسواء كان البرونز او الخشب او الجبس مادة صنعه الا انه سيوحى لنا خلال ذلك بانطباع متموج انيق - وبحركة ناعمة وغير ثائره خلال النطاق المجرد .

ويفتتح صالون بيير وهو من خيرة صالونات حارة (الشارع السين) الفنية موسمه بمعرض الرسام غاربيل .

والصالون المذكور يختص بمعارض الرسامين المجردين على غرار : (فييرادي سلفا) ومن امثال (بول كالو) و (لايوجاد) وتمتاز الرسوم المعروضة بكونها تمثل احد التيارات المعاصرة في الفن المجرد وهي التي تعتمد على خلق حركة عفوية بواسطة لعب الالوان والبقع اللونية ولا شك ان تأثيرات الفن الانطباعي يظهر من جديد خلال الفن المجرد هنا جنبا الى جنب ازاء النزعة اللاشكلية Non-figurative التي يعالجها الفن المجرد في هذه الاونة .

معرض الرسام المكسيكي تمايو

تعتمد شهرة الرسام « تمايو » في ميدان الرسم على كونه من اساطين (المدرسة المكسيكية الحديثة) وعلى انه من القلائل الذين حققوا وحدة



غاربيل (لحوم) ١٩٥٨ مقياس ٢٨٠ × ١٧٥

الفن المحلي العالمي ، والاقليمي بما هو اممي . ذلك انه لا يقتصر في بحثه على انماء (المدرسة التعبيرية) التي يكرس لها نفسه فحسب بل يوسعها في مجالات عديدة (سوريالية ـ تكعيبية) مضفيا عليها (بدائية) الفن المكسيكي القديم و (سحره) .

ومع ذلك فانه يعتبر ايضا من رواد مدرسة باريس الى جانب (ماتيس) و (بيكاسو) و (روو)

ولد هذا الرسام عام ١٨٩٩ في مدينة كاكساوا وبعد يتمه في سنه الثامنة شمله اقاربه فتسنى له ان يدرس في اكاديمية الفنون الجميلة في (سان كارلو) وما ان كان عام ١٩١٨ حتى انهى الرسام دراسته الاكاديمية متجها نحو البحث الحديث فتعرف اول الامر على الانطباعية ، فالتكعيبية وما بين ١٩٢١ ـ ١٩٢٥ تمكن من ان يحقق اول معرض شخصي . كما كان يمتهن التدريس اثناء ذلك في عدة مدارس للرسم في بلاده . اما من حيث اتجاهه الفني فقد اتجه انئذ نحو المدرسة التعبيرية وبعد رحلة دامت سنتين الى مدينة (نيويورك) ، عاد ثانية الى بلاده حيث تم تعيينه استاذا للرسم في (معهد الفنون الجميلة في مكسيكو)

وثمة ناحية اخرى تتجلى فيها اهمية (تمايو) ذلك انه كغيره من اساتذة الفن المكسيكي (ريفيرا ، اوركو ، ميزا الخ ..) مارس فن (الفريسك) وابدع في نقل اياته الفنية من مجال اللوحة الى الجدار ، ومن محيط المعرض والصالون الى المباني العامة والميادين . ففي عام ١٩٣٣ رسم اول رسومه الجدارية (للمعهد الموسيقي في مكسيكو) مبلورا خلالها الحياة في بلاده ، الناس والطبيعة والزهور والارض .

ومع ذلك فانه لم يلبث ان غادر بلاده موسعا بحوثه وافقه ـ وبعد اقامة قلقة في الولايات المتحدة ـ مدرسا في (مدرسة والتون) ثم مدرسا في مدرسة (بروكلن) ، ومنجزا عدة رسوم جدارية Fresque غادرها الى اوروبا . ففي عام ١٩٤٩ اشترك لاول مرة في المهرجان الفني في فينيس وبعد ذلك بعام انجز اول معارضه الفنية في باريس .

وفي باريس بدأت مرحلة جديدة من مراحل حياته الفنية . ذلك ان (تمايو) هنا سيهضم بجلاء جميع التراث الفني الاوروبي الذي يعتبر باريس (بؤرته) . وسيجلو شخصيته بذلك نهائيا . ومنذ عام ١٩٥٠ فتحت له ابواب المعارض ـ معرض في صالون الفنون الجميلة في باريس معرض في قصر الفنون في بروكسل كما كتب عنه مشاهير المؤرخين والنقاد (جان كاسو ، اندريه بريتون رايموند كونيا) .

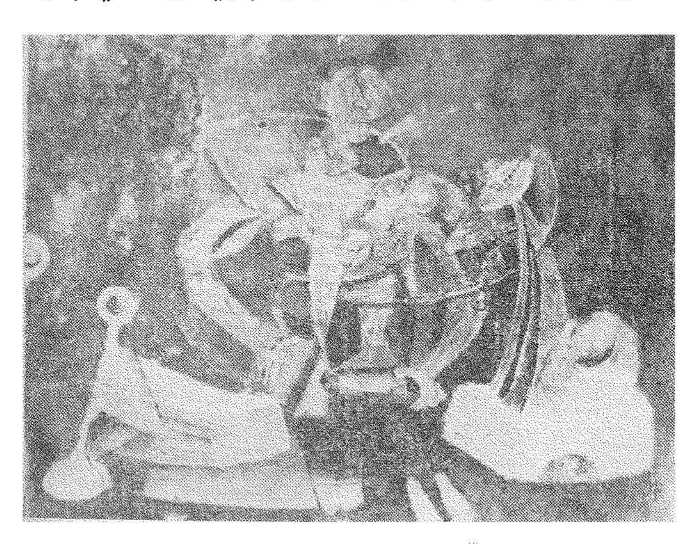
ولم يمض على اقامته باوروبا عام واحد حتى رسم رسوما جدارية اخرى (لمعرض الفن المكسيكي في اوروبا) و (القصر الوطني للفنون الجميلة في مكسيكو) ، كما نال ايضا جائزة بتسبورغ العالمية في (الولايات المتحدة) وفي عام ١٩٥٣ اقتسم الجائزة الاولى للرسم مع الرسام الفرنسي مانيسيه ، في المعرض العالمي في (ساوباولو) في البرازيل . كما رسم رسوما جداريه في (متحف الفنون الجميلة في دالاس) .

وهكذا ـ فان معرضه الذي يستمر الان في « صالون فرنسا » بباريس ـ له دلالته واهميته على انه اخر ما تطور له هذا الرسام الفذ ، وعلى انه حلقة وصل جديدة للفنين الاوروبي والمكسيكي .

وفي الفترة التي تسنى لي فيها ان ازور المعرض كان ما يدهشني ويشوقني حقا هي جدة البحث وطرافته . ففي بضعة الوان ، يبني لنا الرسام عالما شاملا وفي بضعة اشخاص ينقلنا من نطاق (المحدد) الى ما هو (كوني) .

ان تمايو على الرغم من كونه رساما شكليا الا انه بمجهود رائع سيوحي لنا بما هو (مجرد) دون ان يلجأ مع ذلك الى وسائل اساسية صرفة (كان يستغني عن التمثيل Representation) ذلك ان بحثه يظل بحثا شكليا Figurative

وفي لوحتــه (اولغا ـ صورة شخصية دينامية) سيمثل لنا الرسام شخصا ما ببضعة اشكال وخطوط مؤثرة موحيا بنمو الشكل وتطوره ـ انه في حركة مستمرة على الرغم من ثباته على سطح الارض . وحينما سيلعب اللونان الاسود والقرمزي دورهما في تبسيط



تمايو : صورة شخصية دينامية ٩٧ × ١٣٠

النشاط الثقافي في الغرب

الرؤيا وحينما يلعب التشكيل دوره في خلق التسامي (باروك) - سيتحد بحق كل من الشكل والارضية لانماء التعبير عن نزعة متمردة للخلاص من قيود غير منظوره - وفي لوحته الاخرى المسماة Vinelite ولوحات اخرى ، تقتصر على مواضيع فضائيه اجرام سماوية ، نيران ملتهبة الخ ..) سنجد ان بحث الرسام يتحول باستمرار - مع بقائه في نطاق المدرسة التعبيرية - من وصف الكائنات الارضية ومحيطها الى وصف كائنات تحاول التحرر من نطاق الارض .

وفاة الرسام روو

توفي اخيرا في باريس الرسام روو Roual وقد ولد عام ١٨٧١ في باريس عن ابوين فرنسيين واثناء الحرب السبعينية التي كانت تدور ما بين فرنسا والمانيا . وفي عام ١٨٨٥ انتمى الى معهد الفن الزخرفي وفي عام ١٨٩١ انتمى الى معهد الفنون الجميلة بباريس وتتلمذ على ايلي دياوني ثم على جوستاف مورو متأثرا باسلوبه الفني ،

وقد تعرف روو اثناء دراسته بالرسام (ماتيس) وهو زعيم جماعة الفن الوحشي. كما تعرف بالرسامين (ماركيه) و (ليون لبمان) و (سيمون بوس) و (مانجان) و (بيوت) .

وفي عام ١٨٩٥ انهى دراسته في معهد الفنون الجميلة بمحض ارادته بعد فشله مرتين في مسابقة روما كما عين بعدئذ مديرا لمتحف مورو استاذه المتوفي . وفي عام ١٩٠٣ عرض روو لاول مرة في (صالون الخريف) وفيالسنة التالية قدم للمعرض المذكور ثماني لوحات زيتية واثنتين وثلاثين لوحة بالالوان الباستيل والاكواريل . ومنذ عام ١٩٠٦ بدأ بدراسة فن الخزف (سيراميك) بارشاد الاستاذ ميتيه

ولكن عام ١٩١٠ كان مهما في حياته اذ حقق خلاله اول معرض شخصي له في صالون « درويه » وفي السنوات التالية بدأ بانجاز مؤلفاته الشهيرة التي ضمت مجموعة (الحرب) و (البؤساء) و (اللوعة) و (مناظر اسطورية) و (ذكريات حبيبة) و (مشاهد السركس) . كما انجز فيما بعد ديكورات باليه (الاولاد الضالين) من تاليف دياليف وموسيقى (بروكوفييف) وفي عام ١٩٣٧ انجز تصاميم بعض (السجاد) لمدام كتولي .

وكان عام ١٩٤٨ شاذا بالنسبة لروو . ذلك انه في غضونه احرق في نوبة ما ٣٥٠ لوحة من لوحاته وذلك اثر مشادة بينه وبين احد معارفه. كما انجز ايضا لوحات كنائسية لكنيسة (داسى) . ثم كانت وفاته بعد عشر سنوات .

ان اهمية هذا الرسام في (مدرسة باريس) و (الفن الحديث) تتاتى من كونه احد اساطين الفن التصويري في النصف الاول من القرن العشرين .. وهو بالاضافة الى كونه في رعيل (بيكاسو) و (ماتيس). الا انه يعتبر الوريث الفرنسي الوحيد للتراث التعبيري . ولقد اثارت وفاته ضجة فنية وثقافية لا زال صداها ماثلا خلال المقالات والمؤلفات التي تتناوله .

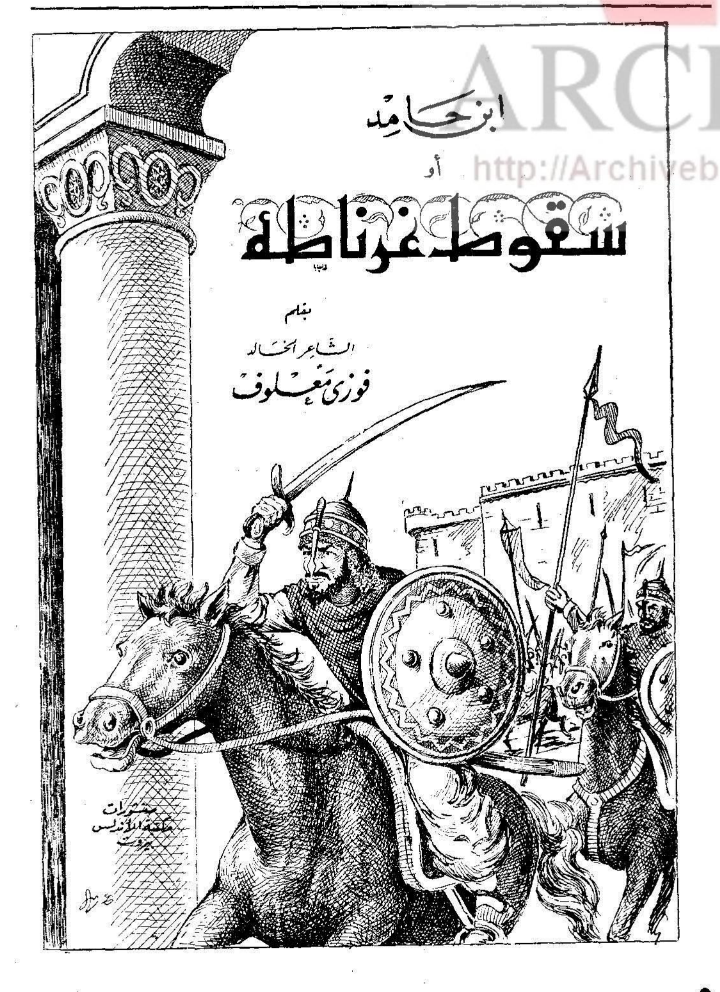
وفيما يلي بعض الاراء المنشورة في الصحف بمناسبة وفاته :

يرى الرسام جاك فيون انه (اي روو) من تلامذة جوستاف مورو المخلصين وانه من خيرة الرسامين الذين صوروا حياة البؤساء متخذا المسيح مثالا اعلى له . ويرى النحات جاليولي ان روو فنان عظيم وشاعر معبر . واما جرومير الرسام التكعيبي المعروف فيرى انه رسالم درامي عظيم كان يبلور الانسانية في رسومه .

ويقول عنه بينو : (انني لا اعرفه (معرفة اكيدة) ولكني قابلته مرة. وكان يتحدث بتواضع عن استاذه مورو . ويعتقد بالمسيح وبابطال السركس وبالرسم . ولقد احدث رحيله صدى كما كان حضوره حضورا عظيما لعالم الرسم) . في حين يقول عنه كورزو الرسام السوريالي المعاصر : (انه (اي روو) مرآة الانسان المعذب)

ان شهرة هذا الرسام اندلعت بشكل واسع النطاق منذ عام ١٩٣٧ وذلك باشتراكه في معرض عام للرسامين المعاصرين في قاعة (الجرائد باليه) وفي ١٩٤٥ انجز له اول معرض شامل في متحف الفن الحديث في نيويورك وتلاه معرض شامل آخر في (بروكسل) و (امستردام) واخيرا في (باريس) . ومن ثم فان اهميته تحدو ناقدا معاصرا لـ (بيير ديكاراج) لوصفه (بانه الرسام التعبيري الوحيد في فرنسا والوريث الوحيد للفن المتطور عن فان خوخ)

باريس ش. س.



الآلة المتمرّدة...

للقصاص الأمريكي أمبروز بيرس
ترجمة توفيق صرداوي

ـ هل انت متأكد ؟ هل تعتقد حقا ان باستطاعة الآلة ان تفكر ؟

لم أتلق اجابة فورية . ويظهر ان موكسون كان مشغولا بالتطلع الى قطع الفحم وهي تشتعل في الموقد ، وهو ينقلها بملقط صغير هنا وهناك ، حتى انطلقت باشارات متوهجة من الشرر ، كأنما هي تشير الى توهج احساسه. ومنذ اسابيع لاحظت انه قد نشأت لديه عادة اللامبالاة في اجابة الاخرين على اسئلتهم ، حتى ولو كانت هذه الاسئلة ـ بالنسبة اليه ـ من الخطورة بمكان . وقد ظهر في اخلاقه ما ينم عن ان لديه انشغالا فكريا ، لا يدعه يهتم بمن حوله . ويخيل للبعض ان عقله اصيب بمس من الشذوذ. وفجأة قال : « ما هي الآلة ؟ . لقد عرفت هذه الكلمة عدة تعاريف مختلفة. وان احد التعاريف المألوفة لدى الجميع هو : انها اي جهاز او منظم ، تطبق بواسطته القوة فتؤثر او ترغب في التأثير . حسنا . ثم اليس الانسان آلة ؟ . ستقول انه يفكر او يفكر انه يفكر . »

قلت بلهجة المتحنن : « اذا لم ترغب في الاجابة على سؤالي ، لماذا لم تقل ذلك منذ البدء ؟ ان كل ما تقوله يدل على التهرب . وانت تعلم جيدا انني حينما اقول « آلة » لا اعني بها الانسان . وانما هي مما يصنعه هذا الانسان ويدبره ».

واجاب ـ وهو يتطلع من خلال النافذة حيث لا يبدو شيء امامه في ليلة عاصفة شديدة السواد ـ « ومتى لم تكن الاله هي التي تدير شؤون الانسان ، بل وتديره هو » .

ومرت لحظات . ثم استدار ، وقد تعلقت على جانب ثغره ابتسامة صغيرة وقال : « عفوا . لا يوجد لدي فكرة عن التهرب من الاجابة . لقد اعتبرت التعريف القاموسي للانسان تعريفا ناقصا ، انه اقتراح . ويحتاج الى كثير من الشرح . واستطيع ان اجيبك اجابة مباشرة على سؤالك . اعتقد مؤكدا ان الآلة تفكر فيما تقوم به من العمل » .

حقا . ان هذا هو منتهى الصراحة والايجاز . ولم يكن هذا في حد ذاته مفرحا ، لانه يجعل موكسون يعيش في كآبة مطلقة من الشك والقلق، وهو يعكف بكليته على العمل والدراسة في مصنعه ، الشيء الذي يعتز به. وانا اعلم انه يعاني الارق . وهذه حالة محزنة . وقد سألت نفسي : هل تؤثر على عقله ؟ » وتصورت اجابته على سؤالي تؤكد ذلك . ربما كنت افكر تفكيرا مغايرا لتفكيره فقد كنت اصغر منه سنا ، وكنت في غمرة حماس الشباب وغروره ، وكنت مدفوعا بحافز المجادلة العنيدة .

وقد وجهت اليه قولي : « ارجوك ، وبماذا تفكر الآلة وهي بدون عقل ؟»

واتت الاجابة في وقت افل بطئا مما عودني . وقال متخذا موقف المستفهم المتسائل المفضل لديه دائما : « بماذا تفكر النبتة في غياب العقل ؟ آه .. النبات ايضا ينتمي الى طبقة الفلاسفة . كم ارغب في معرفة بعض ما يستنتجه الناس ، وقد يمحو كثيرا من الحقائق . » ثم اردف متظاهرا انه غير مهتم بتهكمي :

« ربما تفكر انباستطاعتك ان تصل الى عقول النبات ، بواسطة ما تقوم به من اعمال . وسأضرب لك المثل الشائع عن زهرة الميموسا الحساسة وهي اكثر الزهور حبا لدى الحشرات . تلك الزهور التي تلوي تويجاتها بحيث تنفض حبيبات اللقاح التأنيثية امام النحلة الداخلة لتزاوجها هذه مع حبيبات اللقاح التذكيرية البعيدة . ولكن لاحظ ما يلي : لقد غرست في بقعة من حديقتي نبتة كرمة متسلقة . وحينما كادت ان تصل في تسلقها الى السطح ، غرزت في التربه ، وعلى ياردة واحدة منها ، قضيبا من الحديد . فاحست به النبتة في الحال . وبينما كان من المقرر ان تصل الى السطح نهائيا خلال بضعة ايام ، ابعدت القضيب بضعة اقدام : وما كان من الكرمة الا ان غيرت اتجاهها في الحال ، مشكلة بذلك زاوية حادة مع سير اتجاهها الاول . وقد اعدت هذه العملية عدة مرات . واخيرا وجدت الكرمة تتجاهل كل ما اقوم به من المحاولات لتغيير اتجاهها ومنعها عن التسلق وتتجه الى شجرة بعيدة فتتسلقها » .

« ان جذور شجرة الكينا تتلاقح فيما بينها اثناء بحثها عن الرطوبة . وقد ذكر عالم نبات معروف ان شجرة دخلت احد مجاري المياه واتخذت وجهتها في الخط الذي يسير فيه . حتى انتهت الى حاجز حجري في المجرى فتركته الجذور والتصقت بالحائط حتى بلغت فتحة صغيرة من جراء سقوط احدى حجارة المجرىفزحفت في داخله متتبعة الجانب الاخر من حائط المجرى ودخلت الى الجزء غير المصقول وتابعت رحلتها . »

قلت : « وهل هذا كل ما في الامر ؟ » .

فاجاب : « وهل تستطيع نكران عظمة هذا العمل ؟ انه يدل دلالة قاطعة على وعي النبات»

قلت : « ولنفرض انه كذلك ، ثم ماذا ؟ لم نكن نتحدث عن النباتات ولكن عن الالات . ربما تكون بعض اجزائها من الخشب ، الخشب الذي ليس لديه من الحيوية والقدسية ما للمعادن .هل التفكير ينتمي ايضا الى مملكة المعادن ؟ »

قال : « ثم كيف تفسر ظاهرة التبلور ؟ »

اجبت : « لا افسرها ، ولا شأن لي بذلك »

قال : «السبب في ذلك هو انك لا تستطيع انكار ما هو ثابت عن التعاون الموفق بين عناصر المادة المتبلورة . فحينما يصطف الجنود في خط مستقيم ، او يشكلون مربعات فارغة تعتبر السبب في ذلك هو العقل. وحينما يطير سرب من الاوز الوحشي مشكلا الرقم « ٧ » تقول انها الفطرة وعندما تتحرك الذرات المعدنية المتماثلة ، عندما تتحرك بحرية تامة في المحلول ، منظمة نفسها في اشكال هندسية منوعة ، او عندما تتحول جزئيات البخار الى اشكال جميلة متشابهة مكونة بذلك اوراق الثلج المتساقطة ، فانك لا تستطيع تعليل ذلك . بل انك لا تستطيع ان تعطي لاعقلانيتك اية صفة . »

كان موكسون يتكلم بحرارة وشوق غير عاديين . وبينما هو في جلسته تلك ، سمعت في غرفة مجاورة ـ اعرف انها غرفة الالات وكما اعلم من المحظور على غير موكسون ان يلج اليها ـ صوتا كأنما هو ناتج عن ضربة يد مفتوحة على سطح منضدة .وكان موكسون قد سمعه معي في الوقتنفسه.

وفي مثل لمح البصر ولج الى حيث الصوت، واعتقدت انه من المستحيل ان يكون في الغرفة اي انسان اخر لثقتي التامة في حرص صديقي على ان لا يدخلها احد . ان شعوري بالغرابة لهذا الحدث قادني الى الاصغاء بانتباه ، رغم انني لم اجرؤ على التطلع من كوة المفتاح . كانت هناك اصوات مختلطة ، كانما هي صراع او منازعة ، وقد اخذت ارض الغرفة تهتز ، وسمعت بوضوح حشرجة وهمسا مزعجا يقول « لعنة الله عليك » ثم سكن كل شيء وفجأة رجع موكسون وقال وهو يبتسم باسف :

« ارجو المعذرة ، اذا فاجأتك بما لم تتوقعه . ان آلة في الغرفة المجاورة قد فقدت مزاجها وتمردت . ثم تحطمت . »

قلت وقد ركزت نظري على خده الايسر حيث كانت تترافص اربعة شرايين متوازية تشف عن الدم وهو يسرى خلالها ـ: «كيف يكون باستطاعة هذه الآلة وحدها ان تنظم عملها » ؟

كنت استطيع ان اوفر على نفسي مثل هذا السؤال . ولكن موكسون لم يلتفت الي . وعاد فجلس على الكرسي نفسه الذي كان يجلس عليه قبل قليل . واستأنف الحوار المنقطع . كأنما لم يحدث شيء :

« وبالتأكيد فانت لا تتفق مع هؤلاء ـ ولست بحاجة الى تسميتهم وخاصة لرجل له ثقافتك ـ الذين تعلموا ان المادة حساسة . وان كل ذرة تعيش وتحيا وتشعر او انها من ذوات الضمائر ولكنني اؤمن بهذا كل الايمان . لا يوجد شيء في الكون ميتا . مادة جامدة .. ان كل شيء حي . كلها مزود بالقوة : المتحركة منها والساكنة ، وكلها حساس ، بالقوة التي هي في محيط احساسه ، ومتأثر بالاسباب العليا بالنسبة له والمتمثلة في المواد التي تتفوق عليها ، اذا قورنت معها بعلاقة ما . كالانسان الذي يكيفها الى آلة تخضع لارادته . وهي في نفس الوقت تسيطر على البعض من ذكائه وارادته . ومعظم هذه المواد متناسبة مع التعقيد للآلة الناتجة وعملها . هل سمعت بتعريف هربرت سبنسر للحياة ؟ لقد قرأته انا قبل ثلاثين عاما . واعلم انه ربما غيره في الايام الاخيرة لسبب ما . ولكن في ذلك الوقت لم اكن استطيع التفكير في تغيير كلمة واحدة منه ، او حذفها او اضافتها . وظهر لي ذلك التعريف ، انه ليس افضل تعريف فحسب بل هو التعريف الذي لا يمكن ان يوجدسواه)».

« الحياة ـ : قال هربرت سبنسر : هي اتحاد متوافق بين مختلف الاشياء المتغايرة منها والمتشابهة ، والمتناظرة وغير المتناظرة ، في وجودها الداخلي والخارجي » .

قلت : « ذلك هو ما يعطي الصورة الظاهرية للحياة . ولكنه لا يعطي اي لمحة عن السبب »

قال : « ذلك هو ما يستطيع اي تعريف ان يحدده وكما اشار اليه « جون ستيوارت مل » نحن لا نعرف لاي سبب كان ذلك . وانما كان عرضا ، مجرد عرض . ليس من مؤثر سوى التناغم والتجاوب وبالنسبة لظاهرة معينة . لا يمكن حدوث شيء دون شيء اخر غير مشابهله: والاول بالنسبة للزمن يقال انه السبب . والثاني المؤثر فالشخص الذي اعتاد لعدة مرات ان يشاهد مطاردة كلب لارنب ، ولم يشاهد في حياته ارنبا يطارد كلبا ، يعتقد ان الارنب كان السبب في وجود الكلب » . واضاف قائلا وهو يضحك ضحكة هادئة : ولكني اخشى ان يقودني ارنبي بعيدا عن كلبي المشروع لي . فانا احب الصيد من اجل الصيد . والذي اريد منك ان تلاحظه هو ان نشاط الآلة في تعريف سبنسر للحياة ضمني ولا يوجد في التعريف ما ينفي ذلك ، وبالنسبة لدقيقي الملاحظة والمتعمقين في الفكر ، اذا كان الرجل .. الانسان .. اثناء قيامه بعمله يعتبر حيا ،

فالآلة كذلك وانا كمخترع للالات اعتقد ان هذا هو الحقيقة . »

كان موكسون صامتا لمدة طويلة ، يحملق في النار التي امامه ، وكان الوقت متأخرا . وفكرت ان وقت العودة قد حان . وعلى كل فانا لا اود ان اتركه في ذلك البيت المنعزل ،وحيدا ، وليس معه سوى بعض الناس من صنع يده . وليس من الوداد في شيء ان اتركه وهو على حالته تلك . فربما كان عملي هذا شيطانيا . وقد انحنيت عليه، ونظرت الى عينيه بشوق حاد وبينما كنت اضع يدي على مقبض الباب قلت : « من عندك هناك يا موكسون ؟ »

واشرت الى غرفة الالات ـ واخذتني الدهشة حينما ابتسم ابتسامة طبيعية جدا واجاب بغير تردد : « لا احد ، ان الحادث الذي لا تزال تحفظه في دماغك ، كان متسببا عن غباوتي في تركي آلة تعمل على الفارغ بينما كنت انا منهمكا في القاء الضوء على عقالك ومحاولة افهامك ! الا تعلم ان الوعي يخلق النغم والصدى ، الايقاع ؟ »

قلت : ـ وقد حملت معطفي ووضعته على كتفي : « أه .. لقد ازعجتك! انا ذاهب . ليلتك سعيدة ، وآمل ان تكون الآلة التي اهملتها في العمل ستلبس في المرة القادمة قفازيها فلا تخطيء او تتمرد ، حتى لا تحتاج في المرة القادمة الى ايقافها بنفسك »

وبدون ان اتريث لارى اثر هذه القذيفة ، اندفعت خارج البيت .

كان الظلام كثيفا والمطر يتساقط بغزارة . وعند حافة السماء ، هناك خلف القمة التي كنت اتخذ طريقي اليها ، حذرا وعلى جانب الممر الضيق، عبر الظلام الدامس والشوارع غير المعبدة كنت ارى امامي بصعوبة اضواء المدينة الخافتة المتراقصة . ولم يكن واضحا خلفي سوى بصيص ضئيل ينفذ من خلال نافذة بيت موكسون ، كان يهتز بصورة خيل الي انها تحمل معنى الموت . وعلمت انها كانت نافذة عارية من ستارتها ، في مصنع صديقي موكسون . وكنت اشك فيما اذا كان لا يزال قابعا على كرسيه يتابع دراسته المتقطعة . اذ عليه ان يقوم بين الفينة والاخرى بواجب القاء الاوامر والارشادات على الآلة .وفجأة ، وفي غمرة من القلق عنيفةوكما وضح لي من ايمانه الراسخ بالالة في ذلك الوقت ، لم استطع ان اتخلص من شعوري الحاد بان تلك الالة لا بد وأن تكون على علاقة وثيقة بمأساة مريعة في حياته واخلاقه . وربما بنهايته . ومع ذلك فلم استطع ان اتحمل فكرة ان هذه الالة تحمل له افكارا فظيعة ومميتة . ومهما كان التفكير في نظرته اليها فان تعلقه بها كان منطقيا واخاذا جدا. وقليلا قليلا تسللت الى ذاكرتي : « الوعي هو ما يخلقه التناغم والتجاوب » . وبقدر ما كانت عبارته جريئة وموجزة ، وجدتها ساحرة ومقنعة . وفي كل لحظة تتسع معنى وتزداد عمقا في الاقناع . لماذا ؟ هنا ـ فكرت ـ منطق تبنى عليه اسس فلسفة رائعة اذا كان الوعي مخلوقا للصدى والنغم ، فان كل شيء هو وعي قائم ، لان كل شيء يتحرك ، وكل حركة هي نغم وايقاع . وانني لفي شك مما اذا كان موكسون قد عرف عظمة فكرته وشمولها او انه قد توصل الى ايمانه الفلسفي هذا عن طريق الملاحظة العقلية المتشعبة !؟

ان هذا الايمان تجديد بالنسبة لي . فكل محاولات موكسون لاقناعي قد فشلت . ولكن بدت لي الآن كأنما هناك ضوء باهر سلط على عقلي ،مثل ذلك الضوء الذي بهر قديس طرطوس ، وفي ذلك البر الموحش ، وسط العاصفة المجنونة والظلام الكثيف الحاقد ، استعدت الى ذاكرتي ما دعاه لويس : « بالشمول والسحر اللانهائي للفكر الفلسفي » . عندها غصت في راحة عميقة من الشعور بالمعرفة والانفتاح على عالم جديد ساحر من العقل النوراني . واحسست ان قدمي تطآن الارض بصعوبة . كنت اشعر

كأنني ارتفعت عن هذه الارض على اجنحة غير مرئية . ووقعت تحت سيطرة امر خفي لاحظى بالنور الاكبر من الانسان الذي اعترف انه اصبح سيدي ومرشدي .. موكسون .. وانفلتت بقوة لا شعورية . ومن غير ان اعي بما اقوم به ، وجدت نفسي على باب بيت موكسون . كنت مبللا بالمطر ولا استطيع حمل ثيابي من شدة ما نفذ منها الى جسدي من البرد ومع هذا كنت اشعر بالارتياح . وكنت في حالة من الاضطراب لم استطع معها ان أهتدي الى جرس الباب . فعالجت قفل الباب بحدة حتى انفتح فدلفت بسرعة وارتقيت الدرج الى الطابق العلوي ، حيث الغرفة التي تركتها منذ قليل ....

كان كل شيء مظلما وساكنا . وكما خمنت ، كان موكسون في الغرفة المجاورة ، غرفة الالات . والتصقت بالحائط حتى وصلت الباب الذي يؤدي الى غرفة الالات . وقرعت الباب بشدة مرات عديدة فلم اتلق اية اجابة فعزوت ذلك لزئير الريح المتعالي في الخارج ولصخب المطر الذي كان ينهمر بعنف على جدران البيت الرقيقة .

لم يدعني موكسون في حياته ـ ولو مرة واحدة ـ لدخول غرفة الالات. ولن انكر ان هذا لم يكن بالنسبة لي وحدي وانما كان بالنسبة ايضا لجميع معارف موكسون واصدقائه باستثناء صانع له خبرة ممتازة في الالات . ولم يكن احد يعرف عنه شيئا سوى انه يدعي « هالي » وعادته الصمت المطلق . وفي غمرة الشعور الروحية التي كنت غارقا فيها ، نسيت كل شيء وفتحت الباب (المقدس) وكان ما رأيته قد انتزع مني كل تأملاتي الفلسفية والروحية .

كان موكسون يجلس قبالتي ، في الزاوية القصوى من الغرفة بجانب طاولة صغيرة تتراقص عليها شمعة واحدة خافتة الضوء ، هي كل ما كان في الغرفة . وكان يجلس في مواجهته شخص اخر مديرا ظهره لي . وبينهما على المنضدة لوحة شطرنج ، وهما منهمكان في اللعب . وكنت على معرفة ضئيلة بالشطرنج . وبما انني ابصرت قطعا قليلة من حجارة الشطرنج على اللوحة ، ادركت ان اللعبة تشرف على النهاية . اما موكسون فكان يبدو مغتبطا نوعا ما ، مما يدل على انه المنتصر في اللعبة . ومع اني كنت مواجها له تماما ، فانه لم يلحظني ، وذلك لانشغاله بالنظر الى خصمه الجالس امامه . وكان وجهه ابيض شاحبا ، وعيناه مشعتين كالماس. وكما ذكرت سابقا فانه لم يكن يتبين لي من الرجل الغريب سوى ظهره . وكان هذا الغريب على ما يبدو لا يزيد عن خمسة اقدام .. ويتفق في كثير من صفاته الجسمانية مع الغوريلا . كتفان عريضتان ورقبة غليظة غاية في القصر ، ورأس عريض مسطح مكسو بشعر كث اسود يعلوه طربوش قرمزي اللون . ومعطف من اللون نفسه مشدود على وسطه بحزام محكم الشد . ويجلس على كرسي هو ليس الا صندوقا خشبيا عتيقا . اما ساقاه وقدماه فلم تكن بادية لي . وذراعه اليسرى مردودة الى حضنه . بينما كان يحرك قطع الشطرنج بيده اليمنى التي كانت تبدو غير متناسبة مع بقية اعضائه لطولها .

تراجعت قليلا ، ووقفت الان على جانب الباب بحيث اكون في الظل ولن يستطيع موكسون ان يرى شيئا امامه الان اذا ما حاول ان يمد بصره ابعد من وجه خصمهولكنه سيدرك ان الباب مفتوح. وشعرت بشيء غامض يمنعني عن الاقدام او التراجع ـ شعور ـ ولا ادري كيف اعتراني ـ بانني كنت حيال مأساة دموية . وربما استطيع مساعدة صديقي اذا انا بقيت في موقفي هذا . وبمزاج متوتر حيال هذا الموقف الجذاب الخطير ، بقيت حيث أنا .

كانت اللعبة تشرف علىالنهاية والقى موكسون نظرة مترفعة خاطفة على لوحة الشطرنج قبل ان يحرك قطعة واحدة . وبدالي انه يتناول قطعه بسرعة وعصبية . واما خصمه فكان يرد عليه بحركات عكسية بطيئة هادئة . كانت حركاتهما مسرحية . وكدت افقد صبري لهذه المشاهدة المؤلمة . كان في ذلك المشهد قوة لا ارضية ، غير دنيوية ، وشعرت بنفسي ارتجف . اذ كنت مبلل الثياب والبرد يخز في ضلوعي . ولثلاث مرات بعد ان كان يحرك الغريب حجارته ، كان يميل برأسه للامام . وفي كل مرة كنت الاحظ موكسون يرفع « الملك » . واعتقدت في النهاية ان الرجل كان اخرس بل ربما آلة . لاعب شطرنج ميكانيكي . وتذكرت ان موكسون قال مرة انه اخترع رجلا آليا كهذا . ولم افهم حينذاك هل كان موكسون يمزح ام كان جادا ؟ هل كان حديثه عن وعي الالات وذكائها هو محض عمل قيادي الى مثل هذا النوع من الرجال الميكانيك ؟ اهي فقط حيلة ، ليزيد من قوة تأثير عمل الاله علي مع جهلي باسرارها ؟

انها نهاية جميلة لجميع رياضاتي العقلية لاسيما في « الشمول والسحر اللانهائي للفكر الفلسفي » كنت على وشك التراجع باستياء بالغ حينما وقع حادث شل دهشتي وتعجبي . ولاحظت هزات تصدر عن كتفي الشخص الغريب العظيمتين . كأنما كانتا تتأرجحان . كان كل شيء طبيعيا. وكان يبدو بشرا سويا . وقد اخذتني الدهشة حين القيت عليه اخر نظرة لم يكن هذا كل ما في الامر . فبعد لحظة ضرب المنضدة بقبضة يده المردودة في حضنه بشدة وبدت الدهشة على وجه موكسون فدفع كرسيه للخلف في ارتياح.وفي الحال، اذ كان اللعب لموكسون، رفع يده عاليا فوق لوحة الشطرنج وانقض على احدى قطعه كالصقر ، وبصيحة عالية « كش » ثم وقف بسرعة واستدار خلف كرسيه بينما كان الرجل الميكانيكي ساكنا لا يأتي بادنى حركة .

في هذه اللحظة هدأت الريح . ولكنني كنت اسمع في فترات من الصمت هدير الرعد وفي اللحظات التي تلت ذلك ، شعرت بهمهمة الرعد تسري في جسدي . وكانت تشتد عما هي في الخارج . كان كل شيء في يرتعد وبدا لي كأن هذه الصاعقة تصدر عن جسم الرجل الآلي . كان صوتها يشبه هدير العجلات القادمة . وهنا تذكرت الآلة المتمردة التي تهربت من القيام

بعمل عهد به موكسون اليها . ولكن قبل ان اذهب بعيدا في ظنوني وتخميناتي لفت نظري حركات غريبة صدرت عن الرجل الميكانيكي .واعترته اهتزازات رتيبة متوترة . وكان رأسه وجسمه يهتزان كانما هو اصيب بالحمى الهستيرية . واستمرت هذه الاهتزازات والارتجافات المريعة في اللحظات التالية حتى اتخذت شكل هياج دموي . وفجأة وقف الرجل الآلي على قدميه بسرعة جنونية ، وبمثل لمح البصر قذف بنفسه من فوق المنضدة الى ناحية الكرسي الذي كان يقف خلفهموكسون . وقد حاول موكسون ان يقذف بنفسه الى الخلف تفاديا منه ، ولكنه كان قد فاته الوقت . ورأيت اليدين الحديديتين الطويلتين وهما تقبضان بعنف على خناق موكسون . وقد انقلبت المنضدة على الارض وانطفأت الشمعة الوحيدة التي كانت تضيء الغرفة فغاصا في الظلام في معركة عنيفة رهيبة ، كان الصوت الخارج عن الصراع مخيفا ومفزعا واشد رعبا من صوت البراكين التي تقلب الجبال . وكانت يدا الرجل الآلي قد اخذتا بخناق موكسون حتى منعتا عليه التنفس . وعلى صوت العراك قفزت لنجدة صديقي ولكنه كان من الصعب ان يجدي هذا في مثل ذلك الظلام.

عندما كانت الغرفة تغرق في نور ابيض اعمى ينبعث من دماغي وقلبي وتفكيري ومن صورة جلية للصريع على الارض ، موكسون منطرحا على الارض ، بينما رقبته لا تزال في قبضة اليدين الحديديتين ، رأسه متدل للخلف، وعيناه محملقتان، وفمه مفتوح ولسانه خارج على ذقنه، كان هذا اخر ما اعيه . ثم غرق المكان في ظلام مطبق وصمت مطلق .

بعد ثلاثة ايام استطعت.ان استعيد وعيي في المستشفى . فان ذكرى المأساة في تلك الليلة قد نفذت الى تلافيف دماغي الباطنية . وتعرفت حينذاك على صديق موكسون المستر هالي . اقترب مني وهو يبتسم : قلت : « اخبرني عن كل ما حدث . كل شيء عنه »

قال : « بالتأكيد لقد حملت وانت في غيبوبة تامة من بيت كان يحترق. من بيت موكسون . لم يعلم احد كيف وصلت الى هناك . فعليك ان توضح لنا ذلك . انالنار تسببت عن شيء لا شك خطير . واعتقادي الوحيد هو ان الدار قد وقعت عليها صاعقة ».

قلت : « وموكسون ؟ » قال : « دفن بالامس . »

الظاهر ان هذا الرجل الغامض كان يستطيع ان يكشف غطاء نفسه في الوقت المناسب . كان لطيفا بحيث اجتذب قلوب المرضى الذين كانوا يشاركونني الغرفة . ومع اني كنت ممنوعا عن الحديث وفي موجة من الالم الحاد خاطرت بسؤاله :

« من الذي خلصني ؟ »

قال : « اذا كان هذا مما يسرك ، انا الذي فعل ذلك »

قلت : « اشكرك يا مستر هالي . وجزاك الله عني خيرا . هل خلصت ذلك الساحر العجيب الذي هو من صنعكم ، اعني الرجل الآلي : لاعب الشطرنج الذي قتل « ربه » ؟

فاطرق الرجل مدة وهو ينظر في شرود الى الناحية الاخرى وفجأة التفتت وقال بحزن : « هل عرفت ذلك ؟ »

قلت : « اجل. رأيت ذلك عندما حدث ».

حدث هذا قبل سنوات عدة ، واذا ما سئلت اليوم عن هذه الحادثة فان اجابتي ستكون : « لست على ثقة » .

ترجمة توفيق صرداوي

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

★

الادارة

شارع سوريا - راس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

★

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان او ٥ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما حوالة مصرفية او بريدية

★

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣

في معرض الثورة

ـ تتمة الصفحة ٩٧ ـ

مرهفة .. اما عفوية ليث المميز وهي عفوية طفولية تختلط ببساطة ثقافة سنيه الثلاث عشرة ، فهي تستحق التشجيع لجرأة هذا الحدث وشجاعته الادبية .. ولا يمكن ان ننقد لوحتي ليث « عبد الكريم قاسم » و « الى المعركة » من دون ملاحظة هذه الملاحظات . وكذلك فان مواهب الشالجي التي قدمت لوحة واحدة هي « ١٤ تموز » ، واظهرت فيها الشعب نساءه ورجاله يقتحمون في ضراوة اسوار الطغيان، فقد كانت متعجلة هي الاخرى، وبسيطة الى حد السذاجة ، الى درجة ان صورت النساء والرجال يرقصون متميعين .. ولم تفلح في ذلك تعابير الصرامة التي حشرت حشرا، فلا بد ان نلاحظ في ذلك واقع الفنانة الثقافي والمدرسي ، وهي لم تتعد المرحلة الاعدادية .. وهذه امور كان يجب ان تلاحظ ..

اما لوحة الفنان تامر عارف « فجر الحرية » فقد كانت طيبة رغم التعجل ، وشفيفة بالحساسية رغم التسرع .

وللمجموعة الثانية ، وهم من تبقى من الفنانين ، محاولات نستطيع ان نصنفها ، كما قلنا ، الى محاولات اصيلة موفقة ، ومحاولات موفقة ، الى حد ، ولكنها عادية متسرعة . فمن المحاولات الاصيلة الموفقة نستطيع ان نلحظ لوحات الفنان نوري الراوي الثلاث « دعوة الى الفرح » ، « بين عالمين » و « ألفه » وهي لوحات طيبة بدت فيها ملامح الثقافة والوعي بارزة رغم عدم الاهتمام المدقق جدا بالتكنيك اللوني والهندسة العامة . ان « دعوة الى الفرح » وهي لوحة مرهفة بالغنائية ، كانت لوحة ثورية ، رغم خلوها من الدم والضحايا ـ وهي تعابير تبدو ساذجة اذ الح فيها الالحاح المفرط ، وكانت ايضا ، لوحة انسانية النزعة .. وقد كانت فيها السربلة الشعرية متميزة بشكل واضح .

ومثل ذلك يمكن قوله عن كاظم حيدر ، وهو فنان يشارك نوري الراوي في انتمائه الى اسرة الفن المعاصر ، فلوحاته الثلاث « الثورة العراقية » ، « ١٤ تموز » ، « ارى في أيديكم قوة احطم بها الاستعمار » ، لوحات تنم هي الاخرى ، عن ثقافة وتبلور في وعي تقدمي.. واذا اضفنا الى ذلك ان لوحاته كانت كبيرة لدرجة يمكن ترشيحها كلوحات جدارية ، وان الرموز في « الثورة العراقية » كانت ثورية حقا .. لاحظنا كيف كان كاظم موفقا ، لحد كبير ، في تصوير الثورة ، وفي التعبير عن رأيه عبر الطريق شبه التعبيري ، والواقعي، والتكنيك الحديث الذي اتبعه . فهذه اللوحة تظهر الشعب السجين ، والشمس الكالحة ، والقيود الثقال... وتظهر في الوقت ذاته ، لى جنب ذلك ، انتفاضة الشعب وتحطم القيد ، لكن الانتفاضة تبقى أسيرة ، حبيسة ، لان الجندي لا يشارك ... وحين يشارك الجندي في جانب ثالث من نفس اللوحة في الانتفاضة ،وهوماأظهرته ثورة ١٤ تموز ، ينحسر الكابوس ، ويقتل الغول ، غول الاستعمار وخونته وتردم الجيفة ، جيفةالتفسخ والاهتراء الذي قدمته اللوحة ايضا في جانبها الاوسط ... وهكذا كانت الثورة العراقية ثورة شعبية ظافرة في تبرعمها وتطورها ونصرها .. اما لوحة ١٤ تموز فقد كانت غير موفقة توفيق هذه اللوحة التي حللنا ، وبدت في اطارها العام مفرغة للحقد الشعبي المقدس ضد الخونة .. والاهم من ذلك ان نلحظ ان الهندسة اللونية كانت طيبة، على وجه العموم ، وان التكنيك الحديث الذي اتبعه كان خير سبيل للتعبير عما يريد ..

اما الفنان طارق مظلوم والذي يزاوج بين الفنون القديمة ، سيما الفن الفارسي والاشوري ، وبين الفن الحديث ، في سبيل ابراز شخصيةمتميزة للفن العراقي ، فقد كان مكثرا ، نسبيا ، في لوحاته ، وخصبا ايضا في النوعية .. فلوحاته الخمس « شعلة الحرية » و « الحرب والسلام » و « واقعة الجسر الخالدة » و « الشيخ والرعية » و « انطباعات فجر ١٤ تموز » .. هي لوحات أصيلة الطيبة ، رائعة الموضوع والمضمون ، الى امتيازها في التكنيك .. فاذا حللنا لوحته « الشيخ والرعية » ، لحظنا ان الفنان طارق يحشر ، بشكل مقبول ، ابعادا متنوعة للموضوع والمضمون الذين يريد .. فالاقطاعي الذي يسهر حتى الصباح بجنب عاهرةفي ملهى، ... والفلاح الذي يكدح حارثا ، باذرا ، حاصدا .. والنسوة الفلاحات وهن يتلقين الاستغلال المركب في المجتمع الاقطاعي... والماشية ، والنخيل، والاشجار ، وقلعة الشيخ الاقطاعي .. وكل ذلك يعيش في السجن الكبير الذي فرضة الاقطاع بمعاونة الاستعمار .. واذا تأملنا لوحة اخرى للفنان ذاته عن عهد الثورة ، بعد ان طافت بنا لوحته السابقة العهد الاستعماري الاسود ، لوجدنا تصميمه رائعا ، في بعده الجداري اولا ، وفي مزاوجته للغنائية والواقعية ، وفي هندسته اللونية الخصبة ، وفي جمعه الذكي والمرن لفصول النضال الثوري .. فقصر الرحاب ، قصر الخيانة ، يلتهب وقد ارتقاه الجنود ودمره رصاص الجيش .. وفي القاعدة واجهة سجن كبير .. وسجين يتلظى ويتحرق .. وسجين آخر يعذب .. وبوليس يقوم بدوره ككلب حراسة .. والشعب يندفع ، رغم كل ذلك ، حاملا شعلة الحرية .. وفي جانب اللوحة الاوسط يحمل الشعب جثة سجين شهيد ، مندفعا وراء فتاة توقد الشعلة الثورية ... ويحرس اللوحة في جانبها سجينة سياسية وسجين سياسي .. وكلاهما قد كسرا القيد .. ليندفعا مع حمامات السلام .. نحو النور ..

اما الفنان اسماعيل فتاح الترك ـ وهو من درسنا في عدد سابق من الاداب منحوتته « جميلة » ـ فهو يقدم هنا لوحة زيتية شبه جدارية بعنوان « ١٤ تموز » .. وفي هذه اللوحة يظهر الشعب ممسكا بخناق الخونة ، ، والجنود يوقدون شعلة الحرية .. والسجن مرموزا اليه في شباك في قاعدة اللوحة ، تطوف فيه حمامة سلام لتنطلق فيما بعد مع نسم الحرية ... وتحرس اللوحة في خلفيتها صورة جامع بغدادي ... وكانت الهندسة اللونية تخدم اللوحة ، موضوعا ومضمونا ، خدمة رائعة ... الا ان التعجل ـ والتأثر بلوحة الفنان محمود صبري « مجزرة في الجزائر » (وهي ما سبق ان درسنا في عدد سابق من « الآداب ») ، الذي تأثر بدوره « بكرنيكا » لبيكاسو .. حرما اللوحة من استيعاب مدقق كان يمكن ان يمنح اللوحة ابعادا جديدة . عل ان المهم ان نقول ان الكفاءة المضمونية في اللوحة كانت طيبة ، على وجه العموم ، وبشير انطلاق ثوري للفنان .

وللفنانين الثلاثة قصي عزام ومهدي البياتي وعيسى حنا لوحات طيبات على وجه العموم . فلوحة عيسى حنا « الاقطاع » كانت ثورية حقا في الرمز والبيان ، في اللون والمضمون والسبك .. الا ان لوحة قصي كانت تحتاج استيعابا اكثر ، « فصانع التاريخ » وهي لوحته الوحيدة في المعرض

تظهره قد تعجل التصوير ، وهو مع ذلك أبرز عجلة التاريخ التي يدفعها السجناء السياسيون ، وهم طليعيو الشعب العراقي ، مع شعلة الحرية التي يدفعها احدهم ، اقول ابرزهما بشكل مرن نستطيع ان نلحظ فيه تطور هذا الفنان عن لوحاته السابقة ، وتقدمه المبشر .. اما مهدي البياتي فلوحته « مصرع الخائن » ساذجة ، للاسف .. ولكن لوحته : عودة السجين .. كانت نابضة بالحيوية ، وبالسربلة الشعرية ، والغنائية .. وقد كانت انسانية النزعة بشكل طيب ومشجع ..

اما الفنانون عبد الامير القزاز وصديق احمد وسعد الطائي وخالد الجادر وخالد حمدي وحميد العطار واكرم شكري وقريش داود ، فقد قدموا لوحات طليعية من حيث الموضوع والمضمون ، وهم قد تقدموا ، في هذه اللوحات ، تقدما عظيما عما سلف لهم عن اللوحات والاعمال الفنية السابقة ، ويمكن ان يقال ان ذلك هو تطورهم المنطقي والمحتوم . فلوحات خالد الجادر « الى الرحاب » و « سواعد السلام » و « حلف بغداد بعد العدوان على مصر »، (مع لوحته التي لم تعرض « الاستعمار يتغلغل بالشرق الاوسط ») هي لوحات شفيفة بصراع ثوري اجتماعي مظفر كانت ارهاصاته تختنق ، وقد تبين احيانا ، في لوحات الجادر السابقة . ولوحته « سواعد السلام » على وجه التحديد لوحة رائعة جدا من حيث الموضوع والمضمون ، فالساعد الكادح الثائر يحمل حمامة السلام في يد ، والسيف الرهيب في يد اخرى .. وهي لوحة تستحق الاعجاب ... ، رغم خطابيتها وصخبها ، الامر الذي شاهدناه في مثل لوحة ، «الى الرحاب» اما لوحة خالد حمدي « اغنية السلام » فقد كانت لوحة رائعة متسربلة شعريا وغنائية بشكل مبهج حقا .. فالجماهير العربية والكردية تلتحم سوية رافعة حمامات السلام ، والبنادق ، وهي تقود الشعب العراقي في سيره المظفر نحو الحرية . الا اننا نأخذ على حمدي اقلاله وتعجله . ومثل ذلك يمكن ان يقال عن الفنان سعد الطائي الذي قدم لوحتين فحسب هما « فجر ١٤ تموز » و « السجن الكبير » . وفي « السجن الكبير » يبدع سعد ، موضوعا ومضمونا وتكنيكا ، في تصوير فاجعة سجن كل شعب مستعمر ، وفي رسم اكثر من ذلك ، واقع الثورة وجذرها . اما الفنان المجيد اكرم شكري فلوحته الوحيدة « مسرحية العهد البائد » لوحة تستحق التقدير رغم كون الفنان لم يكرس لها ما تستحق من وقت واستيعاب ، فالخيانة والدعارة في جانب .. تحرقها شعل الايمان والنضال الشعبي الثوري في جانب اخر .. الا ان اللوحة تنم عن تحسس ثوري للفنان كان يتبرعم في لوحاته السابقة . ومثل ذلك القول عن صديق احمد وحميد العطار وقريش داود ، فلوحتا صديق احمد الثورة (١) و (٢) لوحتان جديرتان بالتأمل لما فيهما من تعاون عضوي وظيفي للشكل والمضمون.. وكذلك لوحة حميد عطار « لا نريد الحرب » .. ولوحة قريش عن « الكابوس » ، وهي تعبير هائل عن الاستنكار للحرب وجرائمها وفظاعتها ، فالجسم العاري المشوه ، والعيون التي تلمع حجرية ، وحمامة السلام الذبيحة ... والجو المأساوي الكالح .. كل ذلك يعاون الفنان في التعبير عن رأيه الانساني . ولكن ذلك كله لا يبلغ التعبير الثوري الواقعي الذي قدمه عبد الامير القزاز في لوحته « الحرب والسلام »

اما المحاولات الموفقة الاخرى والتي كانت عادية احيانا او تقرب من العادية فهي ما قدمه رعيل كبير من الفنانين الذين تعجلوا ، او اغمضوا في البيان ، او لم يستوعبوا المحتوى الثوري ، او تعثروا في الجوانب الشكلية واهملوا المضمون ، او اهملوا الشكل وابرزوا المضمون ، او وقعوا أسارى اللون والموضوع .. فلوحتا فائز الزبيدي « الصمت والانسان والزمن » و « اغنية السلام » لوحتان طيبتان ، على وجه العموم ، الا أن الاغراق في السريالية والخطوط التجريدية قد افقدا اللوحتين محتواهما الثوري ، فبدتا وكأنهما حذلقة وتعال عن الشعب المتفرج ـ وواعيته . ومع ان المحتوى كان في الحقيقة ـ ثوريا الا ان الغموض كان بارزا لدرجة تعسر على فهم كثير من ابناء الشعب ـ وحتى بعض المثقفين ـ الفهم الكلي لما اراد الفنان ، وقد كان حريا به ان يدك الرمز المغلق او ان يخفف منه في العهد الجديد ـ الى البيان الواضح . ولوحات الفنانات نائرة الكتاب ، ونزيهة رشيد ،وحياة حافظ لوحات تنم عن تحسس انساني ، وهندسة لونية بارعة ، الا ان الاستيعاب لم يكن تاما كما لحظنا في مثل لوحات مظلوم ونوري الراوي وحيدر ، وكما في مثل لوحات محمود صبري التي درسنا في اعداد سابقة من الآداب . ومثل ذلك يمكن ان يقال عن لوحات طيبة الموضوع ، طيبة المضمون ، ولكن غير متكاملة التكنيك . فلوحة عاليه القره غولي وبديعة امين ووجيهة ما شاء الله ، اللاتي قدمن لوحات « بعد الثورة » هي كلوحة «تموز شهر الشعوب» لنائرة وكلوحة وجيهة « مظاهرة فرح » .. تجسيم اصيل للمحتوى ، ولكن بشكل غير متناسق ، كان يمكن ان يكون احسن لو تلقى الاستيعاب والتأني الاطول . اما وداد الاورفلي فقد كانت ارستقراطية الحس في تعبيرها عن الثورة ، ولم تستطع ، رغم محاولاتها المتعددة ، هضم محتوى الثورة ، وان استطاعت ذلك نسبيا في لوحتها « العصر الاسود » الذي قدم الوجه السالب من العهد البائد .

على ان الدلالات الانشائية كانت قد توضحت في لوحات الفنانين الاتين، رغم كونها كانت بسيطة ، وعادية ، وعلى انها موفقة ، كمحصلة نهائية في ابراز المضمون الثوري للموضوع الثوري . ففازي السعودي في لوحتيه: « سحق الطغاة » و «الاحرار» .. وعبد الوهاب رحيم في لوحته «١٤تموز» ومحمد رفيق في لوحته « فجر الحرية » .. وخالد البصام في لوحته: « انتفاضة الثورة » .. وسلمان داود في « اللحن الجديد » ... وصلاح القاضي « ايدك على ايدي » وصفوة العاني « حياة بلا مستحيل » .. كل هؤلاء قد قدموا محتوى ثوريا ، الا ان التسرع قد انقص من سخاء العطاء في التكنيك وفي المضمون معا . اما لوحة الفنان عطا صبري « حارس الجمهورية » ولوحة الفنان قاسم ناجي « انطلاقة ١٤ تموز » فقد كانتا تكثيفا لآرائهما كفنانين عبر لوحتيهما ، وان كانتا قنطرة نحو لوحات لا بد ان تكون اروع واتم في مستقبل قريب ، وان كان الجو الاسطوري قد كلس المحتوى الثوري في لوحة قاسم ناجي .

بقي ان نقول ان فنانين اخرين كوضاح الورد وياسين الاسدي وياسين شاكر وضرار وعبد الحكيم وعبد القادر وغالب وحامد وحازم وحارث وموريس ولقمان ، كانوا يمكن ان يقدموا عطاء اتم واروع لو دققوا في تجربتهم الشعورية واللاشعورية للثورة وان كان ذلك لا يمنع القول انهم حققوا تطورا ثوريا كبيرا في فنهم الواقعي.

وبقي ان نقول ان معرض الثورة كان طريقا ونقطة انطلاق فحسب نحو الفن العراقي الجديد في العهد الجديد .

بغداد **جليل كمال الدين**

لبنان

أدباؤنا ... والثورة

كان طبيعيا ، في الاشهر الاربعة التي استغرقتها الثورة في لبنان ، ان ترتبط مظاهر النشاط الفكري والثقافي كله بمعطيات هذه الثورة ، وان تكون صدى معبرا لها واستجابة صادقة .

ولما كان الرأي العام في لبنان قد انقسم أزاء الثورة الى قسمين يمثل كل منهما اتجاها يناقض الاتجاه الاخر ، فقد كان بديهيا ان نرى في مظاهر النشاط الفكري تيارين مختلفين :

اولهما يمثل الفكر الرجعي الانعزالي المنحاز الى الغرب انحيازا كاملا يعطل كل حس منطقي وكل محاكمة عقلية ويرتبط ارتباطا كليا بمبدأ محاربة الثورة ، والثاني ينطق بأهداف هذه الثورة ويوضح غايتها ويبلور اتجاهاتها ،ويمثل بذلك الفكر التقدمي المنطلق المكافح ضد الفساد والطغيان ، المنفتح لحركة التاريخ ، المؤمن بالمصير اللبناني الحق في اطار القومية العربية الصاعدة .

ولعل من واجبنا ان نشير الى انه كان ثمة اتجاه ثالث ، والاحرى ان نصفه بأنه لا اتجاه ، اذ هو قد وقف موقفا سلبيا صامتا لا يبدي رأيا ولا يسلك نهجا ، اما بدافع من عجز عن اتخاذ موقف ، وهذا يعني الجبن والتقاعس ، واما انتظارا لتطور في الاحداث يمكنه من ان يتخذ الموقف الذي تمليه عليه مصلحته الفردية الانانية ، وهذا يعني الانتهاز والاستغلال وفقدان الكرامة .

ومن الواضح ان هذا الموقف الثالث يدين اصحابه ويحكم عليهم ويصورهم بصورة لا تشرفهم . ان الصمت في معركة تعد في الحق معركة مصير هو كذلك اتخاذ موقف .

واذا كان مما يتغاضى عنه ان يقف مثل هذا الموقف فئات ليس من شأنها القيادة والتوجيه ، فان من الاجرام ان يقفه قادةالفكر والموجهون في هذا البلد . ولهذا لا يستطيع المؤرخ الادبي أن يفهم سبب الصمت عددمن كبار الادباء في لبنان،لم يسمع لهم صوت ،حتى ولا صوت دعوة الى السلام والتآخي والمحبة . كما ان هذا المؤرخ الادبي يتساءل عن سبب صمت هذا العدد الوافر من الباحثين والمؤلفين المعنيين بقضايا العروبة والقومية العربية : لقد تنبأوا في مؤلفاتهم عن الانتصارات التي تنتظر القومية العربية كمبدأ فكري وكوسيلة عملية ، ونصبوا انفسهم مدافعين عنها وحماة لها ومؤرخين متحمسين .. حتى اذا ووجهت هذه القومية في لبنان ، ووضعت على المحك والتجربة ، ودعي اللبنانيون الى تقرير موقفهم منها ، أعتصم اولئك القادة الفكريون الموجهون بالصمت ، ولاذوا بالسكوت ، كأن هذا الامر لا يعنيهم ، او انه ليس من اختصاصهم .... ولا بد لنا هنا من ان نشير الى أن معظم الذين نعنيهم ينتسبون الى كبريات الجامعات العلمية في بيروت ، وعدد وافر منهم اساتذة ومدراء في الجامعة الاميركية ، ولا حاجة بنا الى ذكر أسمائهم ، فهم يعرفون أنفسهم ، والقراء العرب يعرفونهم .. ولئن كانوا قد صمتوا في الاشهر الاولى من الثورة ، فاننا نصبح اكثر فهما لموقفهم. ولصمتهم حين نزلت القوات الاميركية لتحتل بلادنا المستقلة ...

ان لهؤلاء مطلق الحرية في ابداء الرأي ، فليس المطلوب منهم ان يستنكروا الفساد في البلاد ، وطغيان الحكام المرتبطين بالاستعمار ، وتدنيس ارض لبنان باقدام المحتلين. ليس المطلوب منهم ان يستنكروا ذلك ، ولكن المطلوب ان يبدوا رأيهم فحسب .. فمتى يحسن بهم الكلام ان لم يحسن الان ؟

ان الفريق الاول الذي يمثل الرجعية والانعزال وانحراف المقاييس المنطقية والفكرية ، هو على اي حال ، خير منهم وافضل ، لانه يتمتع على الاقل بفضيلة الجرأة والشجاعة لابداء الرأي . وصحفه واذاعاته خير من هذه الصحف التي ظلت صامتة لا تبدي ولا تعيد . ويؤسفنا ان نذكر ان بعض الزميلات الشهرية التي استمرت في الصدور ، أثناء الثورة، لم تحمل اية اشارة الى ان البلاد تجتاز ازمة مصير ، ولم تنشر اي مقال او بحث او قصيدة او اي اثر ادبي آخر يكون صدى لهذه الثورة ، ولا نحسبها ستنشر في المستقبل شيئا حول ذلك ، وهي بهذا تسجل على نفسها نهائيا انفصالها عن الحركات الرئيسية الهامة التي تصور تطورات البلاد ، وهكذا يغدو الحرف الذي تنشره حرفا ميتا لا روح فيه ، لانه يصدر بعيدا عن انبل الهموم التي تشغل الفكر الواعي الحر .

واما الفريق الثاني، فقد شارك مشاركة فعالة في النشاط المرتبط بالثورة ، وادى واجبه امام المواطن خير اداء ،فأثبت أن ما يصدر عنه هو ابدا نابع من الضمير المشدود الى المجتمع بأسلاك راعشة حساسة ، وانه بذلك يقف على مستوى الاحداث التي تلم به وينقلها بصدق واخلاص متأثرا بها ، مؤثرا فيها ، منفعلا وفاعلا .

ولقد كانت فرحة كبيرة للشعب المناضل المكافح ان يقرأ صباح كل يوم ، وهو وراء متاريسه وخلف سلاحه ، اقلاما تعبر عن آماله وتصور آلامه وترسم له طريق المستقبل النير . ولن ينسى الشعب العربي في لبنان اقلام اميل الخوري ومنير البعلبكي وعلي سعد وحسين مروه وموريس صقر ومحمد النقاش ورئيف خوري وجوزيف مغيزل وعلي جابر

النشاط الثقافي في الوطن العربي

وكامل العبدالله واحمد سويد ومنح الصلح وكلوفيس مقصود وسواهم ممن شرعوا اقلامهم للدفاع عن عروبة لبنان واستقلاله، وممن كانوا ينبهون الرأي العام كل صباح الى مؤامرات الاستعمار واذنابه، في عدد من الصحف الحرة التي نذكر منها «السياسة» لصاحبها الدكتور عبدالله اليافي، و «التلغراف» لصاحبها الشهيد الاستاذ نسيب المتني، و «بيروت ـ المساء» لصاحبها الاستاذ عبدالله المشنوق، و «الصياد» لصاحبها الاستاذ سعيد فريحه، و «الكفاح» و «الاحد» لصاحبهما الاستاذ رياض طه وسواها من الصحف الحرة ... وقد رأى عدد من الادباء ان يستعيضوا بالقلم بندقية، فوقفوا وراء المتاريس يشاركون رجال الشعب الوفي نضاله الدموي الرائع ..

لقد كان هؤلاء جميعا معرضين كل ساعة للقتل او الاعتقال او الانتقام، ولكنهم كانوا يدركون انهم انما يدافعون عن شرف الكلمة الذي يؤمنون به ويعتقدون ان لا حياة لهم بدونه، ولهذا طرحوا عنهم كل هم، وانخرطوا في سلك الثورة، يكتبون لها ويهتفون، ويذيعون في اذاعاتها، ويشاركون الزعماء المخلصين في العمل لها، فأنقذوا الثقافة العربية في لبنان من ان يقال ان من يمثلها هم فئة من الانعزاليين والشعوبيين والمأجورين ..

فالى هؤلاء، والى غيرهم ممن فاتتنا اسماؤهم، توجه «الآداب» كلمة شكر وافتخار، مؤمنة بانهم يشكلون نواة الادباء الاحرار الذين سيظلون ابدا على استعداد للدفاع عن لبنان العربي الحر .

*

مؤتمران دوليان

عقد في شهر آب في صيف هذا العام في فرنسا (سان فوا لا جراند) بدعوة من منظمة الكويكرز حلقة للدراسات الدولية لاساتذة الجامعات وطلاب معاهدها العليا كان موضوعها الرئيسي : التكيف السلمي في عالم متغير . وكان الوطن العربي والشرق الاوسط في طليعة ابحاث الحلقة . واشترك في الحلقة اساتذة وطلاب جامعيون من جميع انحاء العالم من اليابان حتى الولايات المتحدة . والقى الدكتور حسن صعب الاستاذ المحاضر في العلوم السياسية في جامعة بيروت الاميركية والمستشار في وزارة الخارجية اللبنانية ابحاثا في الحلقة في الموضوعات التالية : ازمة لبنان ومضاعفاتها الاولية ، القومية العربية ، الغرب والشرق الاوسط ، الشيوعية والشرق الاسط .

وعقد في ايلول المؤتمر الدولي الرابع للجمعية الدولية للعلوم السياسية حضره اربعمئة من علماء السياسة من جميع انحاء العالم . وتناول المؤتمر بالبحث الموضوعات التالية : العلاقة بين النظر والعمل في علم السياسة ، الحكومات والمؤسسات المحلية ، العلاقة بين السلطة التنفيذية والتشريعية، السيطرة على المشاريع العامة ، الجماعات الضاغطة ، وقد اشترك الدكتور حسن صعب في اعمال وابحاث المؤتمر واعمال مجلسه التنفيذي.

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة : خطوة رائعة

لمراسل الآداب الخاص في القاهرة

صدر أخيرا قرارن جمهوريان احدهما بشأن اضافة اختصاصات جديدة الى وزارة الارشاد القومي اهمها : مؤسسة دعم السينما ، ودار الكتب ، ومعهد التمثيل والمتاحف .. وكان القرار الثاني خاصا بتغيير تسمية الوزارة حتى يصبح الاسم : وزارة الثقافة والارشاد القومي .

وقد كان لانشاء وزارة الثقافة اهمية كبيرة من عدة جوانب ، فمن الواضح ان وزارة التربية والتعليم كانت تقوم بمهمتين خطيرتين ، المهمة الاولى هي الاشراف على المدارس والمعاهد والانظمة التعليمية المختلفة .. وهذه المهمة متسعة وضخمة خاصة وان وزارة التربية من الوزارات الاتحادية اي انها تشرف على نظام التعليم في الاقليم السوري والاقليم المصري معا ، وهي مهمة على جانب كبير من الخطورة والضخامة ، وتكفي وحدها لكي تثقل كاهل تلك الوزارة .. ومع ذلك فقد كانت وزارة التربية تقوم الى جانب مهمتها تلك بمهمة اخرى هي الاشراف على معظم المؤسسات الثقافية في الدولة مثل دار الكتب ، والمتاحف ، واقسام تشجيع

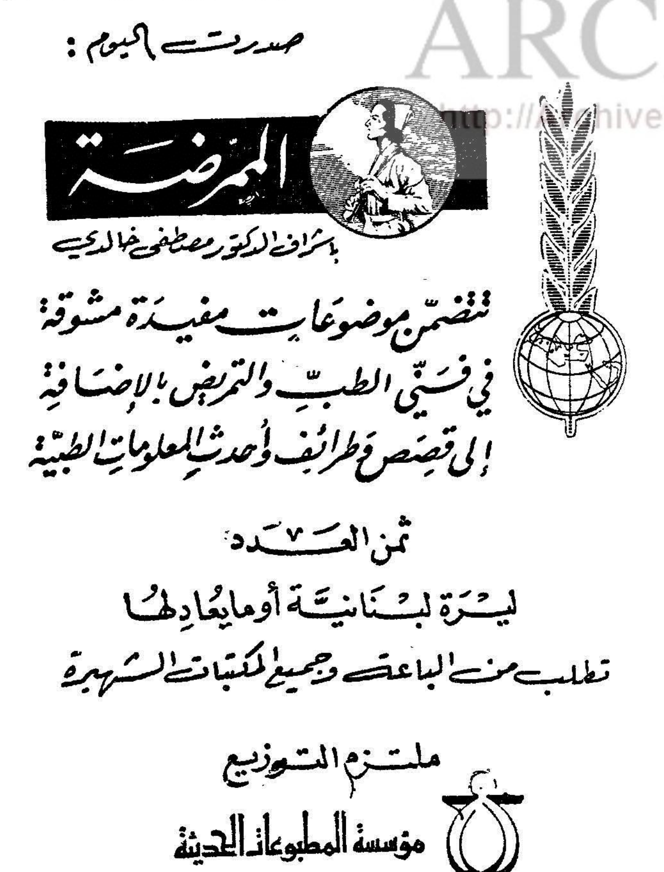
النشاط الثقافي في الوطن العربي

التأليف ، والترجمة ، ونشر التراث القديم ... وقد ادى هذا الازدواج في وظيفة وزارة التربية الى الاهتمام بالجانب التعليمي على حساب الجانب الثقافي ، وحسبنا ان نضرب مثالا يوضح اثر هذا الوضع ... ذلك المثال هو مشروع « الالف كتاب » ، فقد بدأ هذا المشروع تحت اشراف وزارة التربية والتعليم ، ونتيجة لانشغال معظم اجهزة الوزارة بمشاكل التعليم ، ترك امر مشروع الالف كتاب الى عدد قليل جدا من المسؤولين الذين خططوه تخطيطا ذاتيا حسب افكارهم الخاصة ودون دراسة عميقة متأنية ، وادى هذا بالطبع الى ظهور اخطاء خطيرة في المشروع ... فمثلا كان المشروع الذي تموله الدولة يصدر بعض الكتب لحساب مؤسسة فرانكلين الامريكية ، او لحساب القسم الثقافي في السفارة الامريكية ،كما ظهر ان عددا كبيرا من الترجمات قد تم في سرعة ادت الى تشويه عدد من النصوص المنقولة الى اللغة العربية ، كما ظهر ان هناك كتبا مؤلفة تنزع الى تشويه حضارتنا وشخصيتنا تشويها مريرا ، ومن امثلة هذه الكتب ذلك الكتاب الذي يتحدث عن الحياة في عصر الفراعنة ، وفي هذا الكتاب يقول الكاتب بصراحة ووضوح ان الشخصية المصرية منافقة بطبعها ، وقد كان هذا موجودا في تاريخ المصريين القدماء ، اي ان النفاق « مرض تاريخي » بالنسبة للمصريين .. مثل هذه الادعاءات والافتراءات قدمها مشروع الالف كتاب في كتاب من الكتب التي أشرف على طبعها واعطى مؤلفها مكافأة ضخمة ! كل ذلك لضعف الاشراف على المشروع والنظر اليه على انه شيء جانبي بالقياس الى المهام التعليمية الضخمة التي تقوم بها وزارة التربية .

ومن مظاهر التناقض في هذا الميدان ايضا ان معهد التمثيل الذي يعد الممثلين للمسرح كان تابعا لوزارة التربية بينما كان المسرح القومي ، وهو مسرح الفرقة الحكومية الوحيدة تابعا لوزارة الارشاد ، وكان هذا التقسيم يؤدي الى مشاكل عديدة في الناحية الادارية التي كانت تنعكس على الحركة المسرحية في مصر بآثار سيئة .

ولذلك فقد كان انشاء وزارة الثقافة خطوة رائعة نحو تنظيم الحياة الثقافية وتعديلها ، فقد اصبحت المهمة الاساسية والوحيدة لوزارة التربية هي الاشراف على المؤسسات التعليمية ، اما المؤسسات الثقافية الاخرى فقد اصبحت تابعة لوزارة الثقافة .

وامام الوزارة الجديدة عدة مهام اساسية ... فتشجيع التاليف مهمة أساسية كبيرة ، ذلك ان حركة التاليف واقعة اليوم في معظمها تحت رحمة دور النشر الكبرى ، أو دور النشر ذات التوجيه الخاص ، ودور النشر الكبرى كلها دون استثناء تهدف الى غايات تجارية قبل كل شيء ، وقد ثبت لهذا الدور ان القارىء وحده ليس مصدرا للثروة الكبرى والربح الهائل ، فما زالت نسبة القراء في الوطن العربي محدودة لا توفر ذلك الربح الذي تهدف اليه تلك الفئة الشرهة من التجار ، ومن هنا كان الاعتماد على مؤسسات اجنبية لانها تعطي ثمنا كبيرا لنشر مطبوعاتها مثل مؤسسة فرانكلين الامريكية ، وكذلك تلجأ هذه الدور الى المؤسسات الحكومية مثل وزارة التربية لتطبع كتبها التي توزعها على المدارس فتطبع منها بالتالي نسبة كبيرة مربحة ، كما تهتم هذه المؤسسات لطبع كتب أساتذة الجامعات وذلك لامكان بيعها للطلبة ، وامكان توزيعها بأسعار مرتفعة ... وهكذا لا مكان في هذه الدور للثقافة الوطنية المخلصة ، التي تعالج المشاكل الدقيقة الحقيقية لمجتمعنا ، ولا مكان فيها لكتاب جدد يعبرون عن مشاكل عصرهم وعن قضاياه الجديدة ... هذا من ناحية دور النشر الكبيرة ، اما دور النشر الخاضعة لاتجاه خاص فهي في أغلبها تأخذ الاتجاه مأخذا قريبا ، اي لا تعرض ما فيه من عمق ، ولا تسمح لظهور تيارات اخرى الى جانبه ، ومن هنا اقتصرت دار نشر مثل دار الفكر على نشر الانتاج المتصل بالفكرة الاشتراكية ، ولكنها اقتصرت في معظم انتاجها على جانب « الدعاية » دون « الدراسة العميقة » ، وهي وان ، كان بين منشوراتها ما هو قيم عميق ممتاز ، الا انها عموما لم تقدم ما هو جدير بالبقاءوالفائدة، ولم تفسح صدرها لتيارات اخرى عميقة جدية كانت من الضروري ان تكون اساسا لدار نشر مفيدة على نطاق واسع ... لقد اقتصرت على لون واحد من التفكير ، هو التفكير الاشتراكي، واكتفت في هذا اللون بمستوى واحد هو مستوى « الدعاية » ،ولم تقرن هذا المستوى بمستويات اخرى عميقة متنوعة الجانب .. قد تكون هناك عقبات ومشاكل ، بل لا شك في وجود تلك العقبات والمشاكل ، ولكن هذا وحده لا يبرر الوضع الذي وصلت اليه تلك الدار ، والشخصيةالتي اكتسبتها ... وهذا هو نفسه ما حدث لمعظم دور النشر التي حصرت نفسها في اطار واحد ، وتزمتت في اختيار هذا الاطار ، وضيقته على نفسها الى ابعد حد ، حتى كادت في النهاية ان تحطم هذا الاطار ، او تفقده تماسكه على الاقل . وقد اضطرت احدى دور النشر التي سارت



في هذا الطريق ان تغلق بابها .. تلك هي « دار الديموقراطية » . والسبب الرئيسي في نظري هو انها حرصت اشد الحرص على ان تصدر كتبا اشتراكية في اضيق معنى لكلمة الاشتراكية ، وحرصت ايضا على ان تناقش القضايا العاجلة بطريقة عاجلة ايضا ... واذكر ان هذه الدار قد اتفقت ذات يوم مع الشاعر الشاب احمد حجازي على اصدار قصيدته الطويلة « اوراس » ، وتعتبر هذه القصيدة من القصائد القليلة التي تدفع بالشعر الجديد الى مستويات عليا من الفن الرفيع ، وهي تعالج كفاح الجزائر ، وترتفع في قيمتها الى مستوى هذا الكفاح نفسه كان الذي كتبها شهيد استيقظ ، او احد من ابناء « جزائر الغد » رأى بعينيه كفاح الماضي واسودت جبهته ، واصابته الجراح في اجزاء مختلفة من جسده ، ثم عاصر اليوم الذي التأمت فيه جراحه ، ورأى النور والسلام والاستقلال يغمر الجزائر ، واراد ان يذكر ابناء وطنه بالام الكفاح فكتب تلك القصيدة ... انها قصيدة رائعة باجمل ما في الكلمة من معنى ... ولقد قرأها الشاعر في الندوات المختلفة فعرفت ... عرفها الناس واحبوها ، وكان من المؤكد انها سوف تنجح « تجاريا » عند نشرها، وسوف تجد السوق التي يصبح ناشرها معها رابحا ... ولكن الناشر بعد ان اتفق على نشر تلك القصيدة امتنع عن تنفيذ اتفاقه ، وكان السبب هو قدم تقديره لقيمة القصيدة ، وخوفه من الخسارة المادية ، ودراسته للقارىء دراسة عاجلة سطحية ... لا يمكن للناشر بعدها ان يجرؤ على تقديم شيء جديد مخافة الفشل والخسارة .. وقد ظل هذا الشعور مسيطرا على الناشر حتى كانت النتيجة - كما قلنا - ان اغلق ابواب داره ، وانهى عمله في سوق النشر .

تلك هي النماذج التي تتحكم في حياتنا الفكرية ، ومن الواضح انها لا يمكن ان تكون سندا لهذه الحياة ولا يمكن ان تساعد على انتشار الثقافة العميقة الصحيحة ، وهذا واجب كبير من واجبات وزارة الثقافة ... ان عليها ان تشجع التأليف ، وتساعد اصحاب الامكانيات على نشر انتاجهم وتقديمه الى الناس ، ويمكن ان يتم ذلك عن طريق تأليف لجان من رجال الثقافة والاختيار ، ويمكن ان يتم بوسائل اخرى مثل عقد المسابقات والجوائز وغير ذلك .

ومن مهمة هذه الوزارة ايضا تشجيع الترجمة وتنظيمها ، فلقد كانت الترجمة حتى اليوم تسير بلا نظام ولا تخطيط . ومشروع الالف كتاب الذي يعتمد اساسا على الترجمة كان ابرز مثال للفوضى الشائعة في عالم الترجمة فلم تكن تراعى احتياجات القارىء ، ولم تكن تراعى الدقة ولا النظام في اداء هذا العمل الهام ، ونحن نحتاج الى جهود كبيرة في تدعيم المكتبة العربية ، وفتح نوافذها على العالم وتزويدها بشتى الوان الانتاج الثقافي العالمي .

وهناك ايضا مهمة رئيسية ثالثة هي تشجيع القراءة ، وذلك بتعميم المكتبات في شتى انحاء الجمهورية العربية ، وخاصة وان دار الكتب قد اصبحت تابعة لوزارة الثقافة ، ومن الواضح ان كثيرا من المدن الصغيرة ، بالاضافة الى كل القرى في اقليمي الجمهورية العربية .... كل هذه المناطق لا تحتوي مطلقا على مكتبات ، باستثناء مكتبات المدارس، وهي مكتبات صغيرة لا تكاد تكفي الطلبة انفسهم ... ومن وسائل تشجيع القراءة ايضا بيع الكتب باسعار معقولة ، وتقديمها في طبعات شعبية رخيصة ، ولن يكون هذا الامر ممكنا ما دام الهدف التجاري معدوما في عملية النشر ..

ومن المسؤوليات الهامة على الوزارة الجديدة ان تشجع المسرح والخطوة الاولى في هذا المجال هي انشاء عدد اكبر من المسارح . ذلك ان المسارح في الجمهورية العربية المتحدة قليلة جدا ، والفرق المسرحية بالتالي فرق قليلة غير متنوعة ، كما ان الجمهور المسرحي ايضا محدود ، والواقع ان كثرة دور المسرح ، وتعددها ضروري لا في المدن الكبرى كالقاهرة ودمشق والاسكندرية فقط ، بل في المدن الصغرى المنتشرة في انحاء الجمهورية ... ويجب ان يتبع بناء المسارح تنويع الفرق المسرحية لا تركيزها في فرقة واحدة ، يجب ان تكون لدينا فرقة لتمثيل المسرح الكلاسيكي ، وفرقة للمسرح الكوميدي ، وفرقة للمسرح الشعبي ، وفرقة لمسرح العرائس .. ان هذا التنوع سوف يخلق حيوية في الحياة المسرحية ويعطيها قوة تمكنها من خلق جمهور مسرحي اصيل.

هذه بعض الجوانب الاساسية في مهمة الوزارة الجديدة ، التي

انشئت بعد ان انتظرها المثقفون طويلا ، والامل كبير في ان تحل هذه الوزارة بعض جوانب الازمة الثقافية في التاليف والترجمة والقراءة . ولا بد من الاشارة الى ان على رأس هذه الوزارة وزيرا مكافحا طموحا مخلصا هو : فتحي رضوان ... وشخصية هذا الوزير تسمح للمثقفين بان يأملوا الكثير من هذه الوزارة الناشئة .

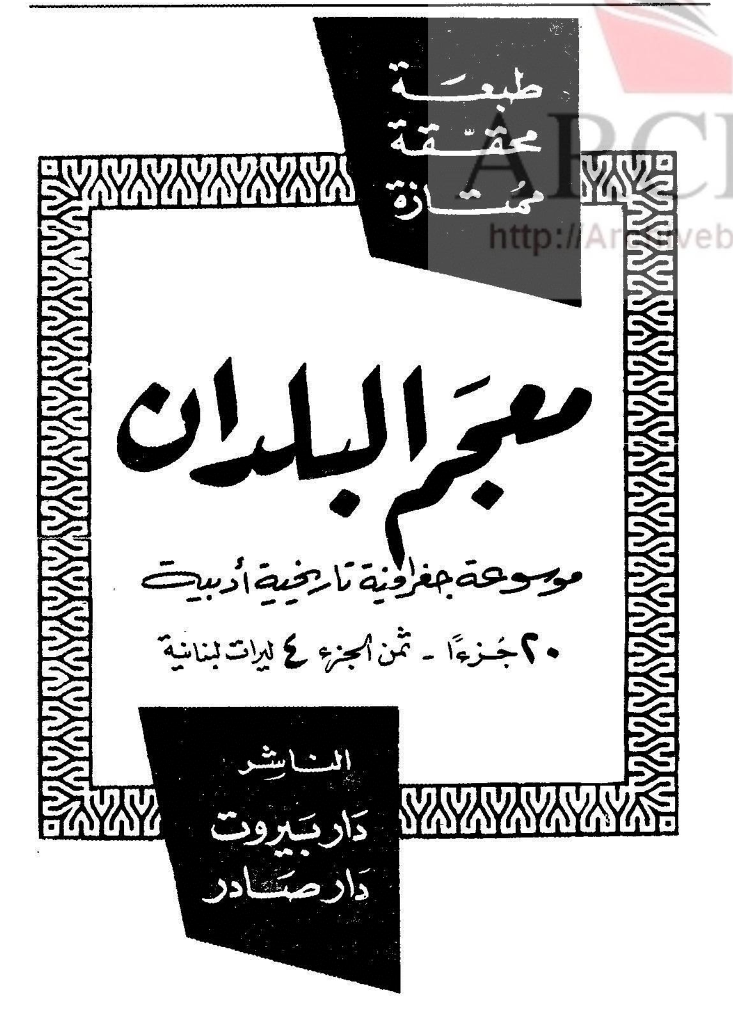
« اللحظة الحرجة »

منذ فترة قريبة اصدر الدكتور يوسف ادريس مسرحية جديدة هي مسرحية « اللحظة الحرجة » وقد اثارت هذه المسرحية ضجة كبيرة .. بدأت قبل ظهورها ونشرها ، وذلك عندما انقسمت « لجنة القراءة » في المسرح القومي الى قسمين قسم يؤيد تمثيل المسرحية وقسم اخر يعارض تمثيلها .. وانتهى الامر بان قرر المسرح القومي الاخذ بالرأي المعارض ، وقد برر المسئولون في المسرح اخذهم بهذا الرأي ، بانهم لا يملكون تقديم هذه المسرحية وترك الحكم فيها للجمهور ، وذلك بسبب الوضع الرسمي الخاص لفرقة المسرح القومي ، فالمسرحية تعالج « معركة بور سعيد » من جانب انساني ، فهي تصور بعض النماذج التي يختلط لديها حب الوطن بحب النفس ، وتتردد بين هذين الانفعالين في مرحلة طويلة من الرواية ، مما يمكن ان يظهر المسرحية على انها عرض لشخصيات «ضعيفة الوطنية » ... او ضعيفة في « احساسها القومي » ... ولا شك ان هذه « الشبهة الظاهرية » ليست هي حقيقة الرواية ، ولكنها كانت سببا في ان تأخذ فرقة المسرح الحر هذا الموقف منها .

ولكن المسرحية أثارت ضجة اخرى كبيرة ، ثم ظهرت منشورة في كتاب ، فقد تناولها عدد كبير من النقاد واخذ معظمهم عليها تلك «الشبهة» التي تجعل القارىء يتصور ان المؤلف قصد بها تقديم شخصيات ضعيفة الوطنية ... ولكن بعض النقاد وقف الى جانب المسرحية ودافع عنها دفاعا موضوعيا منصفا ، ومن هؤلاء النقاد الدكتور عبد القادر القط ، والاستاذ محمود العالم .

كتب الدكتور عبد القادر القط في مقاله عن المسرحية المنشور بمجلة الشهر يقول :

« لقد اراد الدكتور يوسف ادريس في مسرحيته ان ينقل موضوع الشعور القومي من المستوى العاطفي المألوف الى مستوى فكري جديد ، فاختار لبطولة مسرحيته شخصا مؤمنا بفرديته الى اقصى الحدود ، ودفع به خلال ازمة نفسية حادة الى ان كفر في النهاية بفرديته وآمن ايمانا فكريا ووجدانيا معا بضرورة الايثار والتضحية في سبيل الوطن . وقد عاب كل من كتبوا عن المسرحية على مؤلفها انه اختار شخصا لا يمثل ما ساد معركة بور سعيد من تفان في الدفاع عن الوطن وحماسة في رد العدوان عنه ، فنصار في رأيهم شخصية شاذة تقدم صورة زائفة لشعور المصريين اثناء المعركة ، ولا تصلح لكي يعالج المؤلف من خلالها مثل ذلك الموضوع القومي الكبير ، وقد يصح هذا الانتقاد لو ان المؤلف كان قد استهدف تصوير المقاومة الشعبية للعدوان على بور سعيد وتمجيد ما ابدى الشعب من ضروب البطولة والفداء . والحق اننا لكثرة ما قرأنا من أعمال تهدف الى هذا الغرض ، ولما تفرضه معاركنا المتصلة مع الاستعمار على ادبنا من تعبئة للشعور القومي لنصمد في هذه المعارك، قد اصبحنا نتوقع من كل عمل ادبي يتحدث عن مثل هذه الموضوعات القومية ان يلتزم الجانب الوجداني المحض ويصور البطولات المطلقة والتضحيات الرائعة المجيدة دون الاشارة الى ما قد يكون في نفوسنا احيانا من ضعف وجبن وتردد . وربما جاز هذا في اثناء اللحظة الحرجة نفسها، او حين يكون الشعب لم يبلغ بعد حدا من الوعي والثقة بالنفس تتيح له ان يتدبر ما تكشف عنه المعركة من نقائص يجب اصلاحها ، أما وقد حققنا في كفاحنا مع الاستعمار كثيرا من الانتصارات الرائعة واصبحنا نثق بقوانا المعنوية والمادية الى حد كبير ، فان الثمرات التي نجنيها من وراء تلك الانتصارات لا ينبغي ان تقتصر على شحذ هممنا وتعبئة طاقاتنا للمعارك القادمة ، بل لا بد من ان نفيد منها كذلك في التعرف على ادوائنا النفسية والاجتماعية الكافية التي تتكشف اثناء ما يعرض لنا من لحظات حرجة » .





دور النقد الادبي بعد الثورة

ينحصر دور النقد الادبي في هذه المرحلة من حياتنا الفكرية في تصحيح موقف النص الادبي من القيم ، غير الحرة ، التي خضع لها في اطواره المتعاقبة في عهد الحكومات البائدة ، وتحريره كذلك ، وبنوع اخص ، من الخوف الذي ضيق من آفاقه وفرض عليه نوعا صارما من الحصر .. لاحظنا آثاره في انخفاض مستواه وبعده عن تمثل الحاجات الاجتماعية تمثلا واعيا ...

والواقع ان الاديب العراقي ، الى قيام الثورة الكريمة ، لم يكن يصلح للمهمة الاجتماعية الخطيرة المفروضة فيه لا في معالجته لها ولا في اسلوبه في تفهمها ، وكان عذره يومئذ ان الضغط الخارجي الذي كانت الحكومات الرجعية تمارسه ضده ، والمحاولات الصارمة التي كانت تعيق انطلاقاته ... تارة بالوقوف في وجهه وتارة بحرمانه من الاتصال بمصادر المعرفة في البلدان المثقفة المتحررة .. كل ذلك كان يقلل من الفرص التي يظهر بها تضامنه الايجابي مع الروح الشعبية المتمردة ، والاطراد مع التقدم الفكري العالمي المعاصر .

اما اليوم وقد انهار ذلك النظام الجائر فسوف يكون الحكم على الاديب العراقي صارما ، وسيكون النقد الادبي حرا في اتهامه بالفقر الفطري اذا تخلى عن واجبه حيال الثقافة العامة البلاد .

والحقيقة ان النقد الادبي هو الاخر لم يكن له لون معين في تلك الازمان، وكانت الشكوى منه تتردد ، باستمرار ، في الاوساط الثقافية باعتباره وسيلة رخيصة للاغراض الشخصية .. وانه لا يستهدف اي اتجاه ، لا فني ولا اجتماعي ، في معالجته لقضاياه او قضايا التأليف في العراق .

ان التعفن الفكري كان موجودا ومألوفا في اكثر مظاهر حياتنا العقلية.. من علمية وادبية وفنية.. ولم يكن الفارق بينها في ذلك الا في الدرجة،وكان الادب ابرزها في الابتعاد عن واجبه في التطور ، والارتقاء بالمفاهيم الانسانية في مجتمعنا ، وكان تلونه وتقلبه بل وتلوثه في المغريات الشخصية الانية سببا في وقوف القاريء العراقي منه موقفا سلبيا ظهرت نتائجه العميقة في كساد الادب في اسواق العراق نفسها ... وبالاضافة الى ضعف مستواه التعبيري ، وسطحية تناوله لموضوعاته فانه كان يعاني فقرا مدقعا في عناصره المكونة له وعلى الاخص في مضموناته.. وقد خضع الادب العراقي منذ قيام الحكم البائد في اعقاب الحرب العالمية الاولى الى اعتبارات اكثرها خارج النطاق المعروف له ، وكان الفرض من اخضاعه لذلك النطاق هو الابتعاد به عن فهم حاجة القاريء العراقي الى توسيع آفاقه وربطه بالنزعات الفكرية الحرة .. وكان المفروض في النقد الادبي ان يتصدى الى الادب المنحرف وان يندد به ويظهر آثاره السيئة في سير المدنية في بلادنا ، ولكنه لم يكن اقل حظا من سواه في التزلف الى القيم الرجعية وتركيز نفوذها وتوسيع مجالاتها ، واذا استثنينا بعض الاعمال الادبية بهذا الصدد فاننا كنا في وضع ادبي وفكري ، لا مثيل له في التخلف والامتهان .

وفي هذه المرحلة ، حيث يوضع العمل الادبي موضع الاختبار والتجربة وحيث يرد اعتباره وتقديره الى قيمه الذاتية ومدى مساهمته في تعزيز الاغراض الانسانية المتطورة .. في هذه المرحلة بالذات يجد النقد الادبي نفسه ازاء مهمة سخية في معانيها ومدلولاتها .. اذ سيكون حكمه على الاعمال الفنية مستمدا من وحيه الخاص ، ومبنيا على فهم مدروس لدور الادب في تطور المجتمع والنهوض بذوقه واحاسيسه الفنية .. واحسبه سوف يقف ازاء كل عبث يتخذ مظهر الادب باسم المضمون او باسم الفن الصرف موقفا شديدا يرد للادب اعتباره ويعيد له هيبته واهميته كمظهر من مظاهر تقدم مجتمعنا الحديث ...

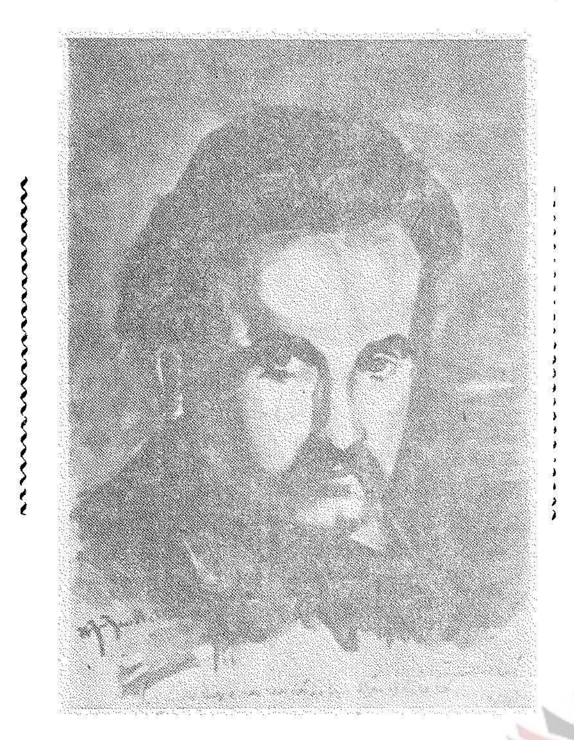
ومما يذكر بهذا السياق الفصل في طبيعة الاختلاف المصطنع بين الادباء حول بحث المشاكل الاجتماعية والسياسية اليومية التي يرى بعض الادباء وجوب عدم التصدي لها ، لما في حقيقتها وطبيعة عملها في المجتمع من بعد ملحوظ عن وسائل الادب في معالجته لموضوعاته ... والواقع انه ليس هناك موضوع لا يدخل في اختصاص الادب في فهم مشكلاته وطريقة فهمه لها.. واذا لم يكن هناك حد معين بين الاسلوب الادبي والاسلوب الصحفي في هذا الباب فلا شك ان الفارق الدقيق الموجود بينهما لا يخفى باي حال من الاحوال على ذوي الشأن من ممارسي الادب والصحافة .. ومن المعلوم ان موقفنا سوف يختلف من الموضوع الواحد الذي يكتب فيه عباس محمود العقاد ومحمد التابعي مثلا . وادراكنا لهذا

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الاختلاف في فهم الموضوع الواحد قلما يتيح لنا القدرة على تصويره او التعبير عنه ، وان كنا على العموم نستطيع تمييز الاديب بانه ، الى حد ما ، اكثر شعورا بالمسؤولية في تقرير احكامه الادبية واعلان آرائه في القضايا التي يحاول اظهار الناس عليها .

وسيقول النقد الادبي كلمته ، في هذا كله ، دون تحيز او انتحال مذهب خاص من مذاهب الفكراو السياسة او الاجتماع .. والحق ان النقد الادبي بحاجة شديدة الى اثبات وجوده كنوع قائم بنفسه بين الانواع الادبية الموجودة ، وهذا لا يعني قطعا عزل نفسه عن الاستفادة من النظريات والاكتشافات الجديدة في العلوم النفسية والاجتماعية والسياسية المعمول بها في الوقت الحاضر . اذ هو لا غنى له عن هذه العلوم خصوصا بعد اتساع نطاق الادب وشمول المجال الذي يعمل فيه وينجو له .. وان كنا نرجو ان تكون علاقته بها علاقة حرة تبعد به عن الاستغراق بها وذبول شخصيته في متاهاتها

بغداد **عبد المحسن الحكيم**

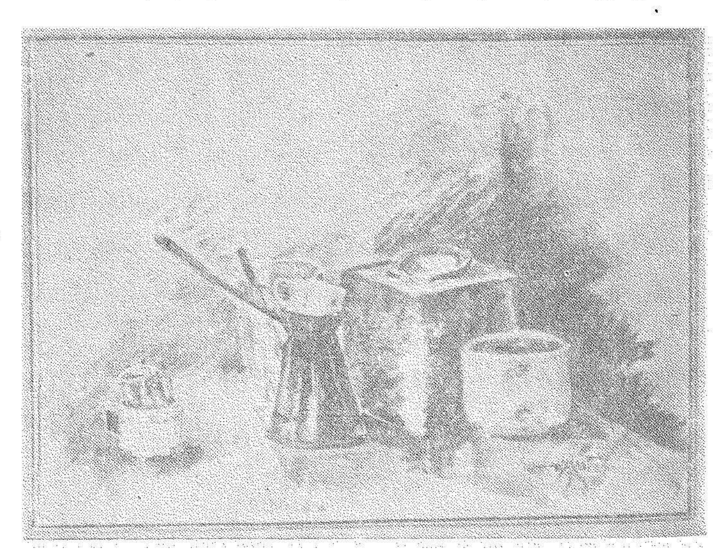


جبران

الاردن

فنان من القدس

ما فتيء نادي الاتحاد الارثوذكسي العربي بالقدس يرعى الحركة الفنية في لواء القدس منذ ان صمم على اقامة معرض للرسم الفني في شهر آب من كل عام . فقد اقام المعرض الاول سنة ١٩٥٥ ، واشترك فيه عدد ضئيل من الفنانين . وما لبث ان ازداد عدد المشتركين عندما ازدادت شهرة المعرض وتحسنت اساليب النادي في العرض والدعوة للمعرض، فبلغ عدد المشتركين في سنة ١٩٥٧ خمسة عشر فنانا وفنانة من ابرزهم الفنان الفلسطيني المشهور اسماعيل شموط . فقد عرض خمس لوحات زيتية من اخر ما انتج ، بينها لوحة بعنوان « متى يعود » ؟ تمثل احدى اللاجئات تنتظر عودة زوجها وهي تحمل طفلا على ذراعها ، واخرى بعنوان « هنا كان يجلس ابي » تمثل احد اطفال اللاجئين يجلس بجوار كرسي صغير ملطخ بالدم ، وثالثة بعنوان « ذكريات ونار » تمثل شيخا لاجئا يجلس ليلا في خيمته امام النار يصطلي ويفكر ، بينما اشباح اطفال نائمين تظهر من خلفه .



قهوة

ولست بمعرض الكلام عن اسماعيل شموط ولا عن غيره من الفنانين المعروفين الذين اشتركوا في المعرض كصبحي القطب وغيره ، ولكني اود اليوم ان اتحدث عن واحد من الفنانين الصغار الذين نالوا اعجابا كبيرا من الزوار والنقاد ، ولاسيما من اجل ما احرزوه من تقدم منذ المعرض الاول.

اما هذا الفنان الصغير فهو كمال بلاطه . فقد اشترك في معارض النادي الثلاثة ، وكان الزوار يلمسون تقدمه في كل سنة . بدأ التصوير بالفحم والحبر الصيني ثم انتقل الى الالوان المائية . وفي الشهر الماضي اقام له الناديمعرضا خاصا عرض لهفيه خمسا وثلاثين لوحة بالالوان المائية معظمها من الـ « غواش »

ومسحة الكآبة والتشاؤم غالبة على هذا الفنان على الرغم من حداثة سنه . واذا استثنينا اللوحة التي بعنوان « ظلال لبنانية » فليس في المعرض منظر طبيعي بهيج . وقد اختار مقبرة القدس في احد موضوعاته ورسم لها لوحة بعنوان « مدينة الموتى » بدا فيها سور المدينة جهما وراء القبور وقد اخفى مدينة الاحياء عن الانظار ! ولم يستطع ان يصور نفسه الا في حال كئيبة ، فغلبت على « صورته الذاتية » الالوان القاتمة .

ولعله اجاد احسن الاجادة في رسم الشخصيات التي اخذت النصيب الاكبر من جهده . ومن هذه الشخصيات « جبران » و « خليل مطران » و « خالد العظم » و « فان كوخ » اما الوجوه التي يعبر فيها عن حالات نفسية فمن اجودها لوحة بعنوان « شيخوخة » واخرى بعنوان «رجولة»

النشاط الثقافي في الوطن العربي



الوحيد في حزنه

المراهقة بين الخير والشر

وثالثة بعنوان «شراسة» ورابعة بعنوان « شخصية من برلين » وكلها قوية الخطوط واضحة التعبير .

وقد امتاز بعض لوحاته بروح شعبية محلية . منها لوحة بعنوان «قهوة» يظهر فيها البكرج والفناجين وعلبة السكر او البن وكوب مكسور اليد ، ولوحة اخرى بعنوان « حارتنا » . ومنها مناظر لازقة في مدينة القدس القديمة بقرب الحرم الشريف واخرى لمشهد داخل دير الروم . وتظهر فيها كلها البساطة في التعبير والنجاح في خلق الجو .

لكن ما هز الزوار وصدم معظمهم عدد من الصور التي رسمها كمال بلاطه باسلوب جديد يعبر فيه عن افكاره وعواطفه . فقد انتهج لنفسه منهجا يسير فيه مع الرمزية حينا والتكعيبية حينا آخر . من ذلك لوحة بعنوان « الوحيد في حزنه » ظهر فيها انسان ذو رأس كبير لا فم له وجسم ضئيل ، يسير وحيدا في طريق الحياة الملتوية وراءه.وامامه شجرة لا ورق عليها تظهر من خلال اغصانها العارية كرة ملتهبة بعيدة . وقد غلب على هذه اللوحة لون ليلكي قاتم وجو من الكآبة غريب .

وفي لوحة اخرى بعنوان « عندما يحب المراهق » ظهر في الصورة شكلان : الايمن مربوط بسلسلة الى عمود وكانه يصور صخور الواقع وقيود التقاليد والعادات ، والايسر مربوط بخيط واه الى العمود نفسه وقد بدا منطلقا الى الامام ويحتوي على اشكال رمزية في طليعتها قلب مندفع وراء العواطف والاهواء ثم رسالة غرام وعين دامعة وغيوم ونجوم لعلها خيالات المراهق واحلامه . وكاني بالفنان يشبه المراهق بمركبة ذات حصانين ينطلق منها حصان اليسار وهو حصان العواطف والخيالات ، ويتأخر حصان اليمين وهو حصان الفكر والتعقل فيختل توازن حياته .

وفي لوحة ثالثة بعنوان « المراهقة بين الخير والشر » يبدو رأس المراهقة وقد تلون بالوان زاهية من الجهة اليمنى ولعلها جهة الخير حيث نرى محبا راكعا يرفع على كفه قلبا ويقدم زهرة ، وتلون من الجهة اليسرى بالوان قاتمة وكانها جهة الشر احاطتها انياب مفترسة وذئاب جائعة وفي اعلى الجهة اليمنى قصاصات من الجرائد ملصوقة موضوعها الحب والجنس .

ولن استطيع ان امضي في تحليل صور المعرض الباقية الماثلة، ومن ابرزها « وادي الشقاء » و « المفكر » و « راجعون » . وهذه اللوحة الاخيرة هي الوحيدة ذات المضمون الوطني الجماعي اذ تمثل عودة اللاجئين الى فلسطين . اما اللوحات الاخرى فذات مضمون فردي شخصي جدا تبرز لنا هذا الفنان الناشيء ذا شخصية متألمة كئيبة منطوية على ذاتها .

ونحن لا نشك في ان لهذا الفنان طاقة عظيمة على التعبير بالالوان والظلال ، ونرجو له مستقبلا باسما .

اللجنة الثقافية

المغرب العربي

لمراسل « الآداب » في مراكش

سبب الازمة ؟

هذا الركود الادبي الذي نعانيه ، من المسؤول عنه ؟

لو القيت هذا السؤال على مدير مجلة مغربية لاجابك ، وابتسامة صفراء تعلو محياه : المسؤول هو القارىء !!

ولو القيت السؤال نفسه على احد قراء المجلة لاجابك ، والابتسامة نفسها تشرق على وجهه : ان المسؤول في الحقيقة هو الكاتب الذي لا يقدم انتاجا يستحق القراءة !

وفي المغرب - والحمدلله - اكثر من مجلة واحدة ! ولكن قل ان تجد مجلة ظلت تصدر اعدادها باستمرار من غير ان يعوقها عائق . ودائما يتحمل القارىء اعظم نصيب من المسؤولية . فهو لا يغمض عينيه ويشتري المجلة كما يطلب منه اصحابها !! وانما يقف يتصفحها فاذا لم يجد بين صفحاتها الكثيرة شيئا ذا قيمة استسمح بائعها وردها اليه شاكرا .

وثمن المجلة في المغرب ليس منخفضا نظرا لغلاء الورق واجور الطبع. ولكن القارىء المغربي لا يهتم بشيء من هذا ، فهو يطلب غذاء روحيا . ويشترط في هذا الغذاء ان يكن مليئا بالفيتامينات النافعة ولهذه الاسباب تجد القارىء الغربي المتذوق لا يهتم بمجلات الصندويتش ولا بـأدب الصندويتش ! ويجب ان يعلم السادة اصحاب المجلات المغربية المحترمة ان جمهرة القراء عندنا تتألف في الغالب من الطلبة وبعض انصاف المثقفين وبعض صغار الموظفين وجل هؤلاء لا تسمح لهم ميزانيتهم بدفع مئة فرنك او ستين او خمسين في مجلة كل ما تحويه : ورقها الصقيل ، وطباعتها المتقنة وبعض الالفاظ الطنانة التي تمنح لكل من هب ودب كالاستاذ ، والشاعر والاديب ، والفنان ، والموسيقار، والمؤرخ ، والبحاثة الخ.. وعندما يبحث القارىء داخل المجلة عن المادة الخام لا يجد شيئا . وطبعا فان هذا القارىء ، اذا قدر لهذه المجلة ان تخيب ظنه في المرة الاولى فلن يعود اليها ابدا .

لهذا فيجب ان لا نحمل القارىء وحده المسؤولية . فبعض ادبائنا قد اخرستهم الوظيفة . وبعضهم قد رفع يديه عن الطعام ونفسه تشتهيه، ابتعادا عن « ذباب » الشباب ! وبعضهم قد جرفه تيار السياسة فنسي واجبه . واخيرا جف معين البعض ! وهنا صفا الجو ، واخذت المجلات تصدر ، ولكن قل ان تعثر بين صفحاتها على « شيء » من انتاج ادبائنا « الكبار » ! انالقارىء المغربي يريد مجلة حقيقية تشرف عليها اقلام ناضجة وهو على استعداد تام لشرائها مهما ارتفع ثمنها ، ورغم ظروف المعيشة التي لا ترحم .

المسرح المغربي الحديث

- فلان ، الى أين ؟
- الى مسرح (...)
- ماذا سيقدم اليوم ؟
- مسرحية (...)
- ما اسم الفرقة ؟
- فرقة (...)
- لم اسمع بها من قبل ؟
- انها تقف لاول مرة على المسرح

هذا حوار يمكن ان تسمعه في الشارع بين الآونة والاخرى . وفي كل مدينة مغربية زرتها تواجهك الاعلانات الملصقة بالجدران ، او التي توزع على المارة ، وفيها اعلان لا يخلو من مبالغات مضحكة عن فرقة نجوم.. التي ستقدم المسرحية الخالدة ... بطولة النجم فلان والنجمة فلانة . فلا تخلو مدينة مغربية من عدة فرق ، ولكن هذه الفرق ما تكاد تقف مرة واحدة على المسرح حتىتنسحب من الميدان وهي تجر في الغالب اذيال الخيبة .

فالجمهور المغربي جمهور متذوق حساس . وهذا ما تشهد به جميع الفرق الاجنبية التي تزور المغرب ، فهو لا يمنح التصفيق وعبارات الاطراء جزافا . وهو في الوقت نفسه يعرف كيف يعبر عن سخطه على التمثيليات السخيفة والممثلين السخفاء. وقد حدث مرة ان فرقة عربية زارت المغرب ويظهر ان افرادها لم يكونوا يعرفون شيئا عن الجمهور المغربي فقدموا له مسرحية باردة ، ولكن الجمهور ثار غاضبا وحاول مغادرة المسرح ، فما كان من الفرقة الا ان قدمت رواية اخرى نالت اعجابه



النشاط الثقافي في الوطن العربي

وصفق لها كثيرا . هذا الجمهور المغربي المتذوق ذو الحس المرهف والموهبة الاصيلة ، عرف كيف يشجع بكل ما يملك الفرق المسرحية المؤمنة برسالتها الشاعرة بمسؤولياتها ، العاملة على بناء مسرح مغربي يستطيع ان يمثل هذا البلد العربي احسن تمثيل في تطلعه الى مستقبل افضل.

فرقة التمثيل المغربي

وعندما تأسست فرقة التمثيل المغربي منذ عدة سنوات ، وضمت احسن العناصر الفنية في المغرب، قوي الامل في ظهور نشاط فني قوي يشرف وجه هذا البلد الفتي . ولكن المستعمرين الفرنسيين كانوا اذ ذاك يهيمنون على كل شيء ، وكانوا يفرضون رقابة صارمة على كل مسرحية ، ولا يسمحون للفرقة بتمثيل اية رواية تمس ولو من بعيد صراعنا مع المستعمر . ومقص الرقيب كان يأتي على كل فقرة يمكن ان تنبه الوعي الجماهيري او تثير احاسيسه

وعندما استقل المغرب بعد انتفاضته على المستعمر الفاشم ، تنسمت الفرقة اريج الحرية ، وضمت اليها عناصر اخرى طيبة وقامت ـ تحت اشراف قسم الشبيبة والرياضة التابع لوزارة التهذيب الوطني ـ لتبرز مواهبها المكبوتة فقدمت عدة مسرحيات نالت اعجاب الجمهور المغربي المتذوق . وفي مقدمة هذه المسرحيات ((ثمن الحرية)) تأليف عمانوئيل روبليس ترجمة الدكتور سهيل ادريس . و ((مريض الوهم)) لموليير الخ..

مريض الوهم

قدمت فرقة التمثيل المغربي رواية ((مريض الوهم)) في اطار مغربي خالص . لهجة دارجة مغربية ، جو اسرة مغربية ((شعبية)) مع ادخال الوان من الفولكلور المغربي كالرقصات والاغاني الشعبية . واذا كانت هذه المسرحية قد نالت تقديرا واعجابا عندما عرضتها فرقتنا في ((مسرح الامم)) بباريز ، كما حظيت بنفس التقدير بيوم المغرب بروكسيل عندما عرضت اثناء الاحتفال بيوم المغرب ، فان الجمهور المغربي كان يحس ببعض الضيق وهو يشاهدها . فقد كان يفضل ان يتمتع بفن موليير على شكله الخالد . كما تمتع من قبل بفن عمانوئيل روبليس ، وتشيخوف ، ورايس وشكسبير ، الخ من غير ان يحتاج لكي ينقل له تلك الاثار الفنية الى البيئة المغربية لكي يتذوقها .

عندما قام المرحوم مارون النقاش ١٨١٧ ـ ١٨٥٥ بتعريب مسرحية ((البخيل)) لموليير ، ونقلها الى جو عربي لبناني خالص ، مع ادخال ، الالوان الموسيقية المعروفة اذ ذاك على جو المسرحية ، واقحام بعض النكات والطرائف في الحوار ـ عندما قام مارون النقاش بهذا العمل كان مدفوعا بعدة عوامل اهمها : كون العرب لم يكونوا قد عرفوا المسرح بعد ورواية ((البخيل)) اول عمل مسرحي يشاهدونه . ثم هناك الجو الذي كانت تعيشه الشعوب العربية تحت نير الاحتلال العثماني ، وكيف كانت الجماهير الشعبية تعبر عن الامها في الاهات والمواويل ، والتواشيح . ولم يجد النقاش بدا من اقحام كل ذلك في مسرحية ((البخيل)) كل ذلك ليضمن رضى الناس عن هذا الفن الجديد الذي جلبه صاحبه من اوروبا عندما كان يتقاضى التجارة فيها ولكن مارون النقاش لم يعد الى الروايات الاجنبية ينقلها الى البيئة العربية فقد كان يعلم ان المرحلة الاولى كانت مرحلة تجربة وجس نبض . وقد نجحت ، لذلك خطا خطوة ثانية فوضع مسرحية ((ابو الحسن المغفل او هارون الرشيد)) وغيرها من المسرحيات .

ولكن النقاس توفي منذ اكثر من قرن . وعرف العالم العربي وفي ضمنه المغرب جميع الوان المسرح ، وتذوقها ، وانفعل معها ، وتأثر بها .

وهو الان يتطلع الى اليوم المنشود . ذلك اليوم الذي يتمتع فيه بمشاهدة جميع الوان المسرح العالمي ، وفي مقدمته المسرح العربي ، على ان تحتفظ كل مسرحية بجوها السحري الذي وضعت فيه ، وخلقت له .

ان ((مسخ)) مسرحية ((مريض الوهم)) وتقديمها في ذلك الجو المبتذل والذي حولها الى اسطورة تحمل في طياتها جراثيم موتها ليعتبر اعتداء فاضحا على آثار موليير الخالدة . واظن انه لو عاش لانكرها عندما يشاهدها وقد تحولت الى رقصات ((كناوة)) و ((حيدوس)) . وقد حاولت السينما المصرية شيئا كهذا فاخفقت واكبر شاهد : شريط ((البؤساء)) و ((امير الانتقام)) .

على ان كل هذه الانتقادات لا تجعلنا نسحب ثقتنا من ((فرقة التمثيل المغربي)) والمشرفين عليها . فعسى ان تتحفنا عما قريب بشيء جديد .

هواة المسرح

اما هذه الفرقة التي احرزت على الجائزة الاولى للتمثيل بالفرنسية سنة ١٩٥٧ والجائزة الاولى للتمثيل بالعربية سنة ١٩٥٨ فاعتقد انها ستكون عما قريب الفرقة الاولى في المغرب العربي ، فجميع افرادها وفي مقدمتهم : احمد الحليمي ، وعبداللطيف الحبابي ، ومحمد الوالي ، والحسين المريني ، يملك مواهب فذة ، ومقدرة خارقة ، في تشخيص مختلف الادوار في روعة واتقان .

ومنذ عدة سنوات والفرقة توالي نشاطها واخر مسرحية قدمتها هي مسرحية ((اميرة غرناطة)) مقتبسة عن مسرحية المرحوم الشاعر فوزي المعلوف . وكان الديكور متقنا الى حد اشعر الجمهور بانه يعيش لحظات خالدة في سحر الفردوس المفقود . وكان التمثيل متقنا ، وعرف الجمهور المغربي المتذوق كيف يعبر عن اعجابه وتقديره . وتحت الحاح الجمهور اعيد تمثيل الرواية عدة ايام الشيء الذي لم تحظ به فرقة اخرى قبل ((فرقة هواة المسرح))

فنان عربي

اقام الفنان العربي المصري الاستاذ محمد محمد صبري خريج كلية الفنون التطبيقية بالقاهرة ، معرضا للوحاته في مدينة الرباط . وقد زاره جمهور غفير واعجب بواقعية رسومه الحية ، وكانت لوحاته محل دراسة دقيقة من طرف الفنانين المغاربة الذين رأوا في الفنان المصري فنانا يستوحي لوحاته من الشارع، ويرسم نماذج بشرية قل ان يعيرها الفنانون اي اهتمام .

فاس ـ المغرب   **ادريس ابن جلون**



حول « درب المراهقات »

كتب الاستاذ عبد الجبار البصري كلمة موجزة في العدد الماضي من « الاداب » عن كتابي درب المراهقات . وكانت كلمته هذه عرضا سريعا لم يتناول فيه القصص وانما تناول اشياء عامة لا تمت بصلة الى الوضع الداخلي في القصص . فهو في الحقيقة تناول الاطار ولم يتناول الصورة. وحتى الاطار كان صورة مهزوزة بسبب السرعة التي ليست من صفات الكاتب الكريم - فهو - والحق يقال - من النقاد القلائل الذين يقيمون نتاج الكاتب ويعطونه حقه . وهو هنا لم يعطني حقي بل استطيع ان اقول انه اغتصبه . و « العرض » قد برهن على ذلك . فهو يقول في مقدمة العرض باني استهنت بعقول القراء ، وهذا كلام مردود من اساسه لاني - والكل يعلم - من اجل القارىء فضلت عدم كتابة مقدمه للكتاب لان المقدمة اصبحت عند « البعض » مثل ضرورة الملح للطعام . والكاتب يعرف ما اعني .

ويواصل الكاتب الفاضل فيقول ان ابطال القصص اغلبهم يدورون حول انفسهم وان البعض الاخر منهم لم يرع للدين حرمة وانا اود ان اقول للاستاذ عبد الجبار : ما ذنبي انا اذا كان معظم افراد مجتمعنا هكذا ؟ هذا هو الواقع المر . وهل استطيع ان انقل غير الواقع ؟ اما عن التعابير التي قال عنها انها غير لائقة رغم واقعيتها ، فهذا راي فردي . واقول فردي لان معظم الادباء والقراء يميلون الى الحوار الذي ينبعث من الواقع .

وانا اعتقد ان جملة « بنت الكلب امي ... » يقولها كل انسان اوقعته امه في مأزق حرج ، فبطل قصة « وخفق قلبي » زوجته امه وهو لم ينضج بعد فاوقعته بذلك في حيرة وقلق .. « في رأسي صداع ... سببه .. اظن سببه المرأة الغريبة التي جمعتني معها احدى العمائم .. او قد يكون سببه احد الاصدقاء الذين اثاروا حفيظتي او .. او لا ادري».

فهذا زخم من الداخل .. صراع عنيف .. قلق نفسي جعله يدور حول نفسه ويقول « لا ادري » الكلمة التي يتلفظها الاف من الشباب العربي الذي يبحث عن نفسه . وبطلنا منهم ، شعر باللاشيئية عندما وجد نفسه عاجزا عن اداء واجبه الزوجي فشتم امه .. « بنت الكلب امي كانت تجرني من اذني عندما تراني الاعب بنت الجيران » . وكانت تقول له « عيب ... انت ولد . لا تلعب معها » . فهذه هي امه التي هي ام معظمنا .

اما عن القلق الذي اثاره الاستاذ عبد الجبار فانا اود ان اقول له باني من انصار الرأي الاول . وانا اعتقد ان القلق الذي لمسه في ابطال قصصي ما هو الا جزء لا يتجزأ من واقعنا المر .. الواقع الذي كان مسيطرا عليه القلق الاقتصادي والسياسي والنفسي..

وختاما ، اود ان اشكر الاستاذ عبد الجبار على اهتمامه بالكتاب .. وارجو ان اكون عند حسن ظنه .

العراق - بصره

محمود ظاهر

اعتذار

كان المفروض ان يصدر هذا العدد الممتاز من « الآداب » في اواخر الشهر الماضي ، على ما وعدنا القراء في العدد السابق . ولكن حوادث الشغب التي اثارتها العناصر المأجورة ، بعد انتهاء العهد الشمعوني المجرم ، وما اختلقته عصابات الدس والتفرقة في لبنان - كل ذلك ادى الى الحيلولة دون وصول العمال الى المطابع بسبب قطع الطرق واساليب الارهاب ، فتأخر صدور هذا العدد عن تاريخه الموعود . فمعذرة الى القراء الكرام الذين يقدرون هذه الظروف الطارئة ، وسوف نعود الى الصدور بانتظام ابتداء من العدد القادم الذي يصدر في اواخر هذا الشهر .

« الآداب »

الصراحة في شعر الوجدان النسائي القديم

بقلم سالم علوان الجلبي

عقب الدكتور محمد مندور ((الآداب ابريل ١٩٥٨)) على قول المرحوم الدكتور احمد زكي ابي شادى في تقديمه ديوان الشاعرة المصرية جميلة العلايلي الذي يلمح فيه ابو شادى ثورة جديدة على تلك التقاليد البالية فيجد صاحبته كاشفة في اطمئنان وفي شجاعة عن دخيلة نفسها في صدى احلامها المنغومة . فقال الدكتور مندور :

((ولقد يكون هذا الرأي صحيحا في مجموعه ولكنه من الخير والعدل ان نقر لعائشة عصمت تيمور التي ولدت سنة ١٨٤٠ وتوفيت سنة ١٩٠٢، بانها كانت قد تحررت من هذه التقاليد الغاشمة وقالت في الغزل والحب ولواعجه شعرا صريحا ...)) اه .

ومن الخير والعدل ، ومن تمام الانصاف ايضا ان نبعد في سيرنا عائدين الى مواكبة شواعر قديمات لنجد ان هذه التقاليد الغاشمة كن قد تحررن منها منذ زمن قد يكون بعيدا وقد يكون بعيدا جدا عن ايام عائشة التيمورية . فاذا لم يكن الاسهاب ممكنا في حدود الموضوع فليست الاشارة كذلك على كل حال ، ولما لم يفعل الدكتور ذلك كان دخولي الى الموضوع لعل في ذلك بعض الفائدة .

فما من عجب في ان تحب المرأة ولكن العكس اعجب ، فقد خلقت المرأة ميالة للحب بطبعها فما بالك بالشاعرة .

وحين لا تجاهر المرأة بالحب فمن البداهة ان هذا لا يعني انها غير محبة . ولكن المجتمع وان عرف ذلك يريد من المرأة ان تكبت عواطفها وتدفن ما يعتمل في داخلها من الاحاسيس وما ينهش فؤادها من شتى ضروب العواطف والانفعالات ، حين يبيح لادنى الرجال كامل الحرية في هذا الشأن !!

والنساء يعرفن عن المجتمع ذلك ولا شك ، فيدارى بعضهن المجتمع ويداورنه ويعمد بعضهن الى المجاهرة والمصارحة بكل ما يتيسر لهن من امكان ويلاقين من ضروب العنت في هذا السبيل ما يلاقين .

والشاعرات بعض هؤلاء النساء ، بل هن صفوتهن بالطبع الناطقات باسمهن العاملات على تمثيلهن في الميدان الجنسي . فمن الممض لهن ان يتكبلن بهذا القيد الخانق ويرضخن لهذا الحيف الصارخ عن رضا وطواعية . ومن اجل ذلك يحاولن توسيع الثغرات في هذا الستار السميك كلما تيسر لهن ذلك .

كأن تعمد عائشة بنت احمد القرطبية الى المجاهرة بحبها الذي فضحته الدموع فلم تبق الى ستره عن العواذل من سبيل :

ولولا الدموع لما خشيت عذولا   فهي التي جعلت اليك سبيلا

وحين تثق سلمى بنت القراطيسي بجمال جسمها وفتنته وترى مدى تأثيره وعمق وقعه في نفوس المعجبين ، تبيح لنفسها وصف هذا الجمال الاسر المشهور في بغداد يومذاك بقولها :

عيون مها الصريم فداء عيني   واجياد الظباء فداء جيدي
ازين بالعقود وان نحري   لازين للعقود من العقود
ولا اشكو من الاوصاب ثقلا   وتشكو قامتي ثقل النهود

فهذه العيون الجميلة وهذا النحر الرائع الذي يزين العقود نفسها فيكسبها روعة وفتنة وهذه القامة الرشيقة كالغصن الرطيب تطفح بماء الشباب وتميس بسحر الجمال ، وهي ان شكت الثقل فلا تشكو من الاوصاب وانما كل شكاتها من ثقل تلك النهود النافرة الرعناء . كيف يهون على مثل هذا الجمال الاخاذ الا يجاهر بما حباه خالقه من فتنة ، والا يتمتع بلذة المحب !! وهل الحياة الا الحب ؟ وهل الحب الا الصبا والجمال ؟ واننا لنرى واضحا في قولها هذا مدى ما يعتمل في داخل الشاعرة من هياج عاطفي وغليان وجداني . يضايقها انها تملك كل هذا الجمال ولكنها لا تملك حق التمتع به على الوجه الذي تريد ، فما العبرة في ان يملك المرء ولكن العبرة في حق التصرف بما يملك .

اما علية بنت المهدي ، وهي الظبية التي ترتفع في قصور الخلافة بالنعمة الوافرة والخير الطاغي والترف الصارخ، فيطيب لها عذاب الحب وتسعى جهدها للتمتع بحلوه وبمره وبالوصل منه وبالهجر وبالعتب والرضا . ولا يسعها وهي اخت الرشيد ، الا ان تجاهر بذلك كله وترسم للحب الخطوط العريضة وتشير الى المسالك :

تحبب فان الحب داعية الحب   وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبصر ، فان حدثت ان اخا هوى   نجا سالما ، فارج النجاة من الحب
واطيب ايام الفتى يومه الذي   يروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا   فاين حلاوات الرسائل والكتب

وتشن حمدونة بنت زياد الاندلسية حملتها المهلكة على الواشين بها فتكا ذريعا باسلحتها النفاذة اذ تقول :

ولما ابى الواشون الا فراقنا   وليس لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة   وقل حماتي عند ذاك وانصاري
غزوتهم من مقلتيك وادمعي   ومن نفسي بالسيف، والسيل، والنار

وكيف يثبت الواشون امام سيف مقلتيك ، وسيل ادمعك ونار نفسك الملتهبة ؟.. الا ما اشد فتك هذه الاسلحة يا ابنة زياد !

وهي تشن هذه الحملة الكاسحة لتعبر عن مبلغ نقمتها ومدى سخطها على هذه التقاليد الجائرة والقيود الظالمة التي ترهق وجدان المرأة وتكبل عواطفها وتحملها من جراء كبتها رهقا .

ولكن ثمة اندلسية اخرى وهي ((انس القلوب)) لا تشهر على العذال والوشاة السلاح ولاتفتح معهم للحرب بابا ، بل تلقى السلاح من اول الامر فلا تمارى في واقع ولا تجادل فيما لا يصح الجدال فيه ، فالقضية عندها قد وضحت وبان الدليل:

نظري قد جنى علي ذنوبا   كيف مما جنته عيني اعتذاري
يا لقومي تعجبوا من غزال   جائر في محبتي وهو جاري
ليت لو كان لي اليه سبيل   فاقضى من الهوى اوطاري

اما علية بنت المهدي فلا تعلن على العذال حربا شعواء ، ولا تستسلم استسلام مغلوب . بل تجادلهم بالمنطق وبالعقل وربما جرتهم الى جانبها حين تعلمهم انها منهم وانها كانت قبل الحب في صفهم .. وفي هذا من السياسة الحكيمة ما لا يستبعد من اخت هارون :

يا عاذلي قد كنت قبلك عاذلا   حتى ابتليت فصرت صبا ذاهلا
الحب اول ما يكون مجانة   فاذا تحكم صار شغلا شاغلا

وتضج الصبابة ((بحفصة الركونية)) وتلهبها نار الوجود فترسلها صرخة جهيرة مدوية حين تبعث برسالتها اليه وهي على احر من النار بانتظار الجواب ، ولا تنسى وهي على تلك الحال ان تغريه بمفاتن جسمها

الحلو ليعجل باللقاء ، فما من محب يستطيع الاصطبار على هذه الفتنة الكاوية . وها اننا نرى كيف تنصب المرأة الشباك وتلقى بالحب ، تماما كما يفعل الرجل . وللرجل ادوات صيده وللمرأة ادوات صيدها .

أزورك ؟ ام تزور ؟ فـان قلبـي　　الى ما تشتهـي ابـدا يميـل
فثغري مورد عـــذب زلال　　وفرع ذؤابتـي ظل ظليـــل
وقد املت ان تظما وتضحــى　　اذا وافى اليـك بـي المقيل
فعجل بالجواب فمـا جميـــل　　اباؤك عن بثينة يـا جميــل

اترى اليها كيف تغريه بثغرها العذب الزلال وبفرع ذؤابتها الكثيفـة الفاحمة وبهذه الشهوة العامة التي تنضح من الفاظهـا المتضرعــة المستعجلة لقاءه .. انه الحب ، الحب الذي ملك على حفصة لبها فهامت بحبيبها هذا الهيام المحموم الذي جعلها في اشد حيرة من غيرتها عليه :

أغار عليك من عينـي رقيبـي　　ومنـك ومن زمانـك والمكـان
ولو انى خبأتـك فـي عيـوني　　الى يوم القيـامة ما كفانـي

فان في هذا القول لحرارة وجوان لافحة وصدق تجربة في هذه الحيرة المربكة تعيشها الشاعرة . ثم صراحة لا تدانيها ابدا صراحة اية شاعـرة معاصرة . ومع ذلك فهي لا تصل الى الحد الذي وصلت اليه ولادة بنت المستكفي اذ تقول :

ودع الصبر محـب ودعـك　　ذائع مـن سره مـا استودعـك
يا اخا البدر سناءا وسنـى　　حفظ الله زمانـا اطلعـك
ان يطـل بعـدك ليـلى فلكم　　بت اشكو قصر الليـل معـك

وانت ولا شك تعرف ، بم يقصر الليل على طوله بين المحبين ؟!

ولادة التي تكتب الى ابن زيدون :

ان ابن زيدون على فضـلـه　　يلهج بي شتما ولا ذنب لـي
يلحظني شزرا اذا جئتــه　　كأنما جئت لاخصـى علـي

و « علي » هذا غلام لابن زيدون !!

ولادة التي تقول في ابن زيدون بعد مقاطعته :

ولقبت المسدس وهو نعـت　　بفرج بوران ابوهـا الحسن
فلوطـى ، ومأبون ، وزان　　جاءتك من ذى العرش رب المنن

وتخاطب الاديب الاصبحي بقولها :

يا اصبحـى اهنأ فكـم نعمـة　　وديوث ، وقرنـان ، وسارق
قد نلت باست ابنك ما لم ينـل　　تفارقك الحياة ولا يفـارق

فهل تركت ولادة بابا للصراحة لم تطرقه اوحدا لم تصل اليه ؟! وهل بعد هذه الثورة اللافحة من مجال لثائرة ان تثور الى ابعد منه ؟

اما ام الضحاك المحاربيه ، فهي حين دخلت حلبة الهوى فاقت العشاق جميعا في السباق فكانت الرائد الاول والسابق الذي لا يلحق ، يلبسون ما بلى من ثيابها ويشربون فضل شرابها ويهتدون في الحب بهديها . استمع اليها كيف تقول :

جريت مع العشـاق في حلبة الهوى　　ففقتهم سبقـا وجئت على رسلي
فما لبس العشاق من حلل الهوى　　ولا خلعوا الا الثياب التـي ابلـى
ولا شربـوا كأسا من الحب مرة　　ولا حلوة الا شرابهم فضــلـى

ثم انها لتذهب الى ابعد من ذلك حين تصف شفاء الحب فتكشف عن زيف اسطورة الحب العذرى وتقرر بوضوح لا لبس فيه ان الحب في الحق ان هو الا هذا الحب الجسدي الذي لا يتعدى شهوة الجنس التي تتحكم في الانسان ايما تحكم .. وقد يشفى المريض بالحب حين يأخذ هذا الدواء:

شفاء الحب ، تقبيل وضـــم　　وجر للبطون علـى البطــون
ورهز تهمل العينـان منـــه　　واخـذ بالمناكب والقـرون

وقد جارت الشاعرات يومذاك الرجال في هذا المعترك وسرن في حيثما ساروا ولم يتخلفن عنهم في كل ناحية منه .

ارسل توبة الى ليلى الاخيلية مرة يقول :

عفا الله عنهـا هل ابيتن ليـلة　　من الدهر لا يسري الي خيــالها

فاجابته :

وعنه عفاربي واحسن حــاله　　عزيز علينـا حاجة لا ينــالها

ودخلت ليلى بين النابغة الجعدى وسوار بن اوفى في مناظرة شعرية فحالت الى سوار فهجاها النابغة بقوله:

الا حييا ليـلى وقولا لها هـلا　　فقد ركبت ... اغـر محجلا

فلم تتخلف ليلى عنه بل اجابته بمثل ما قال او باشد منه لذعا :

انابـغ ان تنبغ بلؤمك لا تجـد　　للؤمك الاوسط جعـدة مجعـلا
تعيرني داءا بامك مثـلـه　　واي نجيـب لا يقـال له هـلا

والقى علي بن الجهم على شاعرتنا البصرية « فضل » بحضرة المتوكل هذا البيت لتجيزه :

لا ذنبهـا يشتكـي اليهــا　　فـلم يجـد عندهـا مـلاذا

فاتمت :

ولم يـزل ضارعـا اليهــا　　تهـطل اجفـانه رذاذا
فعاتبـوه ، فزاد عشقـــا　　فـمات وجدا ، فـكان ماذا ؟!

وعتب عليها سعيد بن حميد انها كانت تنظر الى بنان المغني فقالت :

يا مـن اطلت ترسـي　　فـي وجهـه وتنفسـي
افديـك مـن متدلـــل　　يزهـو بقتـل الانفـس
هبني اسأت وما اسـأت،بلى　　بلـى اقـر انـا المسـى
احلفتنـي الا اسـارق　　نظـرة فـي مجـلس
فنظرت نظرة مخطــيء　　اتبعتهـا بتفرسـي
ونسيت انـى قـد حلفـت　　فما عقوبة مـن نسـى

فليست الشاعرات المعاصرات والحال هذه ، هن اللواتي بدأن في تحطيم هذه القيود الفاشمةوالتحرر منها بل سبقتهن الى الثورة عليها ثورة صاعقة جدات لهن سابقات حطمن تلك القيود اي تحطيم وفحشن مع الرجـل في ادبه المكشوف اي فحش . ولعل للترف الذي تميز به ذلك العهد والمجون الذي شاع فيه ، وللتيارات الفكرية المتضاربة المتحررة ، ثم لقرب اختلاط القوم بعناصر من قوميات مختلفة اختلاطا كليا امتد الى جميع نواحي الحياة، لعل لكل هذا كبير دخل في تقبل المجتمع انذاك هذه الصراحة المترفة التي املاها روح ذلك الزمن .. وربما اتخذ المجتمع منها وسائل اثـارة وجدانية او وسائل تسلية وترفيه ، او حتى للهو والعبث .

وعندي ان شوط ولادة والمحاربية ومن سارت بدربهما ، بعيد حقا اجل المرأة عن ان تصل اليه ، فللمرأة حد تكون عنده كالفاكهة الناضجة النضرة تتحرق اليها القلوب وتشتهيها الاعين ، فان تجاوزته صارت كالفاكهـة التي عفنها الفساد تقتحمها العيون وتعافها الاذواق .

وما هكذا نريد المرأة .

ولعلنا بهذا قد اثرنا بعض الجوانب بصراحة لم نكن لنهدف اليهـــا لذاتها ولكن الموضوع حتم ذلك فعفوا ومعذرة

بصره ـ العراق　　**سالم علوان الجلبي**

الوجودية لماذا ؟

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٤٨ ـ

آدم ، حتى رقيها الروحي لدى المسيح ..

ولذلك كان محتما ان يصل عصرما ، في كوكب ما .. الى صلب ربه ، وقد وقع اختيار الله على ارضنا الشريفة ليدبر مقالبه ..

ان الحتمية التي تفرضها المسيحية ، والتي هي الوصول بكل هذه الاثقال من الشرور والخطايا والرغبات الدفينة والمختفية حتى (مدينة الله) : ارادتنا كبشر ومشيئة الله .. الافعال الصادرة عن الادارة هي افعال انسانية لها غاية وقصد ... اما مشيئة الله فهي اختياره الجزافي ، وحكمته التي تعينه وحده ..

فلو كانت الخاتمة والجزاء في مدينة الله وفقا للارادة الانسانية ، فالتاريخ صحيح ، وبدون تناقض ... لان الارادة هي تأمل ثم اختيار داخلي ، ثم تصميم ، ثم فعل يتحقق ..

ان المطلوب الان هو ان نصل بهذه الارادة ، وسط هذا الطريق اليومي الحافل بالمصاعب والعواقب والمغريات والاشواك ، حتى الفردوس السماوي الذي هو جائزة عدم التفاتنا لطبيعتنا بالذات .

والطريق الاخر الذي يصل بالانسان الى النعيم السماوي هو حصيلة التناقض بين الطريق الاولى ، وسبق معرفة الله .. المطلق . الكلي الخالق ..

والمطلوب الان ، للمرة الثانية ، ان نحاول التدليل بحرية اعمالنا ، وانفصالها عن العلم الالهي : لنفترض ان الله يعرف مسبقا انني قاتل حتما لعبد الغفار بن منصور في الساعة السادسة والربع من مساء يوم الجمعة الثامن عشر من اغسطس عام ٢٠٠٢ م .. ايستطيع هذا (العبد الحقير..) الذي هو انا ، محاولة التملص من هذا الحكم الابدي ..؟

تصوروا .. فيما لو مر هذا اليوم الاغبر بدون جريمة قتل ؟! ايستطيع الله أبدا ان يظل فوقعرشه مدللا بألوهيته؟! أيستطيع ان يطمئن على اقداره ..؟ فلماذا نصب آلهنا اذا كان جاهلا بالمستقبل والتاريخ والزمان .؟!

حتمي اذن ان اقتل (عبد الغفار) في ذلك اليوم ، كائنا ما كنت بريئا وغير راغب في قتله ، لان ارادة الله نافذة . آمرة . حتمية ...

تطبيق بسيط جائز من المسلمة الاولى على المسلمة الثانية يتيح لنا ان ندرك التناقض كله : ايستطيع انسان ان يكون حرا .. بمعنى ان تنفصل افعاله عن تاريخه المكتوب والذي يعرفه الله حرفا حرفا .؟!

غاية في الاستحالة ..! لانه متناقض ان يكون الله وجودا ويصبح الانسان حرية ..!.

لذلك فالتاريخ المسيحي محاولة للتنصل من العبء الذي اختار البشر ان يحملوه فوق أكتافهم : الحرية الانسانية ..

فاذا لم يكن الانسان حرا من الفكرة المسيحية ، فهو تابع للضرورة الالهية ، وبذلك يصبح التاريخ ماء يسيل فيمجرى محفور منذ البداية ، ويصبح التاريخ ماء يسيل في مجرى وننتقل مرة ثانية الى الميتافيزيقا الغيبية التي تحاول ان تفسر كل شيء .. بأشياء لا شيئية لها ..!!

التاريخ من وجهة نظر مثالية

القرن التاسع عشر هو قرن فلسفات التاريخ التي تجاهلت الفرد وأقامت فروضها على أساس (الحقائق العلوية التي تفرض على الافراد طريقة سيرهم في الحياة ومشروعاتهم) (٢٥) .. وعلى اساس من هذه الحقيقية اليسيرة أصبح اختفاء الفرد من فلسفات (هيجل . كونت . ماركس) طبيعيا ولا شك فيه ... فجميعهم يصدرون عن فكرة (هيجل) في التاريخ ، وان زعموا العكس ، فالضرورة الميتافيزيقية في مذهبه ، تصبح الضرورة الطبيعية في المذهب المادي ، وضرورة النمو العلمي في مذهب (كونت) على حساب عزل الفرد .

ان الامر هو كما يلاحظ (بريبه) بحق : ان فكرة العلاقة بين الانسان والتاريخ لم تتطرق الى التفكير الغربي الا بعد مجيء المسيحية ..» ذلك ان المسيحية هي التي نظمت وجود الانسان على اساس من خطيئة آدم في البداية ، ثم الثواب والعقاب في النهاية ، واصبح التاريخ مسارا معلوما مرتبا ، بدىء به منذ الازل ، ويظل في ارتجاف وتخبط وحركة دائمة ، حتى نهاية الوجود وبدء اللحظة الخالدة .. ولذلك فالتاريخ المسيحي « يرتبط بالمستقبل على وجه الخصوص .. » (٢٦) يرتبط بتلك اللحظة التي تبدأ عندها الحياة الجديدة في تصور المؤمنين ! فكل تصرف عرضي للفرد في الزمن الراهن ، مصحوب برعشة أبدية أساسها الاخلاق المسيحية ، وعقابها نار السماء المصلتة على الرؤوس كمقصلة الثورة الفرنسية الانسانية .

ولم تكن الفكرة المثالية عن التاريخ الا صدورا مباشرا عن الفكرة المسيحية ، فالاله المسيحي موجود في صورة اخرى ، والضرورة المسيحية موجودة في شكل آخر ، حتى في الفلسفة المادية التي لا تستطيع ان تنفي صدورها المباشر عن الفلسفة المسيحية ذاتها ..

ولذلك فأنه عسير ان نحاول استخلاص فكرة للتاريخ عند (هيجل) مخالفة للفكرة المسيحية ...

---

(٢٥) اتجاهات الفلسفة المعاصرة ص ٥٤

(٢٦) المصدر السابق ص ٥٨

فانها تمثل واضح للتفسير اللاهوتي لتتالى الحوادث (٢٧)

ان العقل هو الحقيقة التي تدل عليها اوضاع النجوم والكواكب ، وتلاحق الصباح والمساء ، وامتدادات الفضاء الزاخرة بأنواع الشموس والسدم .. انه « المضمون اللانهائي ، اي انه كل ماهية وكل حقيقة ،وهو مادته الخاصة التي ينشئها لذاته بنشاطه الخاص . انه لا يحتاج كالفعالية المحدودة ، الى مواد خارجية . انه المادة التي يصوغها من اجل نفسه .. » (٢٨)

ان العقل يدبر الكون ، ويدبر التاريخ .. لانه الذي « يتألف منه القوانين الثابتة التي تحدث بموجبها حركة النظام الشمسي .. » (٢٩)

ان كل فعل ، وكل حركة ، كل نبضة قلب ، وكل خفقة مادة في عروق نبات .. كل اشارة انما هي فعالية للسببية التي تفسر كل شيء . انها دلائل عقل يعمل بدون لفتة من مصادفة ، وليس الكون الا حركة متجهة نحو الوحي الكلي ، او العقل الذي هو بدون تحديد ، وبدون تاريخ ..

ان هذا التطور نحو الفكرة (لايتحقق عن طريق المصادفة، وانما وفقا لقوانين منظمة حتى لا يمكن لشيء أن يبدل فيه) (٣٠)

ان (هيجل)يحاول ان يدل بوجود اشارات رئيسية في خط التطور البشري ، فكأنه يشكل الاساس الاول للمنطق التاريخي المادي ، انه يتصور الظواهر الفردية ، بكل ما فيها من تناقض وتنافر واصطدام ، وجزئية .. كيانا واحدا يتحقق من خلال تناقضاته .. من خلال تعدداته ، فكأن الظواهر هي بدون حساب ، هي وسيلة نحو كسب الكلية (الالهية عند هيجل ، واللامنطقية المشاعية عند الماديين). ان الارادة البشرية هي بدون عمل في فلسفة (هيجل)، بدون سلوك ارادي طالما يشرف على كل شيء منطق الفكرة الخارج عن البشر ، وان العمل الانساني الذي هو التقاء بريء بالمادة وتحقيق واضح للمنفعة ، يصبح هنا في هذه الفلسفة الملتوية، اشارة نحو كلي يبزغ في كل تحقيق جزئي.

ذلك لان فكرةالكلي الفلسفية هي نتاجمباشر من منتوجات ذهن متصور ، أذ لم يكن منطقيا ابدا ان يكون هذا العالم وهذا الوجود الثقيل صورة من لا شيء ، مندفعة لاقرار تخطيطات جزئية وشخصانية ، ولا تجمعها مدركات واحدة ..

ان الكون هو وحدة ، وهو طريق نحو لا نهائية تتخذ احيانا شكلها الختامي في صورة تصوف ، واحيانا في صورة فكرة غير الهية تدفعها يد الضرورة (٣١)

ولذلك اتخذت مثالية (هيجل) طريقا يؤدي الى خنوع الانسان ازاء القصد الكوني .. على كتف منحنية ، هي بتر حرية الانسان (٣٢) ...

ويصبح نابليون والقيصر ، هما التاريخ العام بدون نابليون وقيصر ... هما التاريخ الذي كان لازما وجبريا ان يوجد في هذه الصورة « ان الرجل العظيم هو الصورة المعبرة عن فترة الزمن التي عاش فيها ، وليس في عمله سوى احدى الوسائل التي يستعين بها الروح العام لتحقيق غاياته (٣٣) »

لان العقل يحقق غاياته بطريق الرجال العظام احيانا ، وبطريق الثورات الجماعية أحيانا أخرى .. ويصبح اختيار الفرد لحزب من الاحزاب بوعيه ومنطقه العقلي ضرورة الهية! ولكن لنلاحظ ان التاريخ عند (هيجل) لا يهتم الا بالحركات العامة ، مؤكدا ابتعاد نظرته عن التحققات الجزئية ، (فالنازية) هي خطوة نحو الكون الالهي لانها حركة عامة ، شاركت في اخضاع نظرات اخرى .. اما اختياري انا الشخصي لواقعة تخصني ، فان التفكير الهيجلي ينحيها جانبا لانها برغم انها مشاركة في الكيان العام ، الا ان خصائصها الجزئية تفصلها عن هذا الكيان بشكل باتر ...

ولذلك فتنت (هيجل) حضارة البحر الابيض، حضارة الفتوحات ، حضارة الاسكندر والرومان ، ولم تفتنه حضارة الهند والصين ، لان المطاف الحضاري لثقافة البحر الابيض ينتهي الى (العالم الجرماني) حيث تم الفوز للروح في هذه المرحلة النهائية العليا (٣٤) ولان الحضارة الاسيوية كانت حضارة افراد او (حضارة استبداد حيث يتمتع فرد واحد بالحرية)(٣٥)وحيث يصبح هذا النظام تحقيقا للمرحلة الطفولية في واقع الحكم ، والذي يصل في صورته النهائية

---

(٢٧) . لا نستطيع – لضيق المجال – ان نعود لفخته وشلنج ، اللذين يصدران عن فكرة مشابهة .. فهيجل يمثل الفكرة المثالية في أعلى صورها وارقى تعدداتها .. غير انه لا يمكننا التثبت من ان (العقل الهيجلي) هو (الله المسيحي) ذاته ، برغم تشابههما ، وعلى هذا فسوف نفترض اختلافهما الدرجي البحت ، لغرض واحد ، هو ان نحاول التدليل عن طريق (هيجل) نفسه ، بأن التاريخ المادي ليس في النهاية الا التطبيق العنيف للمنطق المثالي ذاته ...

(٢٨) (٢٩) (هيجل) أندريه كريسون . اميل برييه . ترجمة الدكتور أحمد كوى صفحات – ١١٤ – ١١٥

(٣٠) المرجع السابق ص ٣١ . لاحظوا اتفاق المثالية والمادية على هذا النص ..

(٣١) هذه التفاسير التي ارادت الا ينفرد الانسان بواقعه الذاتي ، والا يكتشف وجوده في الكون .. وجوده الغريب ، الصدفي ، والذي كان ببساطة تدعو للدوار ، متوقفا على مجرد نزوة رجل وامرأة .. اب وام ..

(٣٢) بيد ان الشعوب والافراد لا يدركون السبب الحقيقي الذي يفعلون من اجله ما يفعلون . هم يظنون انهم يعملون من اجل انفسهم، ولكن الحق انهم لا يعملون من اجل انفسهم فقط وانما يتضمن عملهم افعالا تفسر بالمهمة الملقاة عليهم من قبل الكون .! ص ٦٦ (هيجل) الا تدلنا هذه العبارة الصافية بميتافيزيقية (هيجل وماركس) .؟!

(٣٣) ص ٧٠ المرجع ذاته .

(٣٤) ص ٦٧ المرجع السابق

(٣٥) وربما كان من الافضل ان نشير بقراءة (كاليجولا) لالبير كامو . فالفرد الوحيد الحر الذي يعنيه (هيجل) هو الدكتور . الحاكم المطلق الذي يريد (القمر) ويأمر وزراءه بالثرثرة ، ثم بالكف عنها ... ثم يتفوه في النهاية بهذه الكلمة النادرة : « انني برهنت لتلك الالهة الزائفة ، ان الانسان – لو صدقت ارادته – يستطيع دون تلمذة ان يمارس مهنتهم المضحكة .! »

الى (ارادة الحاكم وارادات المحكومين الحرة ..) !

وهكذا تصبح مثالية هيجل في خاتمة المطاف قريبة الشبه جدا من المثالية المسيحية ، ان لم تكن هي.. وغير بعيدة ابدا عن مثالية الماديين التاريخية (٣٦). انها شكل واحدلكل هذه التطبيقات التي تحلم بصورة مسبقة للعالم، والتي هي نتاج لا شك فيه لاحلام ورغبات ذلك الكائن الذي سجد للشمس والفضاء والنار والبقر والله .. ثم المادة أخيرا .. ولما كان عسيرا على الانسان ان يتصور وجوده في الكون غير قصدي ، فانه يشكل اكوانا صوفية ، خلال غيبوبة او ملاحظة لتهرؤ طبقة !! ..

***

التاريخ من وجهة نظر مادية

لا بد أن نفرق في مجال التاريخ المستقبلي بين الانتظار والتوقع . فالانتظار هو حتمية حدوث واقعة ضرورية لا بد منها ، كالوصول الحتمي لقطار الاسكندرية في الثامنة مساء .. والتوقع هو امكان حدوث واقعة مجفلة عرضية.. كخلل في قطار الاسكندرية يمنع حضوره ويعطله لفترة !.. الانتظار مقنن ، مدروس . مرتب . رياضي ولذلك فهو علمي ..

التوقع فجائي. حادثي . جانبي ولذلك فهو غير علمي ، انه رهن بمصادفة.. ببقرة شاهدت فيلحظة نادرة مجموعة من العشب الطري على طرف قضبان القطار !..

ان وثوقنا من وصول قطار الاسكندرية في الثامنة يدفعنا الى اتخاذ سلوك معين تابع لوثوقنا بالذات ، فنحن نرتب حقائبنا ، ونودع اصدقاءنا واحباءنا ، ونلتهم لفافات تبغنا كلما دنت الساعة .. اننا نتوجه بكل طاقاتنا الى التخلص من اعبائنا كيما نواجه عبئنا الاخير.. : الرحيل !. اننا (نعمل) للسفر ، لاننا واثقون من مجيء القطار ، بيد اننا نشك احيانا في امكان وقوع حادث للقطار يمنع حضوره ، ولكن هذا الشك الذي هو عرضي ، لا يدفعنا الى اتخاذ سلوك ايجابي ازاءه .. أي ان توقعنا لحدوث الخلل في القطار لا يدفعنا الى أن نعيد حقائبنا للسيارات ، او ان نمزق تذاكرنا ، ونعود الى بيوتنا .. اننا لا (نعمل) كذلك ، لان التوقع ليس دافعا الى الفعل ، ليس مشروطا ببعدية سلوك فعلي ..

والان !.. هل نتوقع أم ننتظر مجتمعا شيوعيا ؟!. ان سلوكنا الفعلي ازاء هذه الحقيقة التاريخية سوف يدلل بموقفنا من النتيجتين (التوقع ـ الانتظار) اذا كنا ننتظر هذا المجتمع فهذا يعني اننا قد أطفأنا لفافات تبغنا ، واعددنا حقائبنا ووقفنا بانتظاره .. بانتظار وصوله الذي يصبح غير مرهون بارادتنا ...

ان انتظارنا لهذا المجتمع هو مؤكد ولا سبيل الى رده .. انه حتمي ..

ولكن العلم الذي هو سلوكنا الفعلي لاقرار ذلك المجتمع ، ليس منظما ، ليس رياضيا ، ليس تابعا لخطة وقصد ورسوم ...

ان العلم في صورة الانتظار هو سلوك منظم وكشف منظم وتدليل منظم ... ولكنه في صورته الحالية سلوك فردي ، وكشوف فردية ، لا يتبع الكشف فيها الاخر ولا يواكبه .. انه باستمرار تابع لمجهودات العلماء الشخصية وامزجتهم ، انه يقترب من الاجتهادات الفلسفية المتعارضة والمتناقضة ، والهادم بعضها البعض (٣٧) أن العلم يصبح في هذا الشكل الغريب جزئيا وملتويا ولا قصد له .. انه يوارى اخطاءه أحيانا ، ولا يستطيع وضع مثل هذا القانون (٢+٢=٤) لانه عسير لديه ان يؤكد ظاهرة ... خلا الظواهر الكيمائية والكيمائية الطبيعية ، لانها في النهاية نوع من الرياضة السابقة تحصرها قوانين تشبه القوانين

---

(٣٦) لم تستطع الفلسفة المادية ـ وهي النتاج المباشر عن افكار هيجل ـ ان تتخلى عن فكرة المطلق ، نواة التفكير المثالي ، فحاولت ان تنشىء مثالية داخلية بشجبها للمطلق الالهي الميتافيزيقي ، وخلقها للمطلق الطبيعي الذي هو التطور المحدد للطبقات في المستقبل ، بدون ان تتدخل ارادة الانسان وقصيدته .. »

(٣٧) ما زال العلماء في مجادلات عنيفة حول نظرية التمدد الكوني ، ونظرية الموت الحراري ، وحول كيان المادة على العموم . يراجع السير جيمس جينز ، ومنكوسكي ، وجارودي ..

الرياضية تماما : الجليكوز تحضير مباشر عن الجليكوجين .. اذا امتزجت وحدتان من كتلة الهيدروجين مع ١٥،٥٦ وحدة من كتلة الاوكسجين لتأليف بخار الماء ، فستنشأ خلال هذه العملية كمية من الحرارة هي ٦٨،٩٢٤ وحدة حرارية ..

ان الزمن يثبت خطأ فرضية العلم الانتظار ، فكل عالم هو دنيا كاملة ، مفصولة عن كل العوالم الاخرى ، لها منطقها وملاحظاتها وادراكها ، لذلك يحدث ان تصبح السلفا التي كانت في البدء عقارا لا بد منه في شفاء حالات معينة ، مهلكا للكليتين .. ويصبح البنيسلين الذي ادى اكتشافه الى تأليه مكتشفه وحيازته لاكبر جائزة علمية ، عقارا يستعمل بحرص وضآلة شائنين ..

يكتشف الراديوم من اجل استعمال مباشر ضد تكيفات السرطان الاخطبوطية ، ولكن للراديوم الذي يفتك أحيانا ببعض الخلايا المتورمة ، تأثيرات غامضة وغير معروفة في الاجزاء الاخرى للجسم البشري ، وقد يكون لها من الضرر تأثير مباشر وفعال ... وذلك لان الاخصائي يعتمد فعالية الراديوم - في - السرطان - وليس في اي شيء اخر .. وهذا التجزيء الشائن ، ودعوى الاختصاص هو علامة واضحة الدلالة بعجز العلم عن الكشف والفهم ، بدون ان يجرؤ على مس الكل في وحدته العميقة .. وهو لكيما يضع قانونا عاما ، لا يستطيع أن يمنع يده عن التفتيت والتهشيم كي يجمع قانون كل جزء على حدة .. ومن هنا يصبح الاختصاص الذي هو شفاء جزء ، مرض جزء اخر .. ان مثل هذا التفتيت يمنعنا ان نعلم بصورة اكيدة تأثير الراديوم في الغدة الصنوبرية ، أو في الجينس او العصب السمبتاوي ، لاننا نملك معرفة كل جزء على حدة ، ونضع لكل مرض دواء خاصا لا نعرف اثره في الاعضاء الاخرى ، لان علمنا هو علم اختصاص ، علم جزئيات ، ومن ناحية اخرى يظل العلم تابعا لمشيئة العالم ، وذكائه الخاص . أنني لأجرؤ على ان أقول ، ولذلك فالعلم ليس الا علم العالم ذاته ... علم فلمنج وملتزر وشاركو .

انه يظل مرتبطا بمزاج العالم ، ونفسية زوجة ، ومشيئة عشيقته ، او مرض كلبه الفالدمان الرائع .. ذلك لان نظامه الذي يتبعه في اكتشاف قوانينه متوقف على مصادفة ، ومترتب أحيانا على حساب أضيف اليه من همسة مساعد او اضطراب كف ...

وتدلنا حوادث عديدة بان مختبرات التحاليل تصادف كثيرا ، قوانين يكشف عنها بواسطة اخطاء اختبارية ، ولذلك فالبحث العلمي تابع للمصادفة ، وللخلط ..

ان هذا (التوقع) الذي كنا نود لو ينبىء عن موقف ذي اتجاه علمي رياضي ، يحيلنا الى نوع من السلوك المتضارب الذي يستحيل ان يدل بخطة متزنة . سليمة . عقلية رياضية .. انه يظل عملا قابلا للرفض او التنقيح ..

فاذا كانت الرياضيات ، والتي هي عالم حتمي وكامل يدل احيانا بخطئها البالغ ، وان الاكتشافات المتأخرة لتكافؤات الكتلة والطاقة ، والهندسة الفضائية ، والزمان النسبي ، تقضي القضاء المبرم على الرياضيات القديمة .. الا يدل هذا المثال الذي هو ثقيل ومضن ، على انه من الممكن ان يصبح علمنا نفسه الذي هو علم مصادفات مشكوكا في تأثيره ؟!

ولذلك فان علمنا هو اخيرا علم توقع ، علم حادثة قد تقع فجائية ، عرضية ، لا تحتم سلوكا معينا ازاء حالة التوقع التي يفرضها (٣٨) ، فاذا كان التاريخ (توقعا) مستمرا وزمانا مفتوحا لكل بطولة وكل خيانة ، فانه يفضي في النهاية الى عدم ارتباط غده بأمسه . ان الزمان الآني يستطيع اثر كل تحديد طاريء ان يهدم القصدية الموضوعة .

أكانت خيانة يهوذا ضرورية ..!

لقد ظلت مصر القديمة ، والتي وحدها (مينا) الملك ، قوية راسخة ، حتى هجم عليه في صباح أغبر وحش من وحوش الماء قضى عليه ، وكان سببا في قلقلة مركز أمة بكاملها .. لنفكر في (ليرمونتوف) الشاعر الروسي الرائع ،

---

(٣٨) « ومنذ عهد قريب ، قامت الميكروفيزياء ، وضربت ضربتها القاضية على ما كان يعتبر مسلمة اساسية في العلم ، ونعني بذلك قانون الحتمية .. صحيح ان الاسباب ذاتها تولد النتائج نفسها في مستوى معرفتنا ، بل على الاقل في مستوى العالم الفيزيائي ، وصحيح ايضا ان تأثير الاسباب الفاعلة ، في ظروف مشخصة واحدة ، لا بد له من ان ينتهي الى محصلة واحدة .. بيد ان هذا الضبط لا يصح في مستوى الميكروفيزياء ، فكما أظهر (هايزنبرج) Heisenberg ، يستحيل علينا ان نقيس بصورة دقيقة ، كمية من الحركة التي يقوم بها جسيم بسيط وان نحدد في الوقت عينه موضوعه في الموجبة المرتبطة به ، بحسب الميكانيكا الموجية التي نادى بها (لويس دو بروجلي) فكلما كان مقياس موضعه دقيقا كان هذا القياس عاملا في تعديل الحركة ، ومن ثمت في تعديل سرعة الجسم بصورة لا يمكن التنبؤ بها » ص ١٣٠ - ١٣١ الديالكتيكية (بول فولكييه) تعريب تيسير شيخ الارض

اما كان حتميا لو لم يقتل من مبارزة هوجاء ان يتغـير الشعر الروسي جميعه بتأثير عشر قصائد جديدة من عبقريته الملتهبة ؟!.

ما الـذي يجعل حدثا ما منتظـرا ويقينيا في المستقبل؟ ما الذي يجعلنا واثقين من وقوع أمر ما في الازمنة القادمة المجهولة ، والتي لم تكشف لاحد أبدا ؟!

اولا ، هي تجاربنا ، فعندما نضيف مقدارا من كذا الى كذا فان الناتج هو كذا ، فاختباراتي تدلني على ما يحدث في المستقبل في نوع معين من المستقبل !.. الريـــاضي . الكيميائي .. الذي يندفع عنصر فيه ميكانيكيا الى الالتقاء بعنصر اخر يتألف منهما عنصر ثالث اعرف وزنه وطبيعته .

اي ان السبب الاول مشروط بالارادة والفعل البشريين.

اما السبب الثاني فهو ملاحظتنا (وان لها لدرجة تقرب من درجة التجربة ، غير انها تخلو من العمل الارادي الموجه) اننا نلاحظ ان الطبيعة تتخذ أوضاعا ذات تصاعـــدات تطورية ممكن قياسها ، في ظروف علمية معينة .. وهـذا النوع من المعرفة المستقبلية مقتصر على الملاحظة ، بدون ان يكون لارادتنا دخل ..

لنلاحظ ان نوعين من المعرفة ينشآن للتدليل على نوعية التاريخ المستقبلي احدهما ارادي خاضع للرياضة والتنفيذ العلمي ، والاخر غير ارادي . خاضع للملاحظة البصرية ..

فرق واضح بين معرفة (الارادة) ومعرفة (الملاحظة) فالاولى بشرية ، والثانية فوقية خاضعة لقوى غير منظورة.

فاذا لاحظنا ان خطأ صغيرا جدا في مقدار المادة المضافة الى مادة اخرى في المعرفة (الارادية) ينجم عنه تغيير وتبديل هائل في (كيفية) المحلول الناتج عن العملية الكيمائية مؤلفا الجانب الشكوكي من معرفتنا .. فهلا نستطيع تصور الاخطاء الكبيرة التي تضيفها معرفتنا الحاسية الى معلوماتنا وادراكنا ؟!

ان المعرفة الارادية مشروطة برغبتنا ، بعنف رغبتنا ، وعملنا ، عملنا العنيد الواعي .. اما المعرفة الملاحظة فهي التي تنبئنا عن قرب غروب شمس أو مدى تقدم عاصفة انها معرفة لا تهتم بالانسان ، وهي تعبر عن حتمياتهـــا بلغة الطبيعة ، في ظواهر الاشياء : في تراجع كلابتي الجليد عن قطبي الارض ، في التنبوء بالمسار الاهليلجي لكوكـب متعثر .. ولكنها لا تدخل في عالم الانسان الذي هو ارادة لانه يغير بذاته طرقه ووسائله وحكمته ..

فبأي وسيلة من هاتين الوسيلتين يصبح التاريخ خطـا موصولا قصديا لاقرار المجتمع الشيوعي.. بأي معرفـة من المعرفتين ..» (٣٩)

(٣٩) انه ليغير من الامر كثيرا ان نذكر بمحاولات (النازية)و(السوفييت) الناجحة في تغيير التاريخ بالنسبة للامتين الجرمانية والروسية ، وخاصة في أذهان الشبيبة الناشئة ، فالعالم عند الجرمان هو ارتقاء العنصر الاري، اما العالم عند السوفييت فهو رقي البروليتاريا ، وواجب ان نذكر بنجاح هذه المحاولات التي يحققها مؤرخون يتعمدون اثقال الحقيقة الماضيـــة بما لا تستطيع حمله ، اي باضافة الخط القصدي للمسار التاريخي ..»

انها تزعم بان معرفتها هي (نبوئية) . اي تابعة للملاحظة ولذلك فهي فوقية طبيعية !

ولكن المعرفة الطبيعية لا تؤثر في الانسان مباشرة ، كمـا تؤثر فيه معرفته الارادية ، لان للمعرفة الاولى ميدانا وحيدا هو السحب ، الكواكب ، زهور الجاردينيا . جبال الانديـز والسييرانيفادا !.

اما تغيير الانسان ووضعيته ، فهو خاضع حتـما لارادة الانسان . ان المجتمع الشيوعي يدلل بان المجتمع الانســاني متطور في هيجلية لا بد من تحقق طباقها الثالث الى مجتمع بدون طبقية ..

لا يخضع هذا الزعم الى المعرفة الارادية ، لانه يتخطاها ، ولا يخضع للمعرفة الثانية ، الخاضعة للملاحظة ، لاننا لا نعرف سوابق لها في التاريخ ، ولا ندري اذا كانت اللاطبقية هي الصورة المثالية لما يجب ان يكون عليه عالمنا ! لان الصورة الوحيدة للاطبقية كانت ايام شيوعيتنا الاولى ، وهي فترة ــ بدون شك ــ من أظلم فترات تاريخنا ..

ان المجتمع يتغير ، وتغيره ناجم عن تطبيقات علم الانسان في المجتمع ، وعلم الانسان في المجتمع خاضع لتجـارب العلماء الفردية ، وتجارب العلماء الفردية خاضعة لامزجـة العلماء ومصادفاتهم وتدخلات امور جد عديدة !

فحتى علمنا الارادي الاكيد ، يصبح تابعا للمصادفة التي تتدخل بصورة قلابة ، وبعيدة عن ان تكون تنفيذا لخطـة تجرى عليها اوضاع الاشياء وقوانينها ..

وان التدليل (العلمي) ! على لا طبقية المجتمعات القادمة، لا يحتاج من البراهين الناقدة الا القول بحرية الانســان ...

فاذا قالوا معنا بحرية الانسان : هذا الخالق الذي امكنه ان يدبر في كوكبه وسيلة عيشه ، اصبح قولهم متناقضا ازاء فكرتهم الاساسية التي هي أثبات ضرورة ميتافيزيقية خارجة على ارادة الانسان الراهن،والذي يكشف فيكل لحظة الاشياء .. فاذا قالوا بعبودية الانسان،يصبح قولهم متناقضا مع الواقع الانساني الراهن ، والذي يكشف في كل لحظة عن الحرية التي (بلى) بها البشر ، والتي يحملها كل فـرد كالعبء الذي هو مسئولية ضخمة قاهرة ، نافذة في كـل فعل ورغبة واشارة !..

***

التاريخ والزمان الوجودي

ان معنى المفارقة عند (هايدجر) هو ان الانسان ليس كائنا مغلوقا على ذاته ، بل هو حركة دائبة نحو العالـم والاخرين .. ولذلك فهو الموجود الوحيد الذي يمكنه ان يحقق (التعالى) بحسبانه شروعا لتحقيق الامكانية الوجودية في المستقبل ..

أن التاريخ هو حكاية مواجهة المصادفات، والمواقف التي تحدث في زمان .. وهذه المواجهة المستمرة ، تحدد زمان الموقف في الحاضر .. الذي هو الزمن الوحيد المملوك ... على عكس فكرة (هايدجر) الذي يؤخر الحاضر بعد الماضي

والمستقبل (٤٠) ... ان الحاضر هو تكييف المستقبل ، والماضي معا ، على اساس انه الزمن الذي تتحدد فيه الحرية ..

ولكل مواجهة فردة ، سبل عديدة للخلاص ، غير ان التقرير متروك لحرية الانسان ، الذي يختار قدره الخاص . ان الانسان يتخير اسلوبه كموجود في العالم ، وهذه الحرية ليست حرية الملك ، بل هي حرية الاختيار ذاتها ، (وهذا النص الذي يبدو مقلقا في البداية ، وباعثا على الشك ، هو حسنة لهذا المذهب الذي لا يدعو الى الامتثال بقدر ما يدعو الى العكس) والا وقعت الفلسفة في التحديدات التي تخطط للسلوك ، وتسقط الفكرة وتدنيها من حتمية النص القانوني الصارخة ..

ان الكوجيتو الديكارتي الذي كان فضله ان اكتشف الذات ، يجدهنا منفذا جديدا وهو اكتشاف الاخرين عبر اكتشاف الذات ، وهذا المنعطف الباهر ، الذي اخر تقدم المثالية ، يوضح الانفلاق الذي تم بين النظرة المثالية للاخر ، والنظرة الوجودية (عندما نقول الوجودية فلسنا نعني سوى الوجودية الملحدة ، ووجودية ميرلوبونتي ، والتي لا تصدر بعكس الوجوديات الاخرى ـ عن مواقف مثالية)

ان حياتنا هي مشاريع وجود ، وهي مقذوفة ابدا ـ في ـ المستقبل ـ من خلال اللحظة الحاضرة الحاسمة ... وهذه الاختيارات توضح مقدار الحرية الممنوحة للفرد ، وبالتالي مقدار مسئوليته .. فلا يمكنه من ثم ان يتراجع الى الماضي كي يقيّم مستقبله (كما يفترض هايدجر) ولا يمكنه كذلك ان يتألم او يستنكف من ماضيه ، فلقد كان حرا عندما اختاره .. ولم يفرض عليه دين او معتقد .. ذلك القرار الذي اتخذه ازاء موقف ما .. (من هنا ارتباط الاخلاق بالحرية)

ولذلك تنشأ لحظة جديدة تنضاف الى مجموع اللحظات المكونة للماضي (التاريخ) ولكن .. هل يصبح التاريخ مجرد سرد ميت لحكايات ماضية ؟!

أبدا ... ما دام الانسان لا يستطيع ان يحدد ، كما تحدد الساعة الآلية (بغباء وجفاف) مقدار اللحظة والزمان ... انه يظل ابدا هذا السيال العجيب من ديمومة اللحظات ... ولذلك يضحي الارتداد الى الماضي ارتدادا الى التاريخ .. لا لتقييم لحظة جديدة ، بل لمجرد الاغتناء منه ، والامتلاء من فيضه ..

مسئولية الانسان تحدد التاريخ ، والانسان مسئول عن ذاته والاخرين ، وهو في اختياره لذاته ، يختار ضمنا للاخرين ، ولذلك فالتاريخ الفردي يرتبط اساسا بالتاريخ العام ، ويصبح الزاما للكون ..

التاريخ هو زمان مفتوح لكل بطولة وكل خيانة .. لكل فعل ، وعلى الانسان « ان يصنع مصيراً بكرا ينتظره (٤١) .. ووعى الانسان لمقدار ارتباط مصيره بفعله ، اي بارادته ، يوقعه في الاحسس بالهجر .. الاحساس بالتوحد ... بأننا متروكون لاقدارنا .. ! اننا آلهة هذا العالم !. هذا المصير هو الذي يخلق الهلع لفرط هذه الحرية المعطاة للانسان ... « نحن نعرف ان اقل حركة تصدر عنا ستعين على صوغ التاريخ ، وان اشد ارائنا شخصية ستساهم في تكوين هذا الفكر الموضوعي الذي سيطلق عليه المؤرخ عبارة (الفكر العالم لسنة ١٩٤٥) .. » (٤٢)

ان الكشف (الكانتي) لعلاقة الذات بالاشياء ، هو كشف يمنح مثاليته النقدية اهميتها ، غير انه يوقعها في مجردين: الشيء في ذاته .. والمعرفة القديمة التي تعيد صوغ سؤالها المعجز محرفا : اهو الانسان من يخلق (صورة) العالم ؟! « ان الوجود المعين هو كون الموجود مفتوح النافذة على الكون ، ولكنه مضاء من الداخل ، وهذا هو معنى (الانفتاح) ، ولذلك يشعر الانسان بنفسه ويتنبه لوجوده من طريق احساسه فجأة بأنه موجود هنا وبأنه شيء خيالي منعزل ، ولكنه سرعان ما ينكشف له أمر نفسه بفضل قدرته على الوصول الى اقصى حدود نفسه وبفضل مجهود يجلى له الحرية الموجودة فيه والملازمة له ، فالانسان متقدم على نفسه دائما وهو يقف أمام نفسه (٤٣)

ان التاريخ هو مقدار الحرية التي يتحقق بها الفعل الانساني في الزمان .. ولذلك ترفض الوجودية كل فكرة مسبقة له ، طالما الارادة البشرية هي التي تصنع التاريخ .. فليس هو الانتصار الحتمي لطبقة العمال ، وليس هو فكرة الخلاص .. لانه ليس الا لحظة معروضة للامتلاء ، وهي طواعية وامتثال للافعال المصحوبة بحرية الانسان ...

التتمة في العدد القادم

القاهرة — **محي الدين محمد**

***

---

(٤٠) يراجع ص ١٠٣ (الفلسفة الوجودية) للدكتور زكريا ابراهيم .

(٤١) الوجودية فلسفة انسانية (سارتر) ص ٢٦

(٤٢) تأميم الادب (سارتر) ترجمة الدكتور توفيق شحاتة (الكاتب المصري) مجلد ١ عدد ٣ ديسمبر ١٩٤٥ ص ٣٣٩

(٤٣) الوجودية (ديديه أنزيو) الكاتب المصري